

2276
.987
.375

2276.987.375

Zakī

Qal'at al-jabal Salāh al-
Dīn

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library



32101 074296961

قَلْعَةُ الْجَبَلِ

صلاح الدين

القائم مقام

عبد الرحمن زكي

عضو المجلس الأعلى للأثار العربية

دار النيل للطباعة

Zakī, 'Abd al-Rahmān

قَلْعَةُ الْجَبَلِ

صلاح الدين

Qal'at al-jabal Ṣalāh al-Dīn

القائم مقام

عبد الرحمن زكي

عضو المجلس الأعلى للآثار العربية

دار النيل للطباعة

فهرس الكتاب

صفحة

- انصدير ١
- القلعة في العصر الأيوبي (١١٧١ - ١٢٥٠ م) ... ١
- موضع قلعة الجبل - أسباب بناء القلعة - صفة القلعة -
 تحصين القاهرة - البر - فترة انتقال - القلعة في عهد
 السلطان الكامل - ابراج الحمام - خزانة الكتب - القاهرة
 الصالحية - موجز أعمال العصر الأيوبي في القلعة ... ١ - ١٢
- القلعة في عهد السلاطين البحريين (١٢٥٠ - ١٣٨٢ م) ... ١٣
- الظاهر بيبرس - السلطان قلاوون - الناصر محمد بن
 قلاوون - الجامع - البرج - الايوان - القصر الأبلق -
 القصور الجوانية - السبع قاعات - باب النحاس -
 باب القلعة - دار النيابة - الطباقي - الطبلخانة - الحوش -
 الاسطبلات - الميدان - قناطر مياه القلعة - القلعة
 في اعقاب عصر الملك الناصر محمد بن قلاوون - قاعة الدهيشة -
 قاعة البيسرية ١٣ - ٢٨
- القلعة في عهد السلاطين الجراكسة (١٣٨٢ - ١٥١٧) ... ٤٩
- السلطان برقوق - السلطان فرج - السلطان شيخ المؤيد -
 السلطان قايتباي - السلطان جنبلات - السلطان الغوري ... ٤٩ - ٥٦
- القلعة في أيام القلقشندي والمقرزي في القرن الخامس عشر ... ٥٧ - ٦٤
- القلعة في أيام العثمانيين (١٥١٧ - ١٧٩٨) ... ٦٥

2276

987

375

9-13-61 8.1.1

مسجد السارية — مسجد احمد كتيخدة — الوالى اسماعيل باشا —	
رضوان كتيخده الجلفى — الوالى محمد يحيى باشا — الخاميات	
العثمانية والأوجاقات السبعة	
القلعة فى أيام الفرنسيين (١٧٩٨ — ١٨٠١)	٧٧
القلعة فى أيام محمد على الكبير وخلفائه (١٨٠٥ — ١٩٣٦) ...	٨١
دار الضرب — قصر الجوهرة — دار المحفوظات —	
قصر الحرم — دار الصناعة — جامع محمد على — وصف	
الجامع — عمارة اسرار القلعة وتجديد ابوابها وأبراجها —	
الخديو اسماعيل	٨١ — ٩٣
القاعة فى عهد الفاروق المعظم	٩٤
تجديد جامع محمد على — رفع علم مصر على القلعة — المتحف	
الحربى — عهد التجديد الشامل	٩٤ — ١٠٢
الخاتمة (تحقيقات معمارية)	١٠٣
ملاحق الكتاب	١٠٣
١ — النصوص المنقوشة على جدر وأبواب القلعة	١٠٨
٢ — تحصين القاهرة واسوارها	١١٧
٣ — سور صلاح الدين ومجارى المياه	١٢٨
٤ — أبو سعيد قراقوش الأسدى	١٣٦
٥ — ولاية القلعة	١٤٦
٦ — مراجع الكتاب	١٥٣
الخرائط والصور	١٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

منذ كتب الالة المقريزى ، اؤرخ المصرى ، كتابه المعروف "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" وزميله الإمام القلقشندى مؤلفه المشهور "صبح الأعشى" لم يتناول سواهما بالبحث تاريخ قاعة الجبل (القاهرة) . حتى وفد على مصر المستشرق كازانوفا . فذشر رسالته الكبيرة عن تلك القلعة الخالدة ، ووفى ببحثه كاملا من الناحية التاريخية .

وفى الثلث الأول من القرن العشرين ، حل بهذه البلاد الكاتب " كرىويل " أحد ضباط الجيش البريطانى ، فأنكب بشغف على دراسة الآثار الاسلامية فى مصر وغيرها من بلاد المشرق الوسيط ، وكانت قلعة القاهرة (الجبل) إحدى دراساته التى شملها بعناية بالغة ، تلبية لتشجيع ورعاية حضرة صاحب الجلالة المخفور له الملك فؤاد الأول .

وقد عكف الجندى والأثرى " كرىويل " عدة سنوات يقوم ، بإبحاثه الأثرية فى القلعة ، حتى وفق بعد سنوات الى تدوين ملاحظاته الممتازة ، ونشرها له المعهد الفرنسى الآثار الشرقية بالقاهرة ، مزودة بالرسوم والصور التى تونى فيها العناية والدقة . فتأتى عمله " جديرا بما تستحقه قلعة القاهرة من مكانة سامية فى عالم الآثار الاسلامية .

وفى عام ١٩٤٧ ، عندما أمر حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول بنقل المتحف الحربى الى قصر الحرم بالقلعة ، استحتت تلك الرعاية الملكية الضافية واللفتة الكريمة الى تصنيف كتاب حديث عن قلعة القاهرة ، مهد

(و)

التاريخ المصرى فى خلال سبعمائة عام ، أتوجه به اليوم الى مواطنى
الأعزاء ولعلى أن أكون قد حظيت بالتوفيق فى سد ثغرة فى تاريخ أعظم أثر
أسلامى تفخر به البلاد .

ولكى لا تنجى مادة الكتاب من النوع العلمى الجاف ، رأيت أن أضفى
على القلادة طرفاً من ذكرياتها وأحداثها التاريخية وما أكثرها منذ شيدها
الوزير الفذ قره قوش على عهد منشئها السلطان العظيم صلاح الدين الى أن
اعاد اليها مجدداً السالف حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول
وإننى لأشعر بالفخر العظيم لانتهاى من كتابة هذا المؤلف ، لا لما بذلته
فيه من جهد أو ما نليت من مشقة فحسب ، وإنما لأنه موضوع جدير
بالبحث ، وأثره خالد على الزمن .

وأرى نفسى مديناً حتماً الى كافة الأئمة والأعلام المصريين وغير
المصريين ، ممن اعتمدت عليهم على مؤلفاتهم الخالدة ، وحسى أن أنال
رضاءهم ورضاء القراء

هدانا الله سواء السبيل ، فى ظل راعى العلوم والفنون والآثار ، مليكنا
العالم العظيم فاروق الأول حفظه الله .

القائ مقام

يناير سنة ١٩٥٠

عبد الرحمن زكى

مدير المتحف الحربى

قلعة القاهرة

العصر الأيوبي

(١١٧١ - ١٢٥٠ م)

موضع قلعة الجبل

نهض قلعة القاهرة على أحد المرتفعات التي تتصل بجبل المقطم (١) في موضع كانت تشغله قبة تسمى بقبة الهواء - قال عنها أبو عمرو الكندي في كتاب أمراء مصر .

”أعلم أن أول ما عرف في خبر موضع قلعة الجبل أنه كان فيه قبة تعرف بقبة الهواء بناها إمام ابن هرثة والى مصر في سنة (١١٩٥هـ - ٨١١م) ولما بنى أحمد بن طولون القصر والميدان تحت قبة الهواء كان كثيرا ما يقيم فيها فإنها تشرف على قصره واعتنى بها الأمير أبو الجيش نهارويه بن طولون ولما زالت دولة بنى طولون ونخب القصر والميدان كانت قبة الهواء مما نخب ثم عمل موضع قبة الهواء مقبرة وبنى فيها عدة مساجد“ (٢)

(١) أطلق على جبل المقطم طائفة من الأسماء . فكان الجزء الواقع منه شمال القاهرة يسمى بالجبل الأحمر . والمرتفع الذي يبرز قليلا نحو الغرب يسمى بالجبل ، وعليه شيدت القلعة وعرفت باسم قلعة الجبل . وكان هناك شرف يطل على هذا المرتفع الذي قامت فوقه القلعة ويعرف هذا الشرف باسم ”الرصد“ مذهب الوزير الأفضل مرصدا فوقه . وكان أبوه قد ابنتى عليه مسجدا عرف باسم جامع أمير الجيوش أو جامع الجيوش .

(٢) الخطط المقرية . ج ٢ ص ٢٠٢

وذكر المقرئ أن "هذه القلعة شيدت على قطعة من الجبل تتصل
بجبل المقطم وتشرف على القاهرة ومصر والنيل والقرافة فتصير القاهرة
في الجهة البحرية منها ومدينة مصر والقرافة الكبرى وبركة الجليش
في الجهة القبلية الغربية والنيل الأعظم في غربها وجبل المقطم من ورائها
في الجهة الشرقية وكان موضعها أولاً يعرف بقبة الهواء ثم صار من تحته
ميدان أحمد بن طولون ثم صار موضعها مقبرة فيها عدة مساجد . إلى أن
أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أول الملوك
بديار مصر على يد بهاء الدين قراقوش الأسدي في (٥٧٢ هـ - ١١٧٦)
وصارت من بعده دار الملك بديار مصر ^(١) إلى أيام المغفور له الخديو
إسماعيل ."

أسباب بناء القلعة

ولم تك فكرة بنائها إلا وليدة لتفحص بضعة من أسباب شتى اختمرت
في رأس صلاح الدين . فقد ارتأى بثاقب بصره — أثارأته قوائم الدولة
الفاطمية بمصر — أن هناك عيوناً تحرم حوله وتحن الفرص للانقضاض
عليه . فهنا شيعت الخلفاء الفاطميين المنبئين في جوانح الوادي ، وهناك الملك
العادل نور الدين محمود بن زنكي ، سلطان الشام .

فكان ينبغي أن يهيء معقلاً يدرأ عنه العواصف التي قد تهب ، ويحميه
من النوازع التي قد تنفجر . وبخاصة لأن قصرى الفاطميين بمصر كان
قد قسمهما بين أمرائه للاقامة فيها .

وقيل إن السبب الذي حدا به إلى اختيار مكان قلعة الجبل "أنه علق
اللحم بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة فعلق لحم حيوان آخر في موضع القلعة
فلم يتغير إلا بعد يومين وليلتين فأمر حينئذ بإنشاء قلعة هناك .

(١) الخطة المقرئية ج ٢ ص ١٠١

وقد أقام على عمارتها الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي . فشرع في بنائها . كما بنى سور القاهرة الذي زاده في سنة (٥٧٢هـ - ١١٧٦ م) . وقد اقتضاه ذلك هدم ما هناك من المساجد وإزالة القبور وتدمير الأهرامات الصغيرة التي كانت بالحيزة ليستخدم حجارتها في عملية البناء .

وكانت أمنيته أن يحل السور يحيط بالقاهرة ومصر والقاعة . بيد أنه لم تمتد حياته فتواري قبل أن يتم الغرض من السور والقاعة ، بل دون أن يحظى بسكانها .

وهنا توقف العمل . إلى أن كانت سلطنة الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في قلعة الجبل واستنابته في مملكة مصر وجعله ولي عهده . فاتم بناء القلعة . وأنشأ بها الدور السلطانية وذلك في عام (٦٠٤هـ - ١٢٠٧ م) وما برج يقطنها حتى لفظ أنفاسه الأخيرة . فاستمرت من بعده دار مملكة مصر ^(١) .

صفحة القلعة

وقاعة الجبل بناء على نشر عال يدور بها سور من حجر بأبراج وبدنات حتى تنتهي إلى القصر الأبلق ثم من هناك تتصل بالدور السلطانية على غير أوضاع الأبراج .

ولعل المقرئ يقيصد من عبارته الأخيرة أن في قلعة ظاهرة غير عادية في أسوار القلاع . فبدلاً من أن يكون حولها سور تام بأبراجه وبدناته ترى أن سورها تعرضه قصور فتقضى على وحدته .

بدأ صلاح الدين في تشييدها في عام (٥٧٢هـ - ١١٧٦ م) ولم تم وتتحذ مقراً إلا في عهد ابن أخيه الملك الكامل (٦٠٤هـ - ١٢٠٧ م) . فهو الذي شيد فيها أول ما بنى بها من قصور ، وهو الذي أقام أبراجها الرئيسية ، ونقل إليها مقر الحكم .

(١) المخطط المقرئية ج ٢ ص ٢٠٣

ومما يذكر أن صلاح الدين ترك كتابة تاريخية على باب المدرج في ضربي القلعة مؤرخة من سنة ٥٧٩ هجرية . ويشير هذا التاريخ إلى نهاية أعمال صلاح الدين في القلعة . ولكن مما هو قمين بالتنويه أن هذه الأعمال لم تك خاتمة عمارتها . فقد أضيفت إليها أجزاء كثيرة بعد ذلك التاريخ كما سنرى .

ويتبين من تخطيط القلعة أنها تتألف من مربعين من الأرض مستقلين الشمالى منها يشبه مستطيلاً ذا أبراج بارزة وتفصله عن المربع الجنوبى حائط سميك وأبراج ضخمة . ويخرج المربع الجنوبى من الشمال مكوناً معه زاوية قائمة . وحدود هذا المربع ليست منتظمة ويبدو أنه لم يك فى البداية جدران محصنة .

ثم هناك قصر السلطان وملحقاته وهى الأيوان والاسطبلات . وكان الأيوان يطل على الجهة الشمالية ويفصله عن الحصن المربع الشمالى ميدان كبير كان يقف فيه الضباط والجنود فى انتظار وبدء الاستقبال . أما الاسطبلات فكانت فى أسفل القصر إلى الجنوب الغربى .

تحصين القاهرة

وإذا كان المقصود من بناء القلعة فى بداية الأمر هو تهئية معقل لصلاح الدين خشية الفتن والاضطرابات التى بشعلها أنصار الفاطميين والساطان نور الدين . فقد كان المرجح من وراءها أصلاً هو تحصين القاهرة فى وجه الغزاة والمعتدين . فمثل صلاح الدين — وهو المحارب الفذ والقائد الممتاز — طالع بعينه البقطة مدى حاجة القاهرة وحصر وما يقمها . بل واستحثه لتنفيذ هذه الرغبة الحياشة ما أبصره بمدن الشام الكبيرة . حيث شيدت لكل مدينة قلعة وسور .

فصمم الجندى الكبير على تشييد قلعة على المقطم تتصل بالسور . تكون بمثابة مركز هام لحشد الجنود وخرن العتاد .

وقد تردد أن القلعة كانت محصنة ضد القاهرة أكثر منها ضد الأعداء من الجهات الأخرى . ولكن الواقع أن هذا القول لم يك صحيحا إلا بعد إنشائها بزمان طويل . أما في البداية فإنها لم تك حصينة تماما إلا من النواحي الخارجية ، أما من ناحية القاهرة فقد قامت عمائر عديدة جعلت اتصال المدينة بالقلعة ميسورا للغاية .

وحين نراجع خطة تحصين القاهرة ، التي وضعت في عهد صلاح الدين -- يلوح لنا أن قلعة الجبل جزء هام من أسوار المدينة وأبوابها . ويتبدى للناظر طول أسوار القلعة البالغة حوالى ١٧٠٠ متر .

وهي في لأصل على شكل مستطيل غير منتظم . والناحية الشمالية تظهر في بروز واضح ويفصلها عن جبل المقطم خندق عميق . والناحية الغربية تتجه نحو القاهرة . وقبالة الزاوية الجنوبية الغربية المرتفع المسمى الصخرة . وفي الناحية الجنوبية باب المدرج ويعمد إليه بساكنة محفورة في الصخر . وفي الزاوية الجنوبية الشرقية باب القرافة .

وبهذا نكون قد أتينا على شكل القلعة في عهد الأيوبيين الأوائل .

ونستطيع في هذا السياق أن نقول — استنادا إلى شتى المصادر التاريخية الوثيقة — أن الجزء الأكبر من القلعة قد تم في سنة (٥٧٩هـ — ١١٨٣م) . أما البئر فالمحتمل أنها تمت في عام (٥٨٣ — ١١٨٧م) وهو العام الذي أسر في غرضونه صلاح الدين كثيرا من الفرنجة استغلوا في حفرها وبنائها . ويؤيدنا في ذلك ما رواه أبو المحاسن نقلا عن ابن عبد الظاهر (وأمانه على عمله وحفر البئر التي بقلعة الجبل أسارى الفرنج وكانوا ألوفاً) .

وكان حول القسم الشرقى من القلعة خندق ولا يزال أثره ظاهرا . فإن الصخر محفور في هذا القسم إلى عمق عظيم بحيث يضاعف ارتفاع الحائط .

وقد فصل صلاح الدين بين جبل المقطم وبين جزئه الواقعة عليه القلعة بهوة كبيرة منعت أى عدو يسيطر على جبل المقطم من الافادة على إشرافه على القلعة .

وارلوج القلعة بابان أحدهما الباب الأعظم المواجه للقاهرة ويقال له الباب المدرج وبداخله يجلس والى القلعة ومن خارجه تدق الخليلية قبل المغرب ، والباب الثانى باب القرافة وبين البابين ساحة فسيحة فى جانبها بيوت وبجانبها القبلى سوق لآ كل ويتوصل من هذه الساحة إلى دركاه كان يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول . وفى وسط الدركاه باب النلعة ويدخل منه فى دهليز فسيح يؤدى إلى الجامع الذى تقام به الجمعة ويمشى من دهليز باب القلعة فى مداخل أبواب رحبة فسيحة فى صدرها الأيوان الكبير المعد لجلوس السلطان فى يوم المواكب وإقامة دار العدل . وبجانب هذه الرحبة ديار جليلة ويمر منها إلى باب القصر الأبلق . ومن بدء باب القصر رحبة دون الأولى يجلس بها خواص الأمراء قبل دخولهم الخدمة الدائمة بالقصر وكان بجانب هذه الرحبة محاذيا لباب القصر خزانة القصر^(١) .

ولكن المؤرخ الفلقشندى صاحب صبحى الأعشى ، وقد فرغ من تأليف كتابه فى عام ٨١٤هـ ، يختلف مع المقرئى فى عدد الأبواب . فقد أبان أنه كان للقلعة ثلاثة أبواب أحدها من جهة القرافة وجبل المقطم وهو أقلمها استعمالا . والثانى باب السر ويختص بالدخول والخروج منه أكابر الأمراء وخواص الدولة . كالوزير وكاتب السر ونحوهما ، وهو يقابل الأيوان الكبير الذى يجلس فيه السلطان أيام المواكب ، وهذا الباب لا يفتح إلا لدى وصول من يستحق الدخول أو الخروج منه ، فيفتح له ثم يغلق والثالث وهو بابها الأعظم الذى يدخل منه باقى الأمراء وسائر الناس يرق إليه فى درجات متعاسبة حتى يكون مدخله فى أول الجانب الشرقى من القلعة ويتوصل منه إلى ساحة مستطيلة تنتهى منها إلى دركاه يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول ، وفى قبلى هذه الدركاه (دار النيابة) وهى التى يجلس بها النائب الكافل للحكم ، وقاعة الصاحب وهى التى يجلس بها الوزير وكتاب الدولة (ديوان الانشاء) وهو الذى يجلس فيه كاتب السر ، وكذلك ديوان الخيش وسائر الدواوين السلطانية .

ويتصدر هذه الدركاه باب يقال له باب القلعة يدخل منه إلى دهليز فسيحة على يسرة الداخل منها باب يفضى إلى جامع الخطبة (قلاون) .

قصة البئر

هذه البئر من العجائب التي استنبطها بهاء الدين قراقوش ، وزير صلاح الدين وقائد جيشه ، تحدث عنها ابن عبد الظاهر فقال :

”هذه البئر من عجائب الأبنية تدور البقر من أعلاها فتقل الماء من نقالة في وسطها وتدور أبقار في وسطها تنقل الماء من أسفلها ولها طريق إلى الماء ينزل البقر إلى معينها في مجاز وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء وقيل أن أرضها مسامتة أرض بركة النيل وماؤها عذب . قيل إن هذه البئر لما نقرت جاء ماؤها حاراً قراقوش أو نوابه الزيادة في مأنها فوسع نقر الجبل فخرجت منه عين مالحة غيرت حلاوتها . وذكر القاضي ناصر الدين شافع بن علي في كتابه عجائب البنيان أنه ينزل إلى هذه البئر بنحو ثلثمائة درجة ويقال إن هذه البئر كانت متصلة بالنيل بوساطة سرداب تنفذ منه مياه النيل إلى القلعة وأنه حدث في عصر الولاة العثمانيين أن فريقاً من الثوار نفذوا إلى داخل القلعة عن طريق هذا السرداب .

فترة انتقال

وعقب وفاة صلاح الدين في سنة (٥٨٩ هـ -- ١١٩٣) كانت مصر في تقسيم امبراطوريتها من نصيب ابنه الملك العزيز الذي توفي في ٥٩٥ هـ تاركاً ابناً صغيراً جعل الوصاية عليه لبهاء الدين قراقوش . بيد أن الملك الأفضل أخا الملك العزيز قبض على منصب الوصاية ولكن الملك العادل طرده منه وجعل مصر طعمة لابنه الملك الكامل وحكم الكامل مصر من سنة ٥٩٦ هـ إلى سنة ٦١٥ هـ باسم أبيه الملك العادل ثم من سنة ٦١٥ هـ إلى ٦٣٥ هـ باسمه الشخصي .

١ — باب القلعة الاصلى كان موجوداً حتى أيام السلطان بيبرس . أما الباب الحالى فيرجع إلى عهد المنصور محمد علي باشا .

القلعة في عهد السلطان الكامل

(٦٠٤ - ٦٣٥ هـ = ١٢٠٧ - ١٢٣٨ م)

قال ابن عبد الظاهر^(١) "والمملك الكامل هو الذى اهتم بعمارتها (القلعة) وعمارة أبراجها ، البرج الأحمر وغيره فمكثت فى سنة ٦٠٤ هـ ، وتحول إليها من دار الوزارة " .

وقد بنى الكامل فى القلعة إيوانا وبابا للقصور السلطانية سماه باب السر وبابا يصل الحصن القلعة أو الجزء الشمالى منها بالجزء الجنوبى وهو المدينة السلطانية ويسمى هذا الباب باب القلعة - وبنى كذلك الاصطبلات السلطانية وبعض الأبراج وأبراج الحمام وخزانة الكتب ولعله شيد كذلك مسجدا ومقرا للوزير يسمى قاعة الصاحب . وفى القرن الخامس عشر (عصر المقرئى) لم يكن باقيا من هذه المنشآت إلا الشئ القليل .

ومع أن السلطان الكامل هو الذى نقل لأول مرة مقر الحكم والإدارة الى القلعة فإن سيادة العنصر العسكرى فى البلاد لم تتم فى عهده وإنما فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب الذى عظم نفوذ المماليك فى عهده وشيد لهم قلعة الروضة فسموا المماليك البحرية ولم يكنهم رجوا الى قلعة الجبل عند ما استقرت فى أيديهم مقاليد الحكم . ولم تلبث العمائر أن قامت على أنقاض المقابر التى كانت تفصل هذه القلعة عن القاهرة حتى اتصلتا .

ومن منشآت السلطان الكامل فى القلعة - الاصطبل السلطانى الذى كان ملحقا بالقصر ولم يذكر أحد المؤرخين المسلمين تاريخ إنشائه ونراهم

١ - هو القاضى محيى الدين عبد الله عبد الظاهر ولد بالقاهرة وتوفى بها (١٢٢٣ - ١٢٩٢) اشغل بكتابة التاريخ إلى جانب أعمال ديوان الرسائل للوكيل الظاهر - كناه الأشهر الروضة الهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة لم يصل إلينا وقد اقتبس منه المقرئى فى مواضع كثيرة .

متفقين على ذكره بين منشآت عهد السلطان بيبرس . ونستغرب أن يفوت عليهم ذكره وعلى الأخص إذا لم ننس أن سلاطين آل أيوب كانوا من رجال الجهاد والحروب ولا يغيب عن نظرهم أمر الخيول والعناية بها . ومع أن المقریزی لم يفته أن يذكر أن الملك الكامل تحول من دار الوزارة إلى القلعة ونقل سوق الخيل والجمال والحمير إلى الرملة تحت القلعة .

ومن أعمال الكامل أيضا — الميدان السلطاني تحت القلعة . ومن منشأته قاعة الصاحب — أى قاعة الوزير — وكان أول من شغلها صفي الدين بن شكر وزير الكامل .

وقد كان موجودا في أيام السلطان بيبرس جامع تلقى فيه الخطبة ، ولا يبعد أن يكون الكامل هو المشيد له . وشيد مكان هذا الجامع جامع محمد بن قلاوون المعروف .

أبراج الحمام

ومنشئ أبراج الحمام — الملك الكامل — ولقد ذكر ابن عبد الظاهر في كتابه "تسليم الحمام" أن أبراج الحمام قد بلغ عدتها في عام ٦٨٧ — ألف وتسعمائة طائر . وكان يستخدم الحمام في نقل الرسائل . ومما يذكر في هذا السياق أنه كانت هناك مراکز حمام في سائر نواحي المملكة في مصر والشام فيما بين أسوان والقرات .

خزانة الكتب

وهذا عمل آخر يعزى إلى الملك الكامل — خزانة الكتب — التي دمرها حريق عام (٦٩١ هـ - ١٢٩٢ م) وكانت في الأصل تؤلف مكتبة القاضي الفاضل . ثم آلت إلى ابنته الأشرف أحمد لما أمر الكامل بوضع اليد على داره ونقل مكتبته إلى القلعة . وقد كان ذلك في يوم الاحد

الموافق لليوم الخامس من جمادى أول عام ٦٢٦ هـ . ثم نقلت المجلدات
النميسة في اليوم السادس والعشرين — وكانت تتألف من ثمانية وستين
الف مجلد . وبعد أيام حملت الخزانة الخشبية في تسعة وأربعين حملا .
وقيل أنه كان من جملة الكتب المستولى عليها — كتاب الاتابك والحضور
لأبى العلاء المعرى في ستين مجلدا — وقد جمعها القاضي الفاضل من مكتبات
الفاطميين .

ومن ثم يتسنى لنا أن نلخص أعمال الملك الكامل في قلعة الجبل كما يأتى :

١ — الأيوان .

٢ — باب السر المؤدى إلى القصور السلطانية .

٣ — باب يصل بين قلعة الجبل (المدينة العسكرية) والقاهرة (المدينة
السلطانية) واسمه باب القاعة .

٤ — الاسطبلات السلطانية .

٥ — الأبراج .

٦ — أبراج الحمام .

٧ — خزانة الكتب .

٨ — قاعة الصاحب (الوزير) .

٩ — الجامع .

ونلاحظ أن عمدتنا في تاريخ القاهرة — المقرئى — لم يدون آثار
الكامل في الخطط نحت منها . ولم يرجع إلى مصنفات السابقين من المؤرخين
وينقلها عنهم . فالمقرئى كما نعلم أجاد وصف القاهرة التى عاش فيها
وسرى في الفصول التالية كيف انتفعنا بالخطط المقرئية .

القاعة الصالحية

عقب وفاة الملك الكامل (١٢٣٨م) إلى انتهاء حكم الإيبيين في مصر (١٢٥٠م) لم يشيد أحد من سلاطين هذه الأسرة في القلعة ما يستاهل التنويه . ونكتفي بذكر القاعة الصالحية التي أمر بإنشائها الملك الصالح نجم الدين أيوب (١٢٤٠-١٢٤٩م) وظلت سكن الملوك إلى أن احترقت في ٦ ذى الحجة عام (٦٨٤ هـ) .

وإذا نحن اعتبرنا الملك المعز نجم الدين أيوب — من أسرة الإيبيين لأنه كان الزوج الثاني للملكة شجرة الدر لوجدناه بعد أن استقر بالقلعة قد أهمل إيوان الكامل واتخذ المدرسة الصالحية مقرا للحكم والنظر في الشكاوى^(١) وقد نسب إليه قاعة الأعمدة .

موجز أعمال العصر الأيوبي في القلعة

يعتبر كتاب الأستاذ كريزويل "التاريخ المعماري للقلعة" الذي نشره معهد الآثار الفرنسية بالقاهرة أظهر المراجع العمارية وأوثقها في تاريخ عمارة القلعة ونقل عنه ملخصا موجزا لأسوار القلعة وأبراجها وأبوابها :

(أولا) يعزى إلى صلاح الدين الأيوبي بناء حائط السور بأبراجه النصف الدائرية . ويبدأ هذا السور من الجانب الشرقى لبرج المقطم ويمتد نحو الجنوب والشرق والشمال حتى ينعطف ويقف لدى المسكن الذي يشغله الآن المتحف الحربى . وينسب إليه أيضا البابان الخلفيان والجزء الداخلى من باب القرافة وباب المدرج وكذلك حائط السور الذى يمتد جنوبيه بما فى ذلك الجزء الخلفى من البرج النصف الدائرى الكائن بين الباب الأخير والباب المتوسط .

(١) راجع كتاب النجوم والساووك لابن تفرى بردى .

وبعبارة أخرى فإن صلاح الدين بنى هذا السور كاملا وقويا على قدر ما سمحت له الظروف المحيطة به . إذ أنه استدعى لفلسطين في الحادى عشر من شهر مايو سنة ١١٨٢ فى ظروف عصيبة خلال الحروب الصليبية . فترك القاهرة وسورها وخاض غمار حروب طاحنة واشترك فى وقائع متوالية خرج منها منصورا إذ هزم الصليبيين وانتزع منهم بيت المقدس فى شعبان سنة ٨٥٣ هـ — أكتوبر ١١٨٧ م .

ولما خلفه أخوه الملك العادل كانت الأمور قد استقرت قليلا ووقفت الحروب مؤقتا فانتهمز العادل هذه الفرصة واستطاع بما لديه من الثروة وماله من النفوذ وبما تحت تصرفه من موارد الملكات الأيوبية أن يعيد تحصين المواقع الحربية الهامة فى دولته الوسيعة .

وما تزال قلاع حاب ودمشق وبصرى والقاهرة وأطلال حصون جبل طابور شاهدة على جهوده الكبيرة ونشاطه فى هذا السبيل .

(ثانيا) وينسب الى الملك العادل الأبراج الثلاثة الكبيرة الكائنة بالجانب القبلى وهى برج صفطه وبرج قرقيلان وبرج العلوة — والزيادة التى أضيفت لباب القرافة والجزء الخارجى ببرج الرملة وبرج الحداد والجزء الداخلى ببرج الصحراء والبرج الكبير الذى لم يتبقى منه سوى قاعدته . والبرجان الكبيران المربعان فى الركن الشمالى الغربى من السور . وقد تمت أعمال العادل سنة (٦٠٤ هـ — ١٢٠٦/١٢٠٧ م) .

وقد ذكر عماد الدين كاتب السر الذى كان موضع ثقة صلاح الدين الذى كانت جميع الوثائق فى متناول يده أن "محيط القلعة كان ٣٢١٠ أزرعة هاشمية (١)" .

القلعة في عهد السلاطين البحرين

(١٢٥٠ - ١٣٨٢ م)

الظاهر بيبرس

نصل الى تاريخ القلعة في ظل السلاطين المعروفين بالمماليك البحرية ،
فلانجد للثلاثة السلاطين الأول منهم أعمالا تستحق الذكر — لأنهم
لم يكونوا من طراز رابعهم ، الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، إلا اذا
استثنينا قطز ، الجندي المجاهد ، هازم المغول في معركة عين جالوت والذي
قتله غيلة بيبرس ليظفر بملك مصر .

ولا ندرى كيف اتسع وقت بيبرس ليحكم ملكه الواسع ، ويدير شئون
دولته ، ويقود الجيوش الطافرة ضد المغول والصليبيين والروم في إرجاء
آسيا الصغرى والشام وأعلى الفرات والنوبة

وان دل هذا على شيء فهو على أنه أحد أفراد ذلك الطراز النادر من
سلاطين مصر ، بل ملوك العالم أجمع . . .

فلنصنع الى أقوال أبي المحاسن في مؤلفه "النجوم الزاهرة" ملخصا
أعمال بيبرس في القلعة (١) :

"عمر بقلعة الجبل دار الذهب وبرحبة الجبارج (٢) قبة عظيمة محمولة
على اثني عشر عمودا من الرخام الملون وصور فيها سائر حاشيته وأمرائه على

(١) أبو المحاسن (النجوم الزاهرة) ج ٧ ص ١٩٠

(٢) الجبارج — الجرج بالفتح من طير الماء جمعه جبارج وجباريج .

هيئتهم — وعمر بالقلعة أيضا طبقتين مطبقتين على رحبة الجامع ^(١) —
 وإنشأ برج الزاوية ^(٢) المجاورة لباب القلعة ^(٣) وأخرج منه رواشن —
 وبني عليه قبة وزخرف سقفها — وأنشأ جواره طابقا للمالكه أيضا .
 وأنشأ تجاه برجيه بباب القلعة دارا كبيرة لولده الملك السعيد . وكان
 في موضعها حفير فعقد عليه ستة عشر عقدا . لأنه كان يكره سكنى الأمير
 بالقاهرة مخافة من حواشيه على الرعية .

ومثل هذه المنشآت ، سنأتى على وصف كل منها على حدة ، كما تحدث
 عنها ابن عبد الظاهر الذى نقل عنه — فيما بعد — المقرئ بكثير من
 الحذر والعناية والدقة — وكما أعاد النظر فيها المؤرخ محمد رمزى بك .

فما هى دار الذهب هذه ؟ وهل لها علاقة بالقلعة الظاهرية والدار
 الجديدة اللتين ورد ذكرهما فى كتاب ابن عبد الظاهر سكرتير بيبرس .

يقول هذا المؤرخ أنه فى عام ٦٦٤ هـ نجزت عمارة القلعة الظاهرية
 المجاورة لباب سر قلعة الجبل المحروسة ، المتولى عمارتها الأمير عز الدين
 أيبك الفخرى — وهى قاعة عظيمة ، قد افتن فى عمارتها وزخرفتها ،
 حتى كادت تبلغ الغاية أو النهاية ولما نجزت جلس بها السلطان

(١) الجامع الذى كان موجودا بالقلعة فى ذلك العهد وقد هدمه الملك الناصر محمد بن قلاوون
 وأدخله فى جامع الذى أنشأه عام ٧١٨ هـ — وهذا الجامع لا يزال موجودا

(٢) هذا البرج لا يزال موجودا فى الزاوية البحرية الغربية من الصور القديم البحرى للقلعة
 ولما جدد محمد على باشا الكبير سورها المالى أصبح البرج فى داخله ويعلمه الآن الجناح الغربى
 للتحف الحرنى .

(٣) المتصدد هنا باب المدرج الذى لا يزال موجودا ولكن بطل استعماله وسد الطريق
 الذى كان يوصل بينه وبين حوش القلعة من جراء وجود الباب الجديد الذى أنشأه محمد على
 الكبير فى سنة ١٢٤٢ بجوار الباب المدرج .

ومد سماطا ، وخلع على عز الدين الفخرى مشيدها . وللصاحب محي الدين (ابن عبد الظاهر) قصيدة في هذه المناسبة ^(١) .

وذكر المقرئ عن الدار الجديدة — أن الملك الظاهر بيبرس عمرها في عام (٦٦٤ هـ — ١٢٦٦ م) عند باب سر القلعة وعمل بها في جمادى الأول منها دعوة للأمرءاء عند فراغها ^(٢)

ويرى كازانوف أن دار الذهب والقاعة الظاهرية والدار الجديدة أسماء على مسمى واحد . ونحن من ناحيتنا نتفق معه على هذه النتيجة . فضلا عن أنه لم يرد بالفصيل شيء عن كل واحدة منها في كتب المؤرخين المعاصرين . وهناك برج أمر بتشيدده الظاهر في الزاوية المجاورة لباب القلعة .

وهذه القلعة التي عرف بها الباب الذي تسمى بها . كانت موجودة وشيدها الظاهر ثم هدمها الملك المنصور قلاوون ثم جدد باب القلعة على ما كان عليه في أيام المقرئ .

وننتقل بعد ذلك الى دار العدل القديمة التي بناها بيبرس ومكانها اليوم الى يمين الداخل الى القلعة ويشغلها ميدان سارية العلم الذي تفضل برفعه مولانا الملك فاروق يوم الجمعة ١٢ رمضان ١٣٦٥ هـ (٩ أغسطس ١٩٤٦) بمناسبة جلاء الانجليز عن القلعة .

وقد بنيت هذه الدار (دار العدل) في سنة ٦٦١ هـ ، وصار السلطان يجلس بها لعرض العساكر في يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع . وقد بدأ بالحضور في سنة (٦٦٢ هـ — ١٢٦٤ م) فوقف اليه ناصر الدين محمد بن أبى نصر وشكا انه أخذ له بستان في أيام المعز أيبك وهو بايدى المقطعين وانخرج كتابا مثبتا وخرج من ديوان الجيش ما يشهد بأن البستان ليس من

(١) Bibl, Nat, Paris. Ms. 802

(٢) الخطط المقرئية — ص ٣٤٥ ح

حقوق الديوان . فامر برده عليه قسـامه . واحضرت مرافعته في ورقة
مختومة رفعها خادم أسود في مولاه القاضي شمس الدين شيخ الحنابلة تضمنت
انه يفيض السلطان ويتمنى زوال دولته فانه لم يجعل للحنابلة مدرسا في المدرسة
التي أنشأها بخط بن القصرين ولم يول قاضيا حنبليا وذكر عنه أمور فادحة
فبعث السلطان الورقة الى الشيخ فحضر اليه وحلف أنه ما جرى منه شيء
وأن هذا الخادم طرده فاختلق على ما قال . فقبل السلطان عذره وقال
ولو شئتني أنت في حل وأمر بضرب الخادم مائة عصا

وغاث الأسعار بمصر حتى بلغ أردب القمح نحو مائة درهم وعدم الخبز
فنادى السلطان في الفقراء أن يجتمعوا تحت القلعة ونزل في يوم الخميس سابع
ربيع الآخر منها وجلس بدار العدل هذه ونظر في أمر السحر وأبطل التسعير
وكتب مرسوما الى الأمراء ببيع خمسمائة أردب في كل يوم ما بين مائتين الى
ما دونهما . وأن يكون البيع للضعفاء والأرامل فقط دون من هدام . وأمر
الحجاب فزلوا تحت القلعة وكتبوا أسماء الفقراء الذين تجمعوا بالرميلة وبعث
الى كل جهة من جهات القاهرة ومصر وضواحيها حاجبا لكتابة أسماء الفقراء
وقال والله لو كان عندى غلة تكفى هؤلاء لفرقتها ولما انتهى احضار الفقراء
أخذ منهم لنفسه الوفا وجعل باسم ابنه الملك السعيد الوفا وأمر ديوان
الجيش فوزع باقيهم على كل أمير من الفقراء بعدة رجاله .

وما برحت دار العدالة باقية الى أن امتحدث السلطان الملك المنصور
قلاون الايوان فهجرت . وظلت تهجورة الى أن هدمها قلاون في عام
٥٧٢٢ هـ (١٣٢٢ م) وأقام على بقاياها الطليخانة (١)

وقد لعبت القلعة على عهد بيبرس دورا مشهودا . وبعبارة أوضح كانت
مسرحا لأحداث كبرى في التاريخ المصرى . تآتى في طليعتها إلتقاء الأمير
أبو القاسم أحمد الى مصر بعد أن استحوذ التتار على بغداد — فلما سمع
بسلطنة الملك الظاهر بيبرس — وفد عليه مع جماعة من بنى مهارش —

فوصلوا الى القاهرة فى الثامن من رجب عام ٥٦٥٩ هـ . وهنا ركب السلطان بيبرس للقائه وبصحبته الوزير بهاء الدين بن حنا ، وقاضى القضاة تاج الدين بن بخت الأعز ، والشهود والرؤساء والقراء والمؤذنون ، فضلا عن اليهود بالتوراة ، والنصارى بالانجيل ، فى يوم الخميس — فدخل من باب النصر ، وشق القاهرة . وكان لدخوله يوم مشهود .

وحين حل يوم الاثنين الثالث عشر من رجب ، جلس السلطان الملك الظاهر والخليفة بالايوان وأعيان الدولة بأجمعهم ، وقرئ نسب الخليفة ، وبويع بالخلافة ، بعد أن انقضت ثلاث سنوات ونصف السنة والناس بلا خليفة .

وفى يوم الجمعة السابع عشر من رجب ، خرج الخليفة المستنصر بالله عليه ثياب سود الى الجامع بالقلعة ، وخطب خطبة بيغة ذكر فيها شرف بنى العباس ثم صلى على النبى (صلعم) .

وفى مستهل شعبان من العام المذكور ، تقدم الخليفة بتفصيل خلعة سوداء ، وبعمل طوق ذهب وقيد ذهب . وبجأبة تقليد بالسلطنة للملك الظاهر بيبرس . ونصب خيمة ظاهر القلعة . فلما كان يوم الاثنين رابعه ركب الخليفة والسلطان والوزير والقضاة والأمراء ووجوه الدولة الى الخيمة ظاهر القاهرة بقبة النصر ^(١)

فألبس الخليفة السلطان الملك الظاهر بيبرس خلعة السلطنة بيده وطوقه وقيده . وصعد نفر الدين ابراهيم بن لقمان رئيس الحجاب منبرا نصب له ، فقرأ التقليد وهو من إنشائه وخطه . ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق والقيد ودخل من باب النصر وقد زينت القاهرة له . وحمل الصاحب بهاء الدين التقليد على رأسه راكبا والأمراء يمشون بين يديه . فكان يوما يقصر اللسان عن وصفه .

(١) كانت هذه القبة زاوية يسكنها فقراء العجم وهى خارج القاهرة بالصحراء تحت الجبل الأحمر تجاه قبة الأمير يونس الدوادار الظاهرى بآخر ميدان القيق من بحريه — جردها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وقد اندثرت هذه القبة .

وقد أعد بيبرس للخليفة جيشا ليستعيد به بغداد من قبضة التتار ... بيد أن الحملة قد باءت بالفشل. وحدث أن تولى الخلافة من بعده أحد أقاربه باسم الحاكم بأمر الله وخرج السلطان لاستقباله (٢٧ ربيع الأول عام ٥٦٠هـ) وهياً له البرج الكبير (المجاور لباب القرافة) بداخل القلعة لإقامته وسكنه. ثم تحول الخلفاء فيما بعد إلى قلعة الكباش حتى عام ٩٢١هـ لما تنازل آخر الخلفاء عن سلطتهم الروحية إلى السلطان سليم الأول العثماني.

باب الدرفيل

وقبل ختام الحديث عن القلعة ، في عهد بيبرس ، نذكر شيئاً عن باب سارية أو المدرج الذي أصبح على أيامه يتسمى باسم باب الدرفيل . وهو اسم لأحد قادة جيش بيبرس - وهو الأمير حسام الدين لاشين الأيدمرى وكان يشغل منصب الدوادار وقد وافته المنية في عام ٦٧٢هـ (١٢٧٣/٧٤م)

وهناك رأى آخر يقول بأن باب الدرفيل هو باب آخر لا يتصل بباب سارية أو المدرج ...

وفي الفترة القصيرة التي تربع فيها على العرش - السلطان بركة خان بيبرس - يصادفنا ذكر برج الرفرف وإن كان المقريري يعزو بناءه إلى الملك الأشرف خليل بن قلاوون .

السلطان قلاوون

(٦٧٩ هـ - ١٢٧٩ م)

كان أول مبنى شيده قلاوون في القلعة - القبة - أقامها في سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) ونرى أن ننقل عن ابن عبد الظاهر ما جاء بذكرها في مخطوطه

”كان في غيبة (السلطان قلاوون) ^(١) رسم ببناء قبة في الرحبة الحمراء بالقلعة المحروسة بمباشرة الأمير علم الدين المنصورى فجاءت من عجائب الأبنية التي ما عمر مثلها ملك في مملكة من الممالك . ومن عارض في هذا القول فليقل فلان في المكان الثاني . فنسلم له ذلك . والذي بهذه القبة خاصة من العمد الكبار والصغار الملونة والمذهبة أربعة وتسعون عمودا خارجا من الرواقات والذي ألصق بها من الذهب ألفان وثلاث مائة دسم ذهباً مصرياً . وأما من الرخام فما لا تحصى قيمته ولا تحصى . وفي جدران رواقاتها صفة قلاع مولانا السلطان قلعة قلعة وحصنا حصنا يحارها وأنهارها وسهولها وجبالها وكتب على لوح رخام منها أن الشروع فيها كان في مستهل شعبان من هذه السنة .

ومما نظمه الشاعر فيها :

شيدت لملك كل قصر	يربى اعتلاء على البراني
فصرح بلقيس في انقضاض	وصرح هامان في انقضاب
وقصر غمدان في انقلاء	وشعب بوان في انقلاب
يا حسنها قبة تعالت	حتى تناهت إلى السحاب

ولما وصل مولانا السلطان جالس بهذه القبة فاستحل كمالها . وحضر صاحب حماة وعمه والأمراء جميعهم بها .

(١) من رجب إلى شوال عام ٦٨٥ هـ

وقد أورد المقرئ في الخطط أن قبة قلاوون هذه هيئت على أنقاض قبة بديرس — وقد هدمت الأولى في يوم الأحد ١٠ رجب عام ٦٨٥ ، وانتهى العمل في الثانية في شوال من العام المذكور . ولستأ ندرى أين كان موضع هذه القبة بالضبط .

والى قلاوون يعزى بناء "دار النيابة" في عام ٦٨٧ — ١٢٨٨ م . وقد قطنها الأمير حسام الدين طرنسٹای ومن بعده من نواب السلطنة . ومما يذكر أن النواب كانوا يجلسون بشباكهها .

وقد أنشأ قلاوون أشتانا من الأبنية لسكن مماليكه بالقلعة ، كما هيأ برجا على مقربة من باب السر .

وقبل أن نخلف منشآت قلاوون ينبغي أن نشير الى الحريق الهائل الذى شب في عام ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) ودمر قاعة الصالحية .

وفي أيام خلفه ابنه الخليل (٦٨٩ هـ — ١٢٩٠ م) اندلعت حريق أخرى أتى على وصفها ابن عبد الظاهر سكتير بديرس وقلاوون و خليل فيما يلي :
"في ليلة الجمعة سابع عشر صفر وقعت نار بالآثار الشريفة السلطانية قرب الخزان المعمورة وخزانة الكتب وغير ذلك فقوى فعلها واستطار لها بها وارتفع وقدما . وصلت حتى كادت تذهب بالأبصار وحضر مولانا السلطان لذلك معاجلا وفتحت الأبواب وحضرت الممالك السلطانية من الأمراء كلهم وغيرهم واقتحموا تلك النيران بنفوسهم ونقلت المياه من ذخائر الصهاريج وفتحت الأبواب . فقالت فقالت سعادة مولانا الإلاهية وبركانه الحليلية يا نار كوني بردا وسلاما فلوقتها صارت كذلك . ودفع الله من المخاوف العظيم ما هنالك .

وبرج الزرف من تدمير الملك الخليل — يقول المقرئ عنه أنه قد جعله عاليا يشرف على الجيزة كلها ويضاهي صور فيه أمراء الدولة وخواصمها . وعقد عليه قبة على عمد وزخرفها . وكان مجلسا يجلس فيه السلطان واستمر جلوس الملوث به حتى هدمه الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة (٧١٢ هـ — ١٣١٢ م) .

الناصر محمد بن قلاوون

السلطنة الأولى (٦٩٣ هـ — ١٢٩٣ م) .

السلطنة الثانية (٦٩٨ هـ — ١٢٩٨ م) .

السلطنة الثالثة (٧٠٩ هـ — ١٣٠٩ م) .

هو في الحق — بناء دولة المماليك البحرية في الامبراطورية المصرية .
تنطق أعماله بقوة شخصيته في قيادة الجيوش ، وإدارة الحكومة ، وتنظيم
المملك ، خلع عن العرش مرتين ثم عاد اليه مرة ثالثة فخكم من عام ٧٠٩ الى
عام ٧٤٦ وجلس أبناءه العديدون على عرش مصر ، كل في دوره ، وكان
قوامهم تسعة ، تابعوا على حكم وادى النيل من عام ٧٤١ هـ الى عام ٧٦٢ هـ

ويعتبر الناصر . كملا لأعمال صلاح الدين ويبرس وقلاوون . ادخل
العرب والفرع الى جيوش الصليبيين والمغول . وبالرغم من انشغاله طوال
حياته بالفتوح المستمرة كان معمرا من الطراز الأول . خلد اسمه بما
شيد من القناطر ، وحفره من القنوات ، وابناه من القصور والمباني .
ولم ينافسه من ملوك المماليك منافس .

نجدته قد عمر خارج سور القاهرة الفاطمية خمسة أحياء مستحدثة ،
فازدهرت عاصمة ملكه ، وامتدت مساحتها .

وفي عصره انتعش الفن الاسلامي ، وازدهرت العمائر ، واثرت في مصر
صنع الطوائف . بل ويلاحظ هواة الفنون الاسلامية أن غالبية معروضات
المتاحف الفنية في أوروبا وأميركا والشرق من مخلفات عصر الناصر محمد^١
وأمراء دولته وكبار رجالاته .

(١) الخطط — ج ٣ ص ٢٤٥ — ٣٤٩ (طبعة النيل)

(١) S.L. Poole Art of the Saracens in Egypt. p. 189-192

ولا مصرية في أن العصر الذهبي الثاني للقلعة هو عصر السلطان الناصر .
أما أول تلك العصور فهو أيام بيبرس الكبير ، هازم الصليبيين والتتار .

أجل . هذا هو ثانيهما . وأما ثالثهما فهو — بغير نزاع — عهد مجد
على الكبير . كما أن مجدد كل العصور والاعاجاد ، نجر المصريين والشرقيين
فاروق الأول — حفظه الله .

ومنشآت الناصر مجد في القلعة ، تناولها المؤرخ المستشرق كازانوف
في "تاريخ القلعة" بالتقسيم إلى ثلاثة أقسام .

أولها — المنشآت التي ما زالت باقية إلى اليوم .

ثانيها — المنشآت التي كانت باقية إلى أيام الحملة الفرنسية ووصفت
في ذياك العهد .

ثالثها — المنشآت التي تأتي وصفها في كتب المؤرخين شهاب الدين
والقلقشندي والمقريزي .

ومنشآت القسم الأول هي :

(١) الجامع :

بدأ العمل فيه عام ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) في موضع كان يشغله جامع آخر
فهدمه السلطان كما هدم المطبخ والحوائجانة والفراشانة . ثم تراءى له
توسيعه في عام ٧٣٥ هـ (١٣٣٥ م) ولما انتهى العمل جلس فيه السلطان
واستدعى جميع مؤذني القاهرة ومصر وجل القراء والخطباء وعرضوا بين
يديه وأنصت إلى أذانهم وخطاباتهم وقراءتهم . فرتب عشرين منهم . وجعل
عليه انفاقا تكفيه وتفيض .

وهذا الجامع متسع الأرجاء ، مرتفع البناء ، كانت أرضيته مفروشة
بالرخام ، وسقفه مبطن بالذهب . وبصدره قبة عالية يليها مقصورة

مستورة هي والرواقات بشبايك الحديد المحكمة الصنعة ويحف صحنه
رواقات من جهاته^(١) وكانت بالصحن مبخاه .

وفد عني به وزخارفه إذ كان بمثابة مسجد القصر الخاص ، وله بابان
أحدهما بالواجهة البحرية المواجهة لباب القمامة على يساره منارة ، والآخر
بالواجهة الغربية وعلى يمينه منارة أخرى .

وأكبر أروقة الجامع (ايوانه) الرواق الشرقى إذ يتكون من أربعة
أروقة تتوسطها قبة كبيرة حمت على عشرة أعمدة ضخمة من الجرانيت
ولهذه القبة طراز خشبي به آيات قرآنية يعملوه مقرنص خشبي تعلوه قاعدة
أخرى بها شبايك جصية . وقد هدمت هذه القبة ثم جددتها السلطان
قايتباي سنة ٨٩٣ هـ (١٤٨٧ م) كما عمل للجامع مقبرا رخاميا ثم هدمت
هذه القبة أيضا وجددتها أخيرا إدارة حفظ الآثار العربية^(٢)

وهذا الجامع وإن كانت تسوده البساطة من الخارج فلا مقرنصات
ولا زخارف ولا كتابات إلا أنه من الداخل كان غنيا بشتى الصناعات
كما تدل على ذلك بقاياه — فقد كسيت الجدران إلى ارتفاع نحو خمسة
أمتار بوزرة رخامية دقيقة طعمت بالصدف . وكان محرابه مكسوا بالرخام
المحفور به زخارف دقيقة .

ولهذا الجامع منارتان مجويتان : الأولى على يسار الباب البحري ،
والثانية على يمين الباب الغربي .

وقد قرأ كازانوفنا على لوحة رخامية مستطيلة كانت فوق باب الجامع
البحري السطرين الآتين :

بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك
السعيد سيدنا و مولانا السلطان الملك ال

١ — الخط المقيزي ج ٣ ص ٣٤٤ — ٣٤٥ طبعة النيل

٢ — حسن عبد الوهاب ، مجلة المارة ، الجزء ٨٧ عام ١٩٤١ ص ٢٩٤ — ٢٩٥

كما قرأ على لوحة الباب الغربى :

”بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك السعيد لوجه الله تعالى سيدنا ومولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن مولانا السلطان الشهيد قلاوون الصالحى فى شهر سنة ثمانية عشرة وسبع مائة من الهجرة النبوية .

كما قرأ طائفة من الآيات القرآنية على الطراز الداخلى تحت القبة . .
وعلى المئذنة كتابة تحتوى على آيات الكرسى .

(ب) البرج ^(١) :

على أحد أبراج القلعة ، وعلى ارتفاع كبير من الجدار ، تقرأ كتابة واضحة نهبها كما يلى ،

بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا البرج المبارك السعيد مولانا وسيدنا السلطان المالك الملك الناصر الغازى فى سبيل الله الحاج الى بيت الله وقبر رسول الله ناصر الدنيا والدين محمد بن مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور بدؤه فى جمادى الأولى .

والفراغ . . . ثلاث ^(٢)

ويرجع المؤرخ كازانوف أن يكون بناء هذا البرج قد تم حوالى ٧١٣ هـ (٣١٣ م) وخصوصا اذا كان هذا البرج هو الذى عنه لما قال أن محمدا ابن قلاوون هدم الرفرف الذى شهدته أخوه خليل عام ٧١٢ هـ (١٣١٢ م) لى بجدد بناءه ، وعمل بجواره برجا على مقربة من الاصطبل نقل اليه الممالك .

وهذا الترجيح يكون أقرب الى الصواب اذا علمنا أن أول شهر جمادى أول فى النص المذكور يوافق أول أيام عام ٧١٣ . وذا أضفنا الى هذا

(١) راجع خارطة القاهرة المرسومة عام ١٧٩٨ (الحملة الفرنسية بالقرب من الرقم ٨٤

(٢) Corpus Inscript Arab. Ier fase. p. 88

يلاحظ أن فان برشم قرأ كلمة ناصر . حصن

أنه فيما بين عامي ٧١٢ و ٧١٥ هـ تم لابن قلاون تشييد أكثر عمائر القلعة أو تجديدها كالرفف والايوان والميدان ومجاري المياه وفي ذلك يقول المقرئ في كتاب السلوك لدى الحديث عن أعمال السلطان في هذا التاريخ "وأكثر من العمائر وولى أفسنقر أمير أخور شاد العمائر وأحضر العتالين من سائر البلاد الشامية وأفرد للعمائر ديوان بلغ مصروفه في كل يوم اثني عشر ألف درهم الى ثمانية آلاف ."

(ج) الكتابة المنقوشة على باب السارية

القسم الثاني من عمائر ابن قلاون

(١) الايوان

لاريب أن الايران كان أظهر عمائر محمد بن قلاون في القلعة — وقد شيّد محمد على باشا على أنقاضه جامعه الكبير^(١) . وعرف بابوان يوسف مدة طويلة ، ولذلك نسبته البعض الى صلاح الدين خطأ . وخير وصف لهذا الايوان ورد في الخطط كما يلي^(٢) .

"الايوان المعروف بدار العدل . أنشأه السلطان الملك المنصور قلاون الأنفي الصالحى النجمى ثم بدده ابنه السلطان الملك الأشرف خليل واستمر جلوس نائب دار العدل به فلما عمل الملك الناصر محمد بن قلاوون الروك أمر بهدم هذا الايوان فهدم وأعاد بنائه على ما هو عليه الآن وزاد فيه وأنشأ به قبة جليلة وأقام به عمدا عظيمة نقلها اليه من بلاد

(١) اما الرحبة التي كانت قبالة الايوان فكانها الحوش الواقع تجاه الواجهة البحرية الشرقية للجامع محمد على

(٢) الخطط المقرزية ٠ ج ٢ ص ٢٩٦

الصعيد ورنحه ونصب في صدره سرير الملك وعمله من العاج والأبنوس ورفع سمك هذا الايوان وعمل أمامه رحبة فسيحة مستطيلة وجعل بالايوان باب سر من داخل القصر وعمل باب الايوان مسبوكا من حديد بصناعة بدیعة تمنع الدخال اليه وله باب يغلق فاذا أراد أن يجلس فتحه حتى ينظر منه ومن تحاريم الحديد بقية العسكر الواقفين بساحة الايوان وقرر للجلوس فيه بنفسه يوم الاثنين ويوم الخميس فاستمر الأمر على ذلك وكان أولا دون ما هو اليوم فوسع في قبته وزاد في ارتفاعه وجعل قدامه دركا كبيرة فجاء من أعظم المباني الملوكية . وأول ما جالس فيه عند انتهاء عمل الروك بعد ما رسم لنقيب الجيش أن يستدعى سائر الأجناد فلما تكامل حضورهم جالس وعين أن يحضر في كل يوم مقدما ألوف بمضافها مكان المقدم بقف بمضافه واستدعى من تقدمه على قدر منازلهم فيتقدم الجندي الى السلطان فيسأله ابن من ومملوك من ثم يعطيه مثالا واستمر على ذلك من مستهل المحرم سنة خمس عشرة وسبعمئة الى مستهل صفر منها وما برح بعد ذلك واطب على الجلوس به في يومى الاثنين والخميس وعنده أمراء الدولة والقضاة والوزير وكتب السر وناظر الجيش وناظر الخصاص وكتب الدست وتمتف الأجناد بين يده على قدر أقدارهم فلما مات الملك الناصر اقتدى به في ذلك أولاده من بعده واستمروا على الجلوس بالايوان الى أن استبد بمملكة مصر الملك الظاهر برقوق فالتمز ذلك أيضا الا أنه صار يجلس فيه اذا طلعت الشمس جلوسا يسيرا يقرأ عليه فيه بعض قصص .. وكان موضع جلوس السلطان في الايوان لانظر في المظالم فأعرض الملك الظاهر عن ذلك وجعل لنفسه يومين يجلس فيهما بالاصطبل السلطاني للحكم بين الناس وصار الايوان في أيام الظاهر برقوق وأيام ابنه الملك الناصر فرج وأيام الملك المؤيد شيخ أغاهوش من بقايا الرسوم الملوكية لا غير .

وفي مخطوطه ميونخ رقم ٤٠٠ ص ٢٩٢ ، نقل كازانرفا في كتابه النفيس عن تاريخ القلعة أن مؤرخا مجهولا قال أنه في ٧ جمادى ثان

عام ٧٣٣ هـ شرعوا في هدم القبة بالايوان بالقلعة وعمروا القبة والايوان
على ما هو عليه اليوم ، وفرغوا في ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وجلس
السلطان على الكرسي في الثاني والعشرين من ربيع الآخر المذكور .

ومن الصعوبة بمكان ، أن نقفوا أثر تاريخ هذا الايوان ، كما جاء
في كتب المؤرخين المسلمين أو الرحالة الغربيين . بيد أننا سنورد نقنما مما
ذكره هؤلاء وهؤلاء ...

ذكر ابن أياس في كتابه تاريخ مصر ، أنه في يوم السبت سادس عشر
محرم عام ٩٢٨ هـ (١٥٢١ م) سقطت القبة العظيمة التي كانت على
الايوان ، سقطت باكر النهار وهذه القبة من انشاء محمد بن قلاوون ، فلما
سقطت قال الناس بزوال ملك الأمراء عن قريب ، وهذه القبة لها نحو
مائتين سنة من حين عمرت وكانت من خشب وفوقها رصاص ، وكانت
مغلقة بقيشاني أخضر — ولم يعمر في مصر أكبر منها وكانت من نوادر
الزمان “ .

وجاء ذكر الايوان في كتاب رحلة M. Monconys ^(١)

الذي زار مصر وشاهد الايوان الكبير في فبراير عام ١٦٤٧ م (١٠٥٦ هـ)
ووصف أيضا الرحالة ماييه ^(٢) وريتشارد بوكوك (١٧٤٩ م) وينبهر
الدنماركي (١٧٧٤) ، وأحيرا كتاب الموسوعة الفرنسية وصف مصر

(ب) القصر الأبلق :

نقرأ وصف هذا القصر في الخطط ^(٣) قبل أندثاره — وكان قائما في
الجهة الغربية من القلعة حيث المكان الواقع على يمين الداخل من البوابة
الوسطى للقلعة الى الساحة التي بها جامع محمد علي ، وكان يشغله الى أوائل

1 — Journal des voyages de M. Monconys. Lyon 1675 1er partie. p. 168

2 — Mailet, Description de l'Egypte 1735 p. 191

عام ١٩٤٦ السجن الحربى للجيش البريطانى ومساكن المساجين ويتبعه
حديقة تطل على القاهرة هى اليوم ساحة العلم التى رفع العلم المصرى عليها
الفاروق المظلم يوم ٩ أغسطس ١٩٤٦

ولنعد الى الخطط لنقرأ ما كتبه المقريرى عن هذا القصر الذى قيل أنه
انتهى بناؤه فى مدة عشرة أشهر وقد وصف فى البيتين الآتين :

قصر تحليه تحية وسلام خلقت عليه شبابه الأيام
فزت به عين المليك وغردت بالبشر فيه بلا بل وحمام

كان يشرف هذا القصر على الاسطبل الذى أنشأه الملك الناصر محمد بن
قلاوون فى شعبان سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣) وانتهت عمارته فى السنة التالية
وأنشأ بجواره حنية ولما كمل عمل فيه سماطاً حضره الأمراء وأهل الدولة
ثم أفيضت عليهم الخلع وحمل الى كل أمير من أمراء المئين ومقدمى الألو ف
ألف دينار ولكل من مقدمى الحلقة خمسمائة درهم ولكل من أمراء
الطباخانه عشرة آلاف درهم فضة منها خمسمائة دينار قبلت النفقة على
هذا القصر خمسمائة ألف درهم وخمسمائة ألف درهم وكانت العادة أن
يجلس السلطان بهذا القصر كل يوم للخدمة ماعدا يومى الاثنين والخميس
فانه يجلس للخدمة بدار العدل وكان يخرج الى هذا القصر من القصور
الجوانية فيجلس تارة على تحت الملك المنصوب بصدر ايوان هذا القصر
المطل على الاسطبل وتارة يقعد دونه على الأرض والأمراء وقوف هذا
ما تقدم خلا أمراء المشورة والقرباء من السلطان فانه ليس لهم عادة
بحضور هذا المجلس ولا يحضر هذا المجلس من الأمراء الكبار الا من
دعت الحاجة الى حضوره ولا يزال السلطان جالسا الى الثالثة من
النهار فيقوم ويدخل الى قصور الجوانية ثم الى دار حريمه ونسائه ثم يخرج
فى أحرىات النهار من قصوره الجوانية للنظر فى مصالح مملكه ويعبر اليه الى
قصوره الجوانية خاصته من أرباب الوظائف فى الأشغال المتعلقة به على
ماتدعو الحاجة اليه ويقال لها خدمة القصر وهذا القصر تجاه بابه رحبة

يسلك إليها من الرحبة التي تجاه الايوان فيجلس بالرحبة التي على باب
القصر خواصى الأمراء قبل دخولهم الى خدمة القصر ويمشى من باب
القصر في دهايز مفروشة بالرخام قد فرش فوقه أنواع البسط الى قصر
عظيم البناء شاهق في الهواء بإيوانين أعظمها الشمالى يطل منه على
الاصطبلات السلطانية ويمتد النظر الى سوق الخيل والقاهرة وظواهرها
الى نحو النيل وما يليه من بلاد البحيرة وقراها . وفي الإيوان الثانى القبلى
باب خاص لخروج السلطان وخواصه منه الى الإيوان الكبير أيام الموكب
ويدخل من هذا القصر الى ثلاثة قصور جوانبه . وكان بهذا القصر
الابلق رسوم وعوائد تغير كثيرا منها وبقيت بقايا من شعار المملكة
ورسوم السلطنة (الى أيام المقرينى) .

الأسمطة السلطانية^(١)

كانت العادة ان يمد بالقصر فى طرفى النهار من كل يوم أسمطه جليلة
لعامة الأمراء خلا البرانيين وقليل ما هم فبكرة يمد سباط أول لا يأكل منه
السلطان ثم ثان بعده يسمى الخاص قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل
ثم ثالث بعده يسمى الطارى ومنه ما كول السلطان وأما فى آخر النهار فيمتد
سباطان الأول والثانى المسمى بالخاص ، وفى كل هذه الأسمطة يؤكل
ما عليها ويفرق نوالات ثم يسقى بعدها الأقسام المعمولة من السكر
والأناوية المطيبة بماء الورد المبردة وكانت العادة أن يبيت فى كل
ليلة بالقرب من السلطان أطباق منها أنواع من المطجنات والبوارد
والفطر والقمشطه والجن المقل والموز وأطباق فيها من الأقسام
والماء البارد برسم أرباب النوبة فى السهر حول السلطان ليتشاغلوا
بالمأكول والمشروب عن النوم ويكون الليل مقسوما بينهم بساعات الرمل

فاذا انتهت نوبه نهت التي تليها ثم ذهبت هي فنامت الى الصباح . وبلغ مصروف السماط في كل يوم عيد الفطر من كل سنة خمسين ألف درهم منها نحو ألفين وخمسمائة دينار تنهبه الغلمان والعامة . وكان يعمل في سماط الملك الظاهر برقوق في كل يوم خمسة آلاف رطل من اللحم سوى الأوز والدجاج وكان راتب المؤيد شيخ في كل يوم اسماطه وداره ثمانمائة رطل من اللحم فلما كان من المحرم سنة ٨٢٦ هـ (١٤٢٣ م) سأل الملك الاشرف برسباي عن مقدار ما يطبخ له في كل يوم بكرة وعشيا فميل له ستمائة رطل في الوجبتين فأمر أن يطبخ بين يديه لأنه بلغه أنه يؤخذ مما ذكر لشاد الشربخانة ونحوه مائة وعشرون رطلا فجعل راتب اللحم في كل يوم بزيادة أيام الخدمة ونقصان أيام عدم الخدمة خمسمائة رطل وستة أرطال عن وجبتي الغذاء والعشاء ومن الدجاج ستة وعشرين طائرا “

وقيل أنه لما انتهى العمل من هذا القصر الكبير أولم السلطان في ذلك اليوم وجميع القضاة الأربيع وسائر الأمراء وقرأ الختمة ومد سماطا حافلا وملاً الفسقية التي بالقصر سكر بماء الليمون ووقف رؤوس النوبة على الفسقية يفرقون السكر على الناس بالطاسات — وخلع السلطان في ذلك اليوم على المهندسين والبنائين والمرحمين والتجارين والدهازين . فجموع ذلك ألفين وخمسمائة خلعات — ووزع على النقباء خلع حرير وفرق على الفعلة كل واحد عشرة دنانير وفرق على الفقراء في ذلك اليوم خمسين ألف دينار ثم أحضر في آخر الليل المغاني وأرباب الآلات وقدت وقدة عظيمة بالقصر — تلك الليلة وأحرق حراقة نفض بالرميلة وكانت ليلته لم يسمع مثلها .

وفي أيام العثمانيين — تحول القصر الى مصنع للكسوة الثمينة كما ذكر البكري وأيد هذا القنصل الفرنسي مايبه في كتابه وصف مصر .

القسم الثالث من عمائر محمد بن قلاوون

(١) القصور الجوانية :

نقابل وصف هذه القصور في الخطط بعد ما ذكره المقرئ عن القصر الأبلق وسنقل ما كتبه عنها :

يدخل من هذا القصر إلى ثلاثة قصور جوانية منها واحدة مسامت لأرض هذا القصر واثنتان يصعد إليهما بدرج في جميعها شبايك حديد يشرف على مثل منظره القصر الكبير وفي هذه القصور كلها مجارى الماء مرفوعة من التل تديرها الأبقار من مقره إلى مريض ثم إلى آخر حتى يتنهي الماء إلى القلعة ويدخل إلى القصور السلطانية وإلى دور الأمراء الخواص المجاورين للسلطان فيجرى الماء في دورهم وتدور به حماماتهم وهو من عجائب الأعمال لرفعه من الأرض إلى السماء قريبا من خمسمائة ذراع من مكان إلى مكان ويدخل من هذه القصور إلى دور الحريم وهذه القصور جميعها من ظاهرها مبنية بالحجر الأسود والحجر الأصفر موزرة من داخلها بالرخام والفصوص المذهبة المشجرة بالصدف والمعجون وأنواع الملوّنات وسقوفها كلها مذهبة قد مومت بالالزورد والور بنحرق في جدرانها بطاقات من الزجاج القبرسى الماون كقطع الجواهر الملوّنة في العقود وجميع الأراضي قد فرشت بالرخام المنقول إليها من أقطار الأرض مما لا يوجد مثله وتشرف الدور السلطانية على بساتين وأشجار وساحات للحيوانات البديعة والأبقار والأغنام والطيور والدواجن .

(ب) السبع قاعات .

كانت تشرف على الميدان وباب القرافة عمرها الملك الناصر محمد بن قلاوون واسكنها سراريه ومات من ألف ومائتي وصيفة ، ولودة سوى من عداهن من بقية الأجناس . وقد يكون موقعها اليوم قصر الجوهرة الواقع في الزاوية الجنوبية الغربية بالقلعة

(ج) باب النحاس

كان هذا من أجل أبواب الدور السلطانية . عمره الناصر وزاد في سعة دهايزه — والظاهر أن هذا الباب كان في أبواب القصر المخصص لسكنى الملك وحرمة . وقد زال بزوال القصر الذى كان مركبا على أحد دهايزها بقلعة الجبل

(د) باب القلعة^(١)

يستفاد مما ورد في كتاب صبح الأعشى عند الكلام على القلعة (ج ٢ ص ٣٧٢) أن باب القلعة كان واقعا في أحد الأسوار الداخلية الواقعة في القسم الشمالى الشرقى في مباني قلعة الجبل . وكان السور الذى فيه هذا الباب يفصل بين الساحة التى كانت خلف باب القلعة العمومى وبين الدور السلطانية . وكانت هذه الساحة يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول . ويستفاد مما ذكره المقرئى فى خطه عند الكلام على باب القلعة (ص ٢١٢ ج ٢) أنه عرف بذلك لأنه كان هناك قلعة (برج مرتفع) بناها الملك الظاهر بيبرس ثم هدمها الملك المنصور قلاون فى سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) . وبني مكانها قبة ثم هدمها الملك الناصر محمد ابن قلاون . ووجد باب القلعة على ما هو عليه فى زمن المقرئى وعمل له بابا ثانيا .

وقد اندثر هذان البابان بسبب إزالة السور الذى كان فيه البابان المذكوران وقد كانا واقعين على مسافة قريبة خلف باب القلعة الحالى ويستفاد مما هو مبين على خريطة القاهرة رسم سنة ١٨٠٠ أن هذا الباب كان يسمى باب المدافع — وفى سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) جدد محمد على باشا الكبير باب القلعة الحالى وهذه البوابة واقعة بعد الوابة الوسطى على اليسار تجاه الباب البحرى الشرقى لجامع الناصر محمد بن قلاون — وتوصل الى ثكنات الحرس الملاكى والمتحف الحربى

(١) محمد رمزى بك — تعليقات كتاب النجوم الزاهرة — ج ٨ ص ٤٥ و ج ٩ ص ١١١

(هـ) دار النيابة :

وننقل فيما مآء في كآاب الخطط المقررية عن دار النيابة :

” كان بقلعة الجبل دار نيابة بناها الملك المنصور قلاون في سنة ٦٨٧هـ سكنها الأمير حسام الدين طرناى ومن بعده من نواب السلطنة وكانت النواب تجلس بشبا كها حتى هدمها الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة ٧٣٧هـ وأبطل النيابة وأبطل الوزارة أيضا فصار موضع دار النيابة ساحة فلما مات الملك الناصر أعاد الأمير قوصون دار النيابة عند استقراره في نيابة السلطنة فلم تكمل حتى قبض عليه فولى نيابة السلطنة الأمير طشتمر ثم قبض عليه فتولى بعده نيابة السلطنة الأمير شمس الدين آن سنقر في أيام الملك الصالح اسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاون فجلس بها في يوم السبت أول صفر سنة ٧٤٣هـ (١٣٤٢) في شباك دار النيابة وهو أول من جلس بها من النواب بعد تجديدها وتوارثها النواب بعده وكانت العادة أن يركب جيوش مصر يومى الاثنين والخميس في الموكب تحت القلعة فيسيرون هناك من رأس الصورة الى باب القرافة ثم تقف العسكر مع نائب السلطنة وينادى على الخيل بينهم وربما نودى على كثير من آلاف الجند والخيم والحراكوات والأسلحة ثم يطأون الى الخدمة السلطانية بالايوان بالقلعة فاذا مثل النائب في حضرة السلطان وقف في ركن الايوان الى أن تنقضى الخدمة فيخرج الى دار النيابة والأمراء معه ويمد السماط بين يديه كما يمد سماط السلطان ويجلس جلوسا عاما للناس ويحضره أر باب الوظائف وتقف قدامه الحجاب وتقرأ القصص وتقدم اليه الشكاة ويفصل أمورهم فكان السلطان يكتب للنائب ولا يتصدى لقراءة القصص عليه وسماع الشكاى تعويلا منه على قيام النائب بهذا الأمر واذا أقرئت القصص على النائب نظر فان كان مرسومه يكفى فيها أصدره عنه ومالا يكفى فيه الا مرسوم السلطان ان أمر بكتابه عن السلطان

وأصدره فيكتب ذلك وينبه فيه على أنه بإشارة النائب ويميز عن نواب
السلطان بالممالك الشامية بأن يعبر عنه بكافل المملكة الشريفة الإسلامية
وما كان من الأمور التي لا بد له من من إحاطة علم السلطان بها فانه إما أن
يعلمه بذلك منه إليه وقت الاجتماع به أو يرسل إلى السلطان من يعلمه به
ويأخذ رأي فيه وكان ديوان الاقطاع وهو الجيش في زمان النيابة ليس
لهم خدمة إلا عند النائب ولا اجتماع إلا به ولا يجتمع ناظر الجيش بالسلطان
في أمر من الأمور فلما أبطل الملك الناصر محمد بن قلاوون النيابة صار
ناظر الجيش يجتمع بالسلطان واستمر ذلك بعد إعادة النيابة وكان الوزير
وكاتب السر يراجعان النائب في بعض الأمور دون بعض ثم اضمحت
نيابة السلطنة في أيام محمد بن قلاوون وتلاشت أوضاعها فلما مات أعيدت
بعده ولم تزل إلى أثناء أيام الظاهر برقوق وآخر من وليها على أكثر قوانينها
الأمير سودون الشيخى وبعده لم يل النيابة أحد في الأيام الظاهرية ثم
ان الناصر فرج بن برقوق أقام الأمير تراز في نيابة السلطنة فلم يسكن دار
النيابة في القلعة ولا خرج عما يعرفه من حال حاجب الحجاب ولم يل النيابة
بعد تراز أحد وكانت حقيقة النائب أنه السلطان الذي وكانت سائر نواب
الممالك الشامية وغيرها تكتبه في غالب ما تكتب فيه السلطان ويراجعونه
فيه كما يراجع السلطان وكان يستخدم الجند ويخرج الاقدمات من غير
مشاورة ويعين الأمرة لكن بمشاورة السلطان وكان النائب هو المتصرف
المطلق التصرف في كل أمر فراجع في الجيش والمال والخير والبريد وكل
ذي وظيفة لا يتصرف إلا بأمره ولا يفصل أمرا معضلا إلا بمراجعته وهو
الذي يستخدم الجند ويرتب في الوظائف إلا ما كان منها جليلا كالوزارة
والقضاء وكتابة السر والجيش فانه يعرض على السلطان من يصلح وكان قل
أن لا يجاب في شيء يعينه (١) .

(و) الطباق — ثكنات الجند^(١)

عمرها الملك الناصر محمد بن قلاوون وأسكنها المماليك السلطانية وعمر حارة تختص بهم وكانت الملوك تعني بهم غاية العناية حتى أن الملك المنصور قلاوون كان يخرج في غالب أوقاته إلى الرحبة عند استحقاق حضور الدوام للماليك ويأمر بعرضه عليه ويتفقد لهم ويختبر طعامهم في جودته وردائه فمضى رأى فيه عيبا اشتد على المشرف والاستدار ونهرهما وحل بهما منه أى مكروه ، وكان يقول كل الملوك عملوا شيئا يذكرون به ما بين مال وعقار وأنا عمسرت أسوارا وعملت حصونا مانعة لى ولأولادى وللسلمين وهم المماليك ، وكانت المماليك أبدا تقيم بهذه الطباق لا تبرح فيها فلما تسلطن الملك الأشرف خليل بن قلاوون سمح للماليك أن ينزلوا من القلعة في النهار ولا يلبثوا إلا بها فكان لا يقدر أحد منهم أن يسير بغيرها ، ثم أن الملك الناصر محمد بن قلاوون سمح لهم بالنزول إلى الحمام يوما في الأسبوع فكانوا ينزلون بالنوبة مع الخدام ثم يعودون آخر نهارهم ولم يزل هذا حالهم إلى أن انقرضت أيام بن قلاوون ، وكانت للماليك بهذه الطباق عادات جميلة أولها أنه إذا قدم بالملوك تاجر عرضة على السلطان ونزله في طبقة جنسه وسلمه للطواشى فأول ما يبدأ به تعليمه ما يحتاج إليه من القرآن الكريم وكانت كل طائفة لها فقيه يحضر إليها كل يوم ويأخذ في تعليمها كتاب الله تعالى ومعرفة الخط والقرن وأداب الشريعة وملازمة الصلوات والأذكار وكان الرسم إذ ذاك أن لا تجلب التجار إلا المماليك

(١) لم تكن هذه الطباق دورا بعضها فوق بعض بل كانت قاعات متجاورة لكل جماعة من طباق خاص بهم — وكانت هذه الطباق واقعة في الحوش الذى به اليوم ثكنات الحرس المالىكى والمتحف الحربى وجامع سيدى سارية .

الصغار فاذا شب الواحد من المماليك علمه الفقيه شيئا من الفقه وأقرأه فيه مقدمة فاذا صار إلى سن البلوغ أخذ في تعليمه أنواع الحرب من رمي السهام ولعب الرمح ومحو ذلك ، فیتسلم كل طائفة معلم حتى يبلغ النسياء في معرفة ما يحتاج اليه واذا ركبوا إلى لعب الرمح أو رمي النشاب لا يجسر جندي ولا امير أن يحدتهم أو يدنوا منهم فينتقل إذن إلى الخدمة وينتقل في أطوارها رتبة بعد رتبة إلى أن يصير من الأمراء فلا يبلغ هذه الرتبة إلا وقد تهذبت أخلاقه وكثرت آدابه وامترج تعظيم الاسلام وأهله بقلبه واشتد ساعده في رماية النشاب وحسن لعبه بالرمح وصرن على ركوب الخيل ومنهم من يصير في رتبة نقيه عارف أو أديب شاعر أو حاسب ماهر . هذا ولهم أزمة من الخدام وأكابر من رؤس النوب ينحسون عن مال الواحد منهم الفحص الشافي ويؤاخذونه أشد المؤاخذة ويناقشونه على حركاته وسكناته فان عثر أحد من موليه الذي يعلمه القرآن أو الطواشي الذي هو معلم اليه أو رأس النوبة الذي هو حاكم عليه على أنه اقترف ذنبا أو أخل برسم أو ترك أدبا من آداب الدين أو الدنيا قابله على ذلك بعقوبة مؤلمة شديدة بقدر جرمه وبلغ من تأديبهم أن مقدم المماليك كان إذا أتاه بعض مقدمي الطباق في السحر يشاور على مملوك أنه يغتسل من جنابة فيبعث من يكشف عن سبب جنابته لن كان من احتلام فينظر في سراويله هل فيه جنابة أم لا فان لم يجده جنابة جاءه الموت من كل مكان فلذلك كانوا سادة يدبرون المماليك وقادة يجاهدون في سبيل الله وأهل سياسة يبالغون في اظهار الخيل ويردعون من جار أو تعدى وكانت لهم الادارات الكثيرة من اللجوم والأطعمة والحلاوات والفواكه والكسوات الفاخرة والمعاليم من الذهب والفضة بحيث تسع أحوال خلعانهم ويفيض عطاؤهم على من قصدهم ثم لما كانت أيام الظاهر برقوق راعي الحال في ذلك بعض الشيء إلى أن زالت دولته في سنة إحدى وتسعين وسبع مائة لما عاد إلى المملكة رخص للمماليك في سكنى القاهرة وفي النزوح فزلوا من الطباق من القلعة ونكحوا نساء أهل المدينة واخذوا إلى البطالة ونسوا تلك العوايد

ثم تلاشت الأحوال في أيام الناصر فرج بن برقوق وانقطعت الرواتب من
اللحوم وغيرها حتى عن مماليك الطبايق مع قلة عددهم ورتب لكل واحد
منهم في اليوم مبلغ عشرة دراهم من الفلوس فصار غذاؤهم في الغالب الفول
المسلوق عجزا عن شراء اللحوم وغيره هذا وبقى الجلب من المماليك
هم الرجال الذين كانوا في بلادهم ما بين ملاح سفينة ووناد في تنور
خباز ومحول ماء في غيط أشجار ونحو ذلك . واستقر رأى الناصر على أن
تسلم المماليك للفقير يتلفهم بل يتركون وشؤونهم فبدلت الأرض غير
الأرض وصارت المماليك السلطانية أرذل الناس وأدناهم وأخسهم
قدرا وأشجعهم نفسا وأجهلهم بأمر الدنيا وأكثرهم اعراضا عن الدين
ما فيهم إلا من هو أزنى من قرد وألص من فأرة وأفسد من ذئب لاجرم أن
خربت أرض مصر والشام من حيث يصب النيل إلى مجرى الفرات
بسوء أيالة الحكام وشدة عيث الولاة وسوء تصرف أولى الأمر حتى أنه
ما من شهر إلا ويظهر من الخلال العام ما لا يتدارك فرطه وبلغت مدة
المماليك السلطانية في أيام الملك المنصور قلاون سنة آلاف وسبعمائة
فأراد ابنه الأشف خليل تكميل عدتها عشرة آلاف مملوك وجعلها طوائف
فأفرد طائفتي الأرمن والجركس وسماها البرجية لأنه أسكنها في أبراج
بالقلعة فبلغت عدتهم ثلاثة آلاف وسبعمائة وأفرد جنس الخطأ والقبجاق
وأزلهم بقاعة عرفت بالذهبية والزمردية وجعل منهم جدارية وسقاة
وسماهم خاصكية وعمل البرجية سلاحدارية وجمقدارية وجاشنكيرية
واوشاقية ثم شغف الملك الناصر محمد بن قلاون بجلب المماليك من بلاد أذربك
وبلاد توريز وبلاد الروم وبغداد وبعث في طلبهم وبذل الرغائب للتجار
في حملهم إليه ودفع فيها الأموال العظيمة ثم أفاض على من يشتريه منهم
أنواع العطاء من عامة الأصناف دفعة واحدة في يوم واحد ولم يراع عادة
أبيه ومن كان قبله من الملوك في تنقل المماليك في أطوار الخدم حتى يتدرب
ويتمرن كما تقدم وفي تدريجه من ثلاثة دنانير في الشهر إلى عشرة دنانير ثم نقلته
من الجاشنكيرية إلى وظيفة من وظائف الخدمة بل اقتضى رأيه أن يملأ أعينهم
بالعطاء الكثير دفعة واحدة فأتاه من المماليك شيء كثير رغبة فيما لديه حتى

كان الأب يبيع ابنه للتاجر الذى يجلبه إلى مصر وبلغ ثمن المملوك فى أيامه إلى مائة ألف درهم فما دونها . وبلغت نفقات الممالك فى كل شهر إلى سبعين ألف درهم ثم تزايدت حتى صارت فى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة مائتين وعشرين ألف درهم^(١)

(ز) الطبليخانة

شيدت الطبليخانة تحت القلعة فيما بين الساسلة (باب العزب)^(٢) وباب المدرج فى مكان دار العدل القديمة التى هدمها الناصر محمد بن قلاوون عام ٥٧٢٢هـ (١٣٣٢م) وصار ينزل الى عمارتها بين الفينة والفينة وتولى عمارتها آق سنقر . شاد العماير — ووجد فى أساسها أربعة قبور عليها قطع رخام منقوش عليها أسماء المقبورين وتاريخ وفاتهم فنبشوا ونقلوا قريبا من القلعة .

وكانت الطبليخانة ساحة بغير سقف فلما ولى الأمير سودون طاز أمير أخور وسكن الاصطبل السلطانى . عمر هذه الطباق فوق الطباق وكان الغرض من عمارتها صحيفا فان المدرسة الاشرفية كانت حينئذ قائمة تجاه الطبليخانة . ولما كان زمام الفتن بين أمراء الدولة تحصن فوقها طائفة ليرموا على الاصطبل والقلعة فأراد ببناء هذه الطباق فوق الطباق أن يجعل بها رماة حتى لا يقدر أحد يقم فوق المدرسة الأشرفية .

ومن المحتمل أن تكون دار المحفوظات الحالية قد شيدت على انقاض الطبليخانة . ونحن لانعلم بعد ما صارت عليه هذه الطبليخانة فيما بعد وفى أى عصر أهمل شأنها وزال استخدامها .

(١) الخطط المقرزية ج ٣ ص ٣٤٦ — ٣٤٨

(٢) ليس هو باب العزب القائم اليوم بل على مقربة منه

(ح) الحوش :

استهل العمل فيه على أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٨ م) وكانت مساحته أربعة فدادين . وكان موضعه بركة كبيرة قطع ما فيها من الحجر لعمارة قاعات القلعة حتى صارت غورا كبيرا .

وحينما شرع في العمل ، القى على عاتق كل أمير من أمراء المؤمنين تقديم مائة رجل ومائة بهيمة لقل التراب ، كما عهد بنفس الشيء الى كل أمير من أمراء الطليخانة ، ونذب الأمير أقبغا عبد الواحد " شاد العماير " للاشراف على عملية البناء .

وتواند من لدن كل أمير جنده ودوابه كما مثلت الأسارى ، وسخر والى القاهرة ووالى مصر الناس ، واستقدمت رجال النواحي ، وجلس استأدار كل أمير فى خيمة ووزع العمل عليهم بالاقصا ب . ومضى العمل على النسق المرتب ، يواليه بعنايه الأمير اقبغا الذى كان لا ينفك يستجث الناس فى سرعة العمل واتقانه . وكان الملك الناصر يحضر يوميا بنفسه يتفقد مسيرة العمل .

ومما يذكر أن العمال نالهم من مشاق العمل ضرر بالغ مرجهه شدة الحر وقسوة الجور .

ونقض المال ايديهم من البناء بانقضاء سنة وثلاثين يوما ، وصار معدا الأعداد الذى وضع له فى بداية الأمر .

وكان أن حشد فيه النى رأس من الغنم والأبقار جلبت من الصعيد والوجه البحرى ، ثم أجرى الماء بين جوانحه من القلعة وقد قيل أن أعداد الأغنام بلغت بعد موت الملك الناصر ثلاثين ألف رأس سوى اتباعها ، ولأسباب ما أبطل استعمال الحوش للحيوانات .

وفي أيام الملك الظاهر برقوق ، اتخذ الحوش مقرا للاحتفال بالمولد النبوى الشريف ومكان هذا الحوش اليوم — القسم المنخفض من مباني القلعة فى الجهة الشرقية منها حيث يوجد الآن ديوان كسجدا . وهو القاعة الكبيرة التى تسمى قاعة العدل — انشأها محمد على الكبير فى سنة ١٢٢٩هـ (١٨١٤م) وكان يجلس فيها الكسجدا أى وكيل الوالى لنظر أمور الدولة ومصالح الناس ويوجد فى الحوش الآن الذى كسجدا الضرب القديمة التى كانت فى وقت ما دارا للحفوظات — وجعلها داخل سور القلعة الحالية .

(ط) الاسطبلات :

كان أول من استحدثت الاسطبلات بالقلعة — الملك الكامل واستمرت فى أيام خلفائه ، ولكن على عهد محمد بن قلاون زادت نموا ونشاطا واتسعت رحابها — فهو بحق لا يمتبر منشئها ولكن مجددتها ومحبيها ..

وقد أسهب المقرئ فى الكلام عن هذه الاسطبلات . وهى مجموعة من المباني كان يقيمها بعض كبار أمراء دولتى المماليك بغية سكنى الأمير هو وأسرتة ومماليكه وخيوله — فكان الاسطبل يشمل قصر السكنى ويوتا لماليكه واسطبلات لجياده ومخازن ائوتتها وحفظ سروجها — ومثال لها اسطبل قوصون الذى كان بجوار مدرسة السلطان حسن ، وله بابان أحدهما من الشارع بجوار حدوة البقرة والثانى قبالة باب القلعة المعروف بباب السلسلة — انشأه الأمير علم الدين سنجر الجقدار ولكن ابتاعه منه الأمير سيف الدين قوصون وصرف له ثمنه من بيت المال . وما لبث أن زاد فيه قوصون وأضاف بداخله عدة عمائر بين دور اسطبلات . بجناء قصر عظيم .

وموضع اسطبل قوصون^(١) اليوم المنطقة التي تتضمن القصر الأثرى
الباقى الى اليوم خلف جامع السلطان حسن المعروف بقصر يشك أو بقصر
الأمير اقبردى الدوادار وقد حرف العامة الاسم الى بردق فأصبح يعرف
بقصر بردق — والأرض الفضاء المحيطة بهذا القصر التي كانت تعرف
بجوش بردق والأرض القائم عليها الآن مدرسة عثمان باشا ماهر الواقعة
خلف القصر بشارع قرقول المنشية والأرض القائم عليها النصف الغربى
من عمارة والده الخديوى اسماعيل الشهيرة بعارة خليل أغا المطاطة على ميدان
صلاح الدين خلف جامع السلطان حسن

وكانت وظيفة ناظر الاسطبلات جالية القدر فى أيام المماليك ، وأول
من استجدها الملك الناصر محمد بن قلاوون

ويستفاد مما ذكره المقرئى أن الأسطبل السلطانى فى أيام الناصر محمد
مكانه اليوم مجموعة المباني التي بها مخازن وورش الجيش المصرى بالقلعة
الواقعة على يمين الداخل من باب العزب الذى كان يسمى قديماً باب
الاسطبل — فى المسافة الممتدة بين جامع احمد اغا الى نهاية الورش
من جهاتها الغربية والقبلىة والشرقية — هذا مع العلم بأن المكان الحالى
للأسطبل المذكور ليس فى مذهب أرضية قلعة الجبل بل هو فى مستوى
أوطى مما عليه فى القلعة ويحيط به السور الأسفل الغربى المنحرف على
ميدان صلاح الدين^(٢) .

(ى) الميدان :

وإلى هنا قد تكلمنا عن مشتملات قلعة الجبل الرئيسية فى داخلها
وخارجها ، ولا بد أن نحول حديثنا إلى ميادينها حيث يتدرب الجنود
ويعرض الجيش .

(١) محمد رمزى — تعليقات النجوم الزاهرة — ج ٩ ص ١١٠ — ١١١

(٢) محمد رمزى — تعليقات النجوم الزاهرة — ج ٩ ص ٣٦

لقد احتوت القاهرة على ميادين شتى ، والحديث عنها ليس هذا مجاله
فدقمصر الحديث الآن عن ميادين القلعة . فلنأجأ إلى عمدتنا في البحث
وهو المقريزي .

كان أهم تلك الميادين — وما زال إلى اليوم — قره ميدان ، أو الميدان
الأسود ، وهو الذى يطلق عليه المقريزي ميدان الناعة .

مثل هذا الميدان من بقايا ميدان أحمد بن طولون. جدده الملك الكامل
بن العادل فى عام ٦١١ هـ (١٢١٤ م) ثم عفى به الملك الصالح نجم الدين
أيوب عناية زائدة وأنشأ حوله الأشجار . فجاء من أحسن الميادين . وفى عام
٦٥١ هـ هدمه الملك المعز أيك التركمانى فزال آثاره . وفى عام ٧١٢ هـ
(١٣١٢ م) عمره الملك الناصر محمد بن قلاوون وحفر فيه الآبار والسواقى
وغرس خلاله النخيل والأشجار وأدار عليه سورا من الحجر وبني حوضا للنيل
من خارجه . فتأتى ميدانا فسيح المسدى يمتد تحت سور القلعة من باب
الأسطبل إلى قرب الزرافة . ويستفاد مما أورده ابن أياس فى كتاب
” بدائع الزهور ” (ص ٥٦ ج ٤) أن السلطان الأشرف قنصوه الغورى
عمر هذا الميدان عمارة لم يسبق لها مثل فى سنة ٩٠٩ هـ (١٥٠٣ م) فردم
أرضه بالطين وعلى أسواره وجعل له بابا كبيرا مطلا على الرملة وعليه
قصر فاخر . وأنشأ بالميدان بستانا غرس فيه جميع أنواع أشجار الفاكهة
وهيا به مقعدا وبيتا كما أقام فى الجهة الغربية منه قصرا حافلا ومنظرة
وغير ذلك من المباني الفاخرة .

ومن هذا يتبدى أن ميدان القلعة والميدان الأسود أو قره ميدان مكانه
اليوم ميدان صلاح الدين ويقال له ميدان المشية .

ويقول المقريزي أن الملك الناصر لما انتهى من تعديل هذا الميدان
نزل إليه وأحب فيه الكرة مع أمراءه وخلع عليهم . واستمر يلعب فيه يومى
الثلاثاء والسبت . وصار القصر الأبلق يشرف على هذا الميدان . وإذا
ركب السلطان إليه نزل من درج تلى قصره الجوانى . فينزل السلطان إلى

الاسطبل الخاص ثم إلى هذا الميدان وهو راكب وخواص الأمراء في خدمته فيعرض الخيول الخاصة للتفسيح — وفي هذا الميدان يصل السلطان أيضا صلاة العيدين ويكون نزوله إليه في يوم العيد وصعوده من باب خاص من دهايز القصر غير المعتاد النزول منه . فإذا ركب من باب قصره ونزل إلى منفذه من الاسطبل إلى هذا الميدان ينزل في دهايز سلطاني قد ضرب له على أكل ما يكون من الابهة فيصلي ويسمع الخطبة ثم يركب ويعود إلى الايوان الكبير ويمد سماطه ... إلى أن كانت سنة ٨٠٠ هـ (١٣٩٨ م) فصلى الملك الظاهر برقوق عيد النحر بجامع القلعة لتخوفه بعد وقعة الأمير على باي فهجر الميدان (١)

(ك) قناطر مياه القلعة :

ومن أظهر الأعمال الجليلة التي مانفك أثرها باقيا إليه اليوم تشهد بعلو رأى الملك الناصر محمد — قناطر المياه التي أمر بتشيدتها لنقل المياه بواسطتها إلى القلعة . وهو مشروع جبار تدل على بعد نظره ومهارة مهندس ذلك العصر الذهبي في تاريخ القلعة بل وفي تقدم مصر الهندسى في ذلك الحين .

ولقد أفرد المقرئى عدة صفحات من كتابه لوصف هذه القناطر العظيمة . وسنقل عنه ما جاء فيه لكي نصل إلى جواب هذا السؤال "من أين تستقى القلعة ؟ . . ."

جميع مياه القلعة عن ماء النيل تنقل من موضع إلى موضع حتى تمر في جميع ما يحتاج إليه بالقلعة . وقد اعتنى الملوك بعمل السواقى التي تنقل الماء من بحر النيل إلى القلعة عناية عظيمة — فأنشأ الملك الناصر محمد قلاون في سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) أربعة سواقى على النيل تنقل الماء إلى السور ثم من السور القلعة وعمل نقالة من المصنع الذي عمله الظاهر

(١) الخطط المقرئية (الطبعة الفرنسية) ج ٢ ص ٢٢٨ و ٢٢٩

يبرس بجوار زاوية تقى الدين رجب التى بالرميلة تحت القلعة إلى بئر الاسطبل — فلما كانت ٧٢٨ هـ (١٣٢٩ م) عمل الملك الناصر على حفر خليج من ناحية حلوان إلى الجبل الأحمر المطل على القاهرة ليسوق الماء إلى الميدان الذى عمله بالقلعة . ويكون حفر الخليج فى الجبل فتزل لكشف ذلك ومعه المهندسون بخاء قياس الخليج طولا اثنين وأربعين ألف قصبة فيمر الماء فيه من حلوان حتى يحاذى القلعة فاذا حاذها بنى هناك خبايا نحل الماء إلى القلعة ليصير الماء بها غزيرا كثيرا دائما صيفا وشتاء لا ينقطع ولا يتكف لمحملة ونقله ثم يمر من محاذة القلعة حتى ينتهى إلى الجبل الأحمر فيصب من أعلاه إلى تلك الأرض حتى تزرع . وعند ما أراد الشروع فى ذلك طلب الأمير سيف الدين قسطلوبك بن قراستقر الجاشنكير أحد أمراء الطبليخانة بدمشق بعد ما فرغ من بناء القناة وساق العين إلى القدس فحضر ومعه الصناع الذين عملوا قناة عين بيت المقدس على خيل البريد إلى قلعة الجبل . فانزلوا ثم أقيمت لهم الجرايات والرواتب وتوجهوا إلى حلوان ووزنوا مجرى الماء وعادوا إلى السلطان وصوبوا رأيه فيما قصدوا والتزموا بعمله . فقال كم تريدون . قالوا ثمانين ألف دينار فقال ليس هذا بكثير .

فقال كم تكون مدة العمل فيه حتى يفرغ قالوا عشر سنين . فاستكثر طول المدة . ولما تشاور الأمراء لم يعارضه فيه أحد إلا الفخر فاظر الجيش . فانه قال : بمن يحفر السلطان هذا الخليج ؟ قال : بالعسكر . قال : والله لو اجتمع عسكر آخر فوق العسكر السلطاني وأقام سنين ما قدروا على حفر هذا العمل فانه يحتاج الى ثلاث خزان من المال . ثم هل يصح أولا ؟ فرجع السلطان عن عمله .

ثم أعاد السلطان — قسطلوبك وعماله — إلى دمشق ومات عقب ذلك فى سنة ٧٢٩ هـ (١٣٢٩ م) .

فلما كانت سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) أهتم الملك الناصر ثانية بسوق الماء إلى القلعة وتكثيره بها لسقى الأشجار وملء الفساقى ولأجل مراحات الغنم والابقار . فطلب المهندسين والبنائين ونزل معهم وسار في طول القناطر التي تحمل الماء من النيل إلى القلعة حتى انتهى إلى الساحل . فأمر بحفر بئر أخرى ليركب عليها القناطر حتى تتصل بالقناطر العتيقة فيجتمع الماء من بئرين ويصير ماء واحد يجري إلى القلعة . فعمل ذلك ثم أحب الزيادة في الماء أيضا فركب ومعه المهندسون إلى بركة الحبش^(١) وأمر بحفر خليج صغير يخرج من البحر ويمر إلى حائط الرصد^(٢) وينقر في الحجر تحت الرصد عشرة آبار يصب فيها الخليج المذكور ويركب على الآبار السواقي لتقلل الماء إلى القناطر العتيقة التي تحمل الماء إلى القلعة زيادة لمائها وكان فيما بين أول هذا المكان الذي عين لحفر الخليج وبين آخره تحت الرصد أملاك كثيرة وبساتين عدة — فندب الأمير البغا عبد الواحد لحفر هذا الخليج واشترى الأملاك من أربابها — فحفر الخليج وأجرأه في وسط بستان الصاحب بهاء الدين بن حنا وقطع انشاءه وهدم الدور وجمع عامة الحجارين لقطع الأحجار ونقر الآبار — وصار السلطان يتعاهد النزول للعمل كل قليل — فعمل عمق الخليج من فم البحر أربعة قصبات وعمق كل بئر في الحجر أربعين ذراعا . ولكن توفي السلطان قبل تمام هذا العمل — فبطل وانطمر الخليج بعد ذلك .

(١) هذه البركة كانت واقعة جنوبي مدينة مصر فيما بين النيل والجبل ولم تكن بركة بالمعنى المعروف وإنما كانت خوضا من الأراضي الزراعية يغمرها ماء النيل وقت فيضانه سنويا بواسطة خليج بنى وائل . فكانت الأرض وقت أن يغمرها الماء تشبه البرك .

(٢) يعرف اليوم بجبل اسطبل عنتر تحفة قرية أثر النبي جنوبي مصر القديمة . ويعلوه الآن مبنى جده محمد على الكبير وجعله مخزا للبارود باسم جبجانة أثر النبي وقسميه العامة اسطبل عنتر وإليه ينسب جبل الرصد المذكور — وحائط الرصد هذا هو جهة الجبل الغربية التي تشرف على قرية أثر النبي (محمد رمزي) .

منه إلى اليوم قطعة بجوار رباط الآثار^(١) حتى هدمها الأمير يلبغا السالمى
فى سنة ٨١٢ هـ (١٤٠٩ م) وأخذ ما كان به من الحجر فرمى به القناطر إلى
كانت تحمل الماء حتى يصل إلى القلعة وكانت تعرف بسواقى السلطان ،
فلما هدمت جهل أكثر الناس أمرها ونسوا ذكرها .

القلعة فى أعقاب عصر الملك الناصر بن قلاوون

طالعنا فى الفصل السابق تلك الآثار الخالدة من العائز الجليلة التى شاهدها
السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فى قلعة القاهرة . والتى يتضاءل
شأنها تدريجيا حتى شغلها العثمانيون حينما من الدهر وأتوا على ما كانت عليه
من روعة وجمال . فلما وفد الفرنسيون على مصر ، فى آخريات القرن الثامن
عشر ، كانت خرائب بالية قد تحدثك أحجارها عن ماضيها المؤود .

ففى أيام خلفاء محمد بن قلاوون ، فى الأبناء والأحفاد ، شيد بعضهم
طائفة من القاعات والقصور الصغيرة ، كان منها قاعة الدهيشة والبيسرية

قاعة الدهيشة :

تحدث عن هذه القاعة المقرئ فى خطه . فقال :

عمرها السلطان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون
فى سنة خمس وأربعين وسبعائة وذلك أنه بلغه من الملك المؤيد عماد الدين
صاحب حماه أنه عمر بجماه دهيشة لم يكن مثلها فقد قصد مضاهاته وبعث

(١) رباط الآثار لا يزال موجودا عامرا بإقامة الشعائر الدينية باسم جامع أثر النبى
بقريه أثر النبى الواقعة على النيل جنوبى مصر القديمة وقد عمرها صاحب تاج الدين جدومات
فى سنة ٧٠٧ هـ قبل أن يكمله . فأكمله ولده ناصر الدين محمد وقيل له رباط الآثار لأن
الصاحب تاج الدين المذكور كان أهذى بعض القطع الأثرية من مخلفات النبى محمد صلعم
ووضعها فى خزانة بهذا الرباط فعرف بها (محمد بك رمزى — تليقات النجوم الزاهرة

الأمير اقبحا المهندس لكشف دهيشة حماة وكتب انائب حلب
ونائب دمشق بحمل النى حجر بيض والنى حجر حمر من حلب ودمشق وحشرت
الجمال لجلها حتى وصات الى قلعة الجبل وصرف فى حملتها كل حجر من
حلب ودمشق اثنا عشر درهما ومن دمشق ثمانية دراهم واستدعى الرخام
من سائر الأمراء وجميع الكتاب ورسم احضار الصناع للعمل ووقع الشروع
فيها حتى تمت فى شهر رمضان منها وقد بلغ مصروفها خمسمائة الف درهم
سوى ما قد من دمشق وحلب وغيرهما وعمل لها من الفرش والبسط والآلات
ما يحل وصفه بها (١)

وقد قيل أن والده الناصر محمد ابتداء فى عمارتها ولم ينته منها فأكلها ابنه
هذا . ولم يستطع أحد بعد تفسير كلمة دهيشة — قد تكون "حما" أو
ما يشبه المدرسة أو الربع (٢)

قاعة البيسرية

وشيد السلطان الملك الناصر حسن ، أحد أبناء الملك محمد بن قلاوون ،
الذى اشتهر مسجده الرائع بقالة القاعة ، قاعة البيسرية . ومثل هذه القاعة
خصها المقرينى بعنايته — كعهده دائما — فنراه يقول :

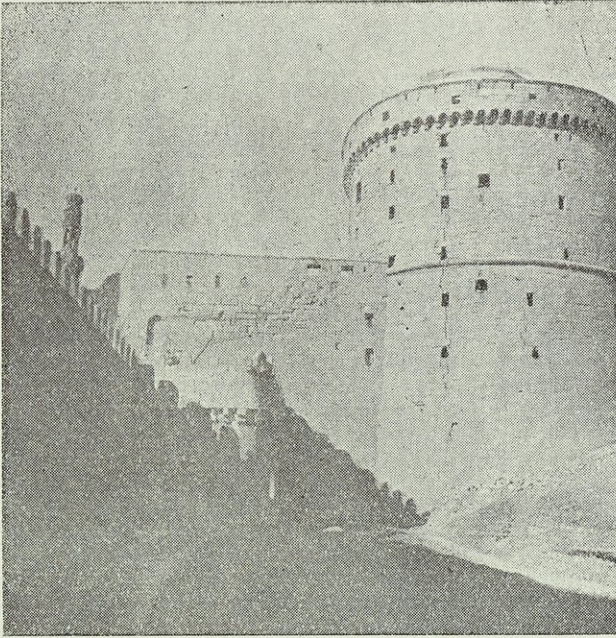
كان ابتداء بنائها فى أول يوم من شعبان سنة ٧٦١هـ (١٣٦١م) ونهاية
عمارتها فى ثامن ذى الحجة من السنة المذكورة بخاءت من الحسن فى غاية
لم يرمثلها وعمل لهذه القاعة من الفرش والبسط ما لا تدخل قيمته تحت
حصص فى ذلك تسعة واربعون ثريا برسم وقود القنابل جملة ما دخل فيها

(١) المذكرات ج ٢ ص ٢١٢

(٢)

(٢) كازانوافا — تاريخ القلعة بالفرنسية

من الفضة البيضاء الخالصة المضروبة مائتا ألف وعشرون ألف درهم وكلها مطاية بالذهب وجاء ارتفاع بناء هذه القاعة طولاً في السماء ثمانية وثمانين ذراعاً وعمل السلطان لها برجاً يبيت فيه من العاج والأبنوس مطعم يجلس بين يديه وأكتاف وباب يدخل منه وفيه مقرنص قطعة واحدة يكاد



(شكل ١ — برج المقطم بالسور الجنوبي بالقاعة)

يذهل الناظر إليه بشبابيك ذهب خالص وطرارات ذهب مصوغ وشرفات ذهب مصوغ وفيه مصوغة من ذهب صرف فيه ثمانية وثلاثون ألف مثقال من الذهب وصرف في بؤنة وأجره ثمانية ألف ألف درهم فضة عنها خمسون ألف دينار ذهباً ويصدر إيوان هذه القاعة شبه الحديد يقارب باب زويلة يطل على جنيحة بدعة الشكل (١)

القلعة في عهد السلاطين الجراكسة

(١٣٨٢ - ١٥١٧)

جرى ملوك أسرة الجراكسة على السكنى في أبراج القلعة ، وتركوا جزيرة الروضة ، حيث عاش معظم الممالك البحرية .

وأول سلاطين الجراكسة السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق (٧٨٤ هـ - ١٣٨٢ م) ومن أظهر أعماله في القلعة أنه جدد عمارة القاعة التي تحمل ماء النيل الى قلعة الجبل ، وجدد عمارة الميدان من تحت القاعة بعد ما أضناه الخراب ، بل ورواه وزرع فيه القرط وغرس به النخيل ، وعمر صهر يحميا ملاء بالمياه ومكتبا لتعليم أولاد المسلمين القرآن الكريم وجعل عليه وقفا ، كما عمر أيضا بالقلعة طاحونا وسبيلا تجاه باب الضيافة قبالة القلعة ، واجتمع بسطا جديدة لدار العدل عام (٧٨٧ هـ - ١٣٨٥ م) .

وقد أورى المقرئ في "كتاب السلوك" أن في تاسع جمادى الأولى من (عام ٧٩٠ هـ أو ما يليه) قدمت طوائف من المجندين ونزلوا تحت القلعة وشرعوا في حفر حفرة خلف القلعة وراء أسوارها ، وتوعير طريق باب القلعة (باب القرافة) ، وتوعير باب الحوش وباب الدرفيل ، كما تزايد الاهتمام بتحصين القلعة ونقل الأحجار إليها لاستخدامها في المنجنيق .

وفضلا عن ذلك ، أمر ببناء حائط بين باب الدرفيل وسور القلعة ، وأن يقام حائط آخر في جوار باب الدرفيل الى الجبل ، وسد باب الدرفيل وباب سارية (الباب المدرج) تحت دار الضيافة .

وهناك كتابة منقوشة تعزز أعمال التحصين التي سلفت ، وهى بادية في جدار القلعة ، الذى عجز الى المغفور له الخديوى اسماعيل أمر تجديده .

"بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا السور المبارك مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق على يد المقر الأشرف السيفى جركس الخليل

(١) موضع الكتابة الاصلى غير موضعها الحال . وقد لاحظ كلأتوقا في جزء من قطعة

السور المجاورة فراغا مساحته تعادل لوحة الكتابة المذكورة .

أمير أخور الملكي الظاهري وذلك بتاريخ شهر (ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وسبعائة .

وقد لعب جركس الخليلي هذا دورا كبيرا في أيام برقوق . فهو الذي كان يباشر بناء مستشفى برقوق الكبير ، وهو مشيد خان الخليلي المعروف وخطرة الخليل . وقد قتل في إحدى الحملات العسكرية بالقرب من دمشق في ١١ ربيع الثاني عام ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م) بعد انقضاء وقت قليل على انتهاء عمارة سور القلعة .

وتولى العرش بعد برقوق ابنه فرج (٨٠١ هـ - ١٣٩٩ م) وله من العمر ثلاث عشرة سنة . فأمر بتشيد مسجد الحوش عام (١١٨٢ هـ - ١٤٠٩ م) وكان هذا الجامع في داخل قلعة الجبل بالحوش السلطاني - وصار يصلى فيه الخدم وأولاد الملك الناصر محمد . إلى أن قتل فرج على يد الأمير شيخ الزعيم الكبير . وقد سبق هذه الجريمة حدوث اضطرابات في القاهرة وكان الأمير استبغا الزردكاش في القلعة ، فلما سمع بمصير الأحوال وقرب وصل الأمير شيخ بعد مطاردته فرج ، شرع في تحصين القلعة واختزان الطعام والماء . ولكن لم يجد كل هذا واستحوذ الأمير شيخ على القلعة وعزل فرج وانتهى الأمر بموته وولى مكانه المستعين سلطانا على مصر وكان العوبة في يده وما لبث الأمر طويلا حتى كسب العرش لنفسه (٨١٥ هـ - ١٤١٢ م)

واهتم السلطان شيخ المؤيد بترميم القلعة ، ولكن أحدا من المؤرخين لم يف تلك الأعمال حقها من التفصيل ومن أظهر تلك الأعمال القيمة بالتسجيل تشييده جامع على مقربة من سور القلعة . يسميه المقرئ (جامع الصوه) ، وكان موقفه بين الطلبخاه وباب القلعة (المدرج) .

وقد ذكر المؤرخ ابن أياس بأن هذا السلطان كان لا يقيم بالقلعة إلا قليلا وكان - في معظم أيامه - يلوذ ببيت ابن البارزى في بولاق ، إلى أن مات بعد مرض لم يمهله طويلا ، وترك العرش لابنه أحمد .

وتغر السون سواما ، ولا يذكر المؤرخون شيئا عن عمارة القلعة سنون
مدها خمسين على وجه التقريب إلى أن يجلس على العرش السلطان الأشرف
قايتباى (٨٧٢هـ — ١٤٦٧م) اللهم إلا السلطان جقمق الذى نازع من نفسه
السلطان يوسف برسباى نخلعه وسجنه وتولى الحكم بدلا منه . ومما يذكر
أن لهذا السلطان لوحة نقشت عليها الكتابة الآتية وثبتت فى الحائط الأيمن
لمدخل باب السارية ويفهم منها ماتم على يديه فى القلعة .

”بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أمر
بتجديد هذا سلم المدرج بباب القلعة الشريفة سيدنا ومالك رقنا الملك
الأعظم سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محب العدل
فى العالمين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين سلطان العرب
والعجم وصاحب السيف والقلم والبند والعلم أفضل من حكم فى عصره
بالحكم صاحب الديار المصرية والنلاع الشامية والسواحلية السلطان الملك
الظاهر أبو سعيد جقمق عز نصره (بتاريخ شهر) جمادى الآخرة سنة احدى
وخمسين وثمان مائة“ .

ولم يتناول ابن اياض أعمال السلطان قايتباى فى القلعة إلا أنه جدد
عمارة الإيواف الكبير بالقلعة . وأنشأ المنعم الكبير والبيتين اللذين
فى الحوش السلطاني .

وهناك على اليمين — نقش باسم قايتباى (١٤٦٧ — ١٤٦٦ م)
يشمل الكتابة التالية :

”بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على آله وصحبه وسلم

أمر بتجديد هذه القلعة الشريفة السلطان من فضل الله تعالى وحسن
عطائه ونعمته سيدنا ومولانا مالك رقنا سلطان الاسلام والمسلمين قاتل
الكفرة والمشركين محب العدل فى العالمين أبو الفقراء والمساكين ملك
البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين مولانا السلطان الملك الأشرف
أبو النصر قايتباى أطال الله ملكه“ .

وخلف قايتباى ابنه الناصر محمد (١٤٩٦) ولم تمتد حياته فقد قتل بعد سنوات قلائل ، خلفه ثلاثة سلاطين ضعاف تعاقبوا على العرش وهم على التوالى . فانصوه الأشرفى وجانبلاط وطومان باى الأول . تميز عهدهم بقصر فترة الحكم ، وتكاثر الاضطرابات ، وانتهاء كل منهم بالعزل ، نتيجة لهماج الممالك ، ومحاصرتهم القلعة اطردهم .

وبالرغم من وجود اوحة وخامية مستطيلة عليها كتابة بالنسخ الجليل ما زالت باقية فى مكانها الى اليوم تحمل اسم السلطان أبونصر طومان باى ، فاننا نرى أن قصر مدة حكمه ^(١) لا تسمح باجراء العمارة التى نوه بها فى تلك اللوحة ، ونعتقد عن يقين أنها تعزى للسلطان جنبلاط (٩٠٥ - ٩٠٦ هـ) يؤيدنا فى ذلك ما أورده المؤرخ المصرى ابن أياس فى كتابه . قال :

إن السلطان (جنبلاط) أخذ فى أسباب تحصين القلعة بالمدافع وتركيب المكاحل وادخر فيها ما يحتاج اليه من بقسماط ودقيق وجبن وعسل وحطب وعليق وملاء الصهاريج بالماء . وادخل فى القلعة أشياء كثيرة من احتياج المطبخ ثم بنى برجاً محيطاً على باب السلسلة وبنى باباً بالجمر على باب المدرج وحصن الأبراج التى حول القلعة . ثم إن السلطان صار ينزل إلى الرميلة ويكشف على البنائين الذين يبنون الأبراج — وكاد يأمر بهدم قبة مدرسة السلطان حسن لولا أن راجعه فى ذلك الأمير تغرى بردى الاستادار .

تمت كل هذه التصديحات لتقوية مباني القلعة خوفاً من غزو العثمانيين مصر . فقد أصبحوا يهددون مصر من ناحية حدودها الشمالية الشرقية فى جهة الشام — وظهر أثر حملتهم على أيام السلطان قانصوه النورى وهزيمته فى معركة برج دابق قرب حلب واستشهاده تحت سنايك الخيل . ولم تقاوم أسوار القلعة أو أبراجها قبالة جمافل العثمانيين ومدفعيتهم الخفيفة فى الميدان

(١) كانت مدة حكم طومان باى الأول ثلاثة شهور و ١٣ يوماً بحسب .

واستقرت مصر طيلة ثلاثة قرون تقريبا في إغفاءة عميقة ، إلى أن أنهضها
من سباتها محمد على الكبير .

فإذا عمر فيها السلطان قانصوه . . .

لندع ابن اياس يجب لنا عن هذا السؤال — فهو مؤرخ هذا العصر
الأوحد يشاركه زميله ابن زنبيل الرمال — يذكر ابن اياس أن السلطان .
أنشأ الميدان الذى كان تحت القلعة ونقل اليه اشجارا من الشام واجرى اليه
ماء النيل من سواقى نقاله وأنشأ به المناظر والبحيرة (!) والمقعد والمبيت .
وحدد غالب عمارة القلعة منها الدهيشة وقاعة البيسرية وقاعة العواميد وقاعة
البحيرة وأنشأ المقعد القبطى الذى بالحوش وحدد عمارة المطبخ الذى فى القلعة
وجدد عمارة القصر الكبير الذى بالقلعة .

فى تلك الأيام كان السلطان الغورى يدبر ملكا واسعا — الملك الذى
ذكره أبو الطيب المنتهى وهو يمدح كافور الاخشيدي :

يدبر الملك من مصر إلى عدن إلى العراق . فارض الروم والنوب

كانت مصر والشام وبلاد العرب وبعض الجزيرة والقسم الجنوبي من
آسيا الصغرى فى سلطان ملوك مصر فى معظم العصور الاسلامية . وكانت
كذلك أيام الغورى وبلغت الأساطيل المصرية سواحل الهند — وبني
عليها قلاعاً لحماية التجارة . وقد اجتهد الغورى زمناً فى الاحتفاظ بسلطان
المصريين فى تلك الارحاء على رغم البرتغاليين . وكان بعض أمراء الهند
يستجده على الفرنج فيرسل الأساطيل والجنود فى الحين بعد الحين .

ولسنا نؤرخ مصر الاسلامية . ولنعصر كلامنا على تاريخ القلعة أيام
الغورى . ومعيننا فى هذا المؤرخ ابن اياس الذى يقول فى حوادث المحرم
سنة ٩١٥ هـ (١٥٠٩) .

(١) . عبد الوهاب عزام — مجالس السلطان الغورى ص ٥ — مطبعة لجنة التأليف

”من الوقائع اللطيفة أن في يوم الخميس ليلة الجمعة خامس عشرة . نزل السلطان إلى الميدان ونصب خيمة كبيرة . وملاء البحيرة التى أنشأها هناك من ماء النيل من المجرة التى أنشأها . ثم رسم بجمع كل ورد فى القاهرة ووضعها فى تلك البحيرة . وجمع قراء البلد قاطبة والوعاظ . وعلق احتمالا بها قناديل — وفرش حول البحيرة الفرش الفاخرة . وعزم على القضاة الأربعة . وسائر الأمراء من كبير وصغير وأرباب الوظائف من المباشرين وأعيان الناس قاطبة . وبات السلطان تلك الليلة بالميدان وبات عنده الاتابكي وجماعة من الأمراء .

ومد تلك الليلة أسبطة حافلة أعظم من سمط المولد . فمسد فى السمط أربعة صحن صينى . ورسم بأن تعمل المأمونية المحيوة وكل قطعة نصف رطل . وكان من الأرز والدجاج والغنم ما لا ينحصر . ومن اللحم ألف ونخمائة رطل . ومن الدجاج ألف طير . ومن الأوز نخمائة طير ، ومن الغنم المعايف خمسين معلونا ، ومن الرمسان الرضع أربعين رميسا ، حتى قيل صرف على ذلك السمط فوق الألف دينار بما فيه من حلوى وفاكهة وسكر وغير ذلك ، وكانت ليلة مشهورة .

وكان النورى مولعا بالحدائق والأزهار وأجرأ المياه فى الحدائق واتخاذ الأحواض والنافورات يدل على ذلك ما انتهجه فى ميدان القلعة . ومثل هذا الميدان وصفه الشاعر الشريفى مترجم الشاهنامه ، وذكره ابن عباس كثيرا . يقول فى حوادث جمادى الآخرة سنة ٩١٥ (١٥٠٨) .

وفىها كان انتهاء العمل من المجرة التى أنشأها السلطان كما تقدم . فدارت هناك الدواليب وجرى الماء فى المجرة حتى وصل إلى الميدان الذى تحت القلعة .

ثم أن السلطان صنع سواقى نالة . وبني ثلاثة صهاريج تمتلئ من ماء . النيل برسم المسالك الذين يلعبون الرمح فى الميدان وشرع فى بناء بحيرة فى وسط

ذلك البستان الذى أنشأه بالميدان فكان طول تلك البحيرة نحواً من الأربعين ذراعاً وقيل أكثر من ذلك وبني هناك عدة مقاعد ومناظر ومظلات على ذلك البستان .

وفى حوادث ذى الحجة سنة ٩١٥هـ (١٥١٠م).

وفى هذه السنة أينعت الأشجار التى غرسها السلطان بالميدان ، وأخرجت ما شتله بها من الأزهار ما بين ورد وياسمين وبان وزنبق وسوسان وغير ذلك من الأزهار الغريبة ، فكان السلطان يوضع له دكة كبيرة مطعمة بالعاج والأبنوس ويقرب فوقها مقعد نخل ينطع ويجلس عليه وتظله فروع الياسمين وتقف حوله الممايك الحسان بأيديهم المذبات ينشون عليه ويعلق فى الأشجار الأفقاص فيها طيور مسموع ما بين هنزرات ومطوق وبلابل وشحاريرو قمارى وفواخت وغير ذلك من طيور المسموع ، ويطلق بين الأشجار دجاج حبشى وبط صينى وحجل وغير ذلك من الطيور المختلفة ، إلى أن يقول ، وقد صار هذا الميدان جنة على الأرض .

وقد عاش بمصر ، فى عصر الغورى ، علماء كبار أمثال جلال الدين السيوطى والسخاوى والقسطلائى وزكريا الانصارى .

وقد ترك السلطان الغورى اسمه على أحد عقود قناطر المياه الكبيرة التى كانت تنقل الماء إلى القلعة .

وهناك لوحة رسمها جنتيلي بليني Gentile Bellini تمثل استقبال الغورى لسفير البندقية فى القلعة ويرى فيها السلطان جالساً على المصطبة التى بناها فى الحوش^(١) . ونلاحظ أنه بدون سقف ، وقد كان أول من جلس على التكة السلطان قايتباى ، ولما اعتلى العرش السلطان طومان باى الثانى آخر ملوك الشراكسة (١٥١٦ - ١٥١٧م) أمر بهدم المصطبة المذكورة

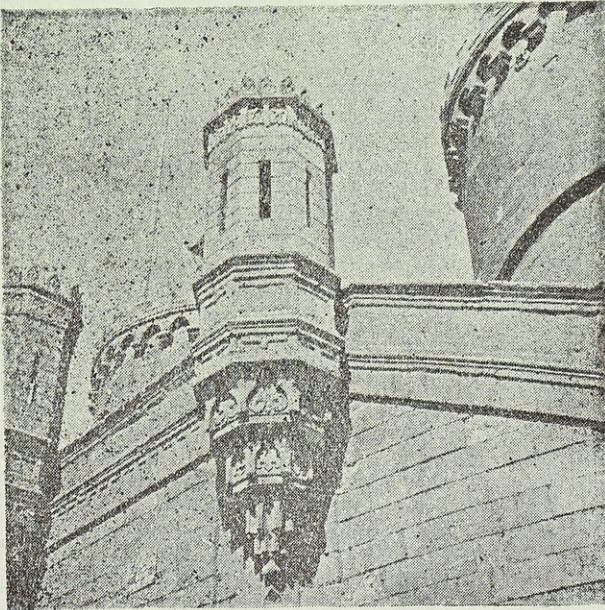
(١) هناك رأى آخر عن هذه اللوحة المحفوظة فى متحف اللوفر بباريس يقول انها تمثل أحد سلاطين آل عثمان فى الاستانة .

وأعادها تكة كما كانت في أيام قايتباى — وكانت قد تهدمت فأصلحها
وكسيت بالجوخ الأصفر وصار يجلس عليها للمحاكمات كما كان يجلس قايتباى
وقد قال ابن إياس عنها .

قد عادت التكة للحكم وانهدمت مصطبة الظلم
وصرطومانباى بين الورى يمشى الشاه مع الضغم
فياله من ملك مدله قد شاع بين العرب والعجم

وفي أيام العثمانيين يحى ذكر ديوان الغورى وديوان قايتباى والسلم الذى
يتوسط الديوانين ... وكذلك حوش الديوان — ونلاحظ وجود تلك العمار
في خريطة الفرنسيين التى وضعوها عام ١٧٩٨ كما تظهر السبع حدرات
والباب الوسطانى ...

وبهذا ينتهى تاريخ القلعة على عهد دولة المماليك الشراكسة .



(شكل ٢ — أبراج صغيرة أمام باب العزب)

القلعة في أيام القلقشندى والمقرىزى

في القرن الخامس عشر

اجتمعت لدينا جميع العناصر الضرورية التى تتألف من المتون الطويلة التى وردت في موسوعتى المقرىزى والقلقشندى . وهما مؤرخان مصريان عاصرا القلعة في أزهى أيامها . ومما سجلاه في سفرهما الضخمين نستطيع بسهولة أن نعلم للقارى وصفنا واضحاً للقلعة في منتصف القرن الخامس عشر .

والآن لنمثل أن زائراً وفد على مصر عام ١٤٤٨ مثلاً ، فما الذى كانت تقع عليه عيناه ؟ ..

عقب خروجه من باب زويلة ، ميماً صوب الجنوب ، يجد هذا الزائر أمامه طريقين أحدهما يصل إلى الفسطاط إلى جهة الجنوب وهو طريق الصليبية ، وثانيهما ينضى إلى الشرق أى القلعة وهو طريق الدرب الأحمر فإذا عبر حى النجاة تفرع الطريق إلى فرعين أولهما إلى يمينه ويصل إلى ميدان الرملة (صلاح الدين) حيث جامع السلطان حسن يواجهه باب السلسلة وإلى داخله يلنى المساكن التى تتألف منها ملحقات مبانى القلعة في أيام الأمن والرخاء كالمقاعد والقاعات التى شيدها السلاطين قبل مائة عام (القرن الرابع عشر) .

ويرى الزائر — أثر اجتيازه باب السلسلة — اسطبلات السلطان والمقعد المعد للاستقبال الذى يطل على ميدان الرملة والمسجد الذى شاده السلطان فرج بن برقوق عام ٨١٢هـ (١٤١٠م) . وإلى اليمين تقابله اسطبلات السلطان التى تتصل بباب السلسلة بوساطة مبنى كان يستعمل سجنًا للامراء الكبار وكان يسمى (الخرافة) يوصل إليه بدرج . ومن المحتمل أن تكون هذه الخرافة فى الأصل مكاناً يقذف منه الوقود الماتهب على الأعداء الذين

يجرون على اقتحام القلعة عن طريق باب السلسلة^(١) وسكنها بعض الأعوام
أحد الأمراء المكلفين بمراقبة ميدان الرميطة .

ولنراجع — بعد هذه النظرة العابرة — تلك المنشآت التي شاهدها الزائر
فهناك خاف مسجد الاسطبل يوجد طريق منحوت في الصخر يسير بمحاذاة
ال سور المتيع الذي يحيط بالقلعة ، وإذا تطلعنا الى أعلى لرأينا المدرجات
البديعة والمنشآت الجميلة ذوات المناظر الآسرة جدرها مبنية بالحجارة الصفراء
والسوداء بالتبادل ، ومن أجل هذا سمي القصر الرئيسي بالقصر الأبلق ،
ويجاور هذا القصر ويبرز عن حائطه بين الحوش والاسطبل برج يحمل
كتابة تدل على أنه شيد في عام ٧١٣ هـ (١٣١٣ م) على أيام محمد بن قلاوون
وإذا خلفنا باب السلسلة يبدأ الزائر في الصعود فيلوح على يساره بعض
المساكن . تحول عدة منها الى جامع حديث البناء يعرف اليوم بمسجد الملك
المؤيد — ونستمر في الصعود فنجد الى اليمين باب السر المخصص للسلطان
أو لمن يعرف كلمة السر — وكان السلاطين يسهرون على العناية بمراقبة
هذا الأمير ، وقد قيل أن السلطان بيبرس جاء مرة متخفيا وكان الجميع
يعتقدون بغيبابه في الشام فلم يفتح له الباب حتى فاه بكلمة السر ” العلام ”
ويفضى هذا الباب الى شرفة كبيرة شيد عليها الايوان — المقعد الكبير
المخصص للاستقبال السلطانية

ثم نوالى الصعود لنلقى نظرة على مباني الطبلخانة التي تحولت أيام
بيبرس الى قاعة العدل للنظر في شؤون الرعية ، وإذا تركنا الطبلخانة

(١) اتخذ هذا المكان بعد عام ١٨٨٢ سكناً للقائد البريطاني بالقلعة وقد أشارت بعض المراجع
التاريخية الى هذه الحرافة . ففي النجوم الزاهرة ذكر أبو الحاسن المقعد من الأسطبل السلطاني
المعروف بالحرافة كما ورد أيضا سكنه بالحرافة من باب السلسلة .

صعدنا بواسطة سلم كثير الدرج اسمه سلم المدرج له باب بنى فى أيام
بيبرس بمعرفة الأمير الدرفيل ولذلك عرف بهذا الاسم ويؤدى
هذا الباب الى سلم المدرج ، وما يذكر أن السلطان برقوق شيد حائطاً
يربط هذا الباب بالمباني المجاورة التى أشرنا إليها على يسارنا وهى محجوزة
بين أسوار القلعة العالية وهذا الحائط الذى شيده برقوق .

ونحن الى هنا لم نعبّر أسوار القلعة الأصلية ، ولم نقبل فى مبانيها الرئيسية
ولعل من الأهمية بمكان ، أن نذكر شيئاً قديماً بالاشادة ، وهو أن القلعة فى
ذيك العهد كانت تنطوى على ثلاثة نطاقات النطاق الأول (القسم) وهو
النطاق العسكرى المخصص للثكنات ذوات الأبراج والأسوار المنيعه ،
والثانى يشتمل على القصور والمسكن التى يشغلها السلطان ورجال الحاشية
والأشباع من عسكرين ومدنيين ، وهذان يعاون النطاق الثالث الذى فى
أسفلهما وتتألف مبانيه من الطبخانة والأسطبل السلطانى والمسكن التى
تعاقت على أبصارنا .

ولنستهل زيارتنا للنطاقين الأول والثانى .

فاذا صعد الزائر على سلم المدرج الذى يحاذى الجدران لمسافة خمسين متراً
لقى نفسه داخل برج مربع يؤدى الى الداخل ثم يلف يمينه لقي نفسه فى قلب
القلعة كما كانت عليه فى أيام صلاح الدين ، وهنا يتعين أن نتوقف بعض
الشيء لنقول إن الغرض من اتباع هذا النظام الهندسى فى بناء الباب الرئيسى
للقلعة هو عرقلة المهاجمين الذين يحاولون اختراق القلعة من ناحية هذا الباب
ولا يغرب عن البال أن القلعة لم تحاصر البتة ، ولم يقتحمها عدو من هذا
الباب — الشئ الذى افضى إلى إهمال استعماله على مر الأيام .

وهنا نقابلنا كتابة نستدل منها على تاريخ إنشاء القلعة في عام (٥٧٩ هـ)
(١١٨٣ م) هذا هو باب المدرج من إنشاء صلاح الدين^(١).

(١) باب المدرج هو باب القلعة العمومي القديم الذي أنشأه صلاح الدين في سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣) وقد ورد في الخطط المقرية (ج ١ ص ٢٠٤) باسم الباب المدرج ولا يزال موجودا ولكن بطل استعماله وسد الطريق الذي كان يوصل بينه وبين حوش القلعة بسبب وجود الباب الجديد الذي أنشأه محمد علي باشا الكبير في سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ - ٢٧) بجوار الباب القديم المذكور والباب الحالي يعرف بالباب الجديد أو الباب العمومي أو الباب البحري ونضيف على هذا ما جاء عن الباب المدرج في كتاب وصف مصر وخريطة القاهرة المحيطة به التي رسمها رجال الحملة الفرنسية سنة ١٨٠٠

كان الباب المذكور يعرف في ذلك الوقت بسبب مستحفظان وهم طائفة من عساكر الجيش العامل وظيفتهم المحافظة على البلاد والدفاع عنها وكان هذا الباب خاصا بهم . وكان يوجد باب آخر يقع غربى باب المدرج يسمى باب الانكشارية وهم طائفة من العساكر التركية أرسلتهم الدولة العثمانية لمحافظة على مصر . وكان هذا الباب خاصا بهم وكان يوجد خلف باب الانكشارية من الداخل باب آخر يسمى الباب الشرك لأنه كان شركة بين المستحفظان والانكشارية يمرون منه على السواء .

وفي ولاية محمد علي باشا الكبير على مصر جدد أكثر أبواب القلعة وأسوارها ومن ذلك أنه جدد باب الانكشارية في سنة ١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م) وهذا الباب لا يزال موجودا ولكنه مسدود البناء مكانه غربى باب القلعة العمومي البحري تجاه باب الدفترخانة القديمة . ولما تبين لسموه أن باب المدرج وباب الانكشارية لا يصحان لمرور العربات والمدافع ذات العجل أنشأ رحمه الله في سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٧ م) باب القلعة العمومي الحالي الذي يعرف بالبوابة العمومية أو الباب الجديد . ومهد له طريقا مستحددة لتسهيل الصعود إلى القلعة والتزول منها تعرف اليوم بشوارع الباب الجديد. وهذا =

وإذ يصل الزائر إلى داخل النطاق العسكرى فى القلعة يلقى قبائلته ميدانا فسيحا تحيط به المخازن والمساكن التى يشغلها المسالك وغيرهم . ويرى أمامه برجا كبيرا منعزلا اسمه برج القلعة الذى بناه بيبرس .

وإذا أراد الصعود فوق السور لشاهد أمامه القاهرة بمساجدها وآذنها وقبابها التى شيدها السلاطين والمسالك حديثا ولراى أيضا عن يمينه تلال المقطم التى أصبحت القلعة مفصولة عنها بعدما استبدلوا بأحجارها فاقتلعوها من محاجرها وأصبحت بذلك حصنا منيعا لا يستطاع الاقتراب منه من ناحية الشرق .

وقد حاول محمد بن تولاون أن يحول هذا المنخفض الصخرى إلى بساتين وغازيات لكن أهمل المشروع لما يتكبد من أموال ووقت وعناء .

وفى نهاية السور ، فى النقطة الجنوبية الشرقية ، يقف برج ينتهى لديه سور صلاح الدين حيث باب القرافة الذى يطل على الصحراء . ويظهر

= الباب بجواره من الشرق باب المدرج القديم ومن الغرب باب الانكشارية . وقد بطل استعمال هذين البابين من ذلك الوقت اكتفاء بالباب العمومى الحالى . ثم جدد أيضا الباب الشرقى وهو الذى يلى الباب العمومى من الداخل وهو بذاته باب السر الذى سماه ابن أياس (ج) بدائع الزهور طبعة استانبول) باب السبع حدرات لأن الطريق الذى يبنه وبين باب العزب أرضها منحدره وكان بها قديما سبع حدرات يفصل بين الحدره والأخرى درجة من الحجر وهذا الباب يعرف اليوم بالبوابة الوسطانية ويدخل منها إلى الخوش الذى فيه جامع محمد على وجامع النصر محمد بن قلاون والبوابة الداخلية بالقلعة^(١) .

وباب السر المذكور أعلاه كان لأكابر الأمراء وخوادم الدولة كالوزير وكام السر ونحوهما ويتوصل إليه من الصوة وهى بقية ما بنيت عليه القلعة من جهة القاهرة وكان يقع مقابل الايوان الكبير الذى يجلس فيه السلطان أيام الموكب وكان يغلق ولا يفتح إلا لمن يستحق الدخول والخروج منه ثم يغلق وهذا الباب هو الذى يعرف اليوم بالباب الوسطانى .

(١) [تعليق الأستاذ محمد بك رمزى بالنجوم الزاهرة ج ٩/٨]

أن هذا الباب كان قليل النفع ، ويحتمل أنه بنى فى الأصل لىؤدى غرضاً واحداً هو لىكون منفذاً لحماية القلعة للهروب منه إذا هوجمت القلعة وضيق الحصار على المدافعين .

وتصميم بناء هذا الباب هادى وليس على نمط بناء باب سارية

ولكى يكمل الزائر زيارته عائداً الى باب ساريه . ينبغى عليه أن يمر بباب القلعة الذى سبى باسم البرج السابق ذكره . وهذا الباب يصل بين النطاقين النطاق العسكرى والنطاق السلطانى .

وهذا الأخير يحتوى على مساكن كبار الموظفين فى الدولة ككاتب السلطان والوزير (الصاحب) وغيرهما .

ومن باب القلعة يخرج الأجناد والممالك الى النطاق السلطانى للعرض العسكرى وللإشتراك فى المواكب والحفلات والأعياد والأحداث الكبرى أو الخروج للجهاد . وإن كانوا يخرجون لتنفيذ مؤامرة لانزال السلطان عن عرشه أو أحداث شغب .

والمنشآت التى يحتوى عليها النطاق السلطانى تدل دلالة واضحة على ابهة الحكم فى عهود السلاطين الممالك - ولا سيما فى أيام محمد بن قلاوون .

ويواجه باب القلعة الجامع الذى بناه هذا السلطان بمئذنتيه الرشيقتين المكسوتين بالقاشانى الأخضر المنقوش بالكتابه الحساء . ويقع جنوب شرقى الجامع بئر يوسف .

ويتصل الجامع بقصر السلطان من ناحيته الجنوبية ، أما الواجهة الغربية فتطل على الميدان الكبير للايوان ، هذا الايوان الذى يمتاز بمقعده الكبير الذى تغطيه قبة يكسوها الخرف الموه الأخضر وتحمل القبة العمدة العالية ، وقد قيل إن منشأ هذا الايوان الأصل كان الملك الكامل ابن شقيق صلاح الدين . بناه على طراز الايوانات الفاطمية ثم جدد قلاوون وابنه فيما بعد . ويلاحظ أن هناك شهاً كبيراً بين طراز عمارتى الجامع والايوان .

راجع وصف الايوان فى الصفحات السابقة

وقبالة الجامع والايوان وباب القلعة ميدان فسيح يحشد فيه الجند ورجال الحاشية والأتباع في ملابسهم الفضيضة وعليها أساحتهم البيضاء ودرقاتهم المستديرة .

ولم يك هناك في هذا المكان شيء يحجب هذه المنشآت عن المدينة ، فكلها عالية شيدت على رهوة تتألف من أرصفة تعلو فوق بعضها . وكانت القصور تكشف الى مسافة بعيدة من النيل والأهرام .

والقصر الأبلق أول ما يلتفت الأنظار بين تلك المنشآت . في ركنه برج هائل اسمه الخرجاء ، تتصل به عدة قاعات تفضي الى قصر آخر مقام على نفس الطراز ، وكانت تستند جدرانها على الصخر والى أسفلها الاسطبلات بجاذاة السور الطبيعي للقلعة . وكان هناك درج له أبواب يستخدمه السلطان في النزول إلى الاسطبل بدون أن يراه أحد .

أما الزاوية الجنوبية الغربية عن القلعة فكان يشغلها قصر الاستقبالات ومن بعده إلى الشرق يمر الزائر إلى قصر الحريم السلطاني وكان ملحقا به مبان كثيرة يشغلها الحشم والخدم . وقد امتدت إلى الزاوية الشرقية للقلعة . وكان يتصل الحريم بالقصر بوساطة باب النحاس ، كما يتصل أيضا بالجامع بوساطة باب الستارة ، وقد أقيمت على جانبي القصر انقاعات الضخمة التي شيد منها محمد بن قلاوون سبعا . وقد عرفت بالسبع قاعات أو (السبع حدارات) وإحداها عرفت بقاعة الفضة . ثم شيد فيما بعد السلطان حسن بن قلاوون بالقرب منها قاعة البيسرية . وكانت تتوسط تلك القاعات وتحيط تلك القصور الحدائق الغناء التي تغذيها مياه النيل .

وقد كان في وضع السلطان إذا أراد أن يتخذ الدرج الخاص في قصره ويهبط إلى الاسطبلات ثم يخرج من باب السلسلة فالميدان .

وهذا ما يستطيع أن يشاهده الزائر بعد انتهاء جولته في النطاق السلطانية ولم يبق إلا دار الضيافة المجاورة للقلعة حيث كان ينزل فيها الملوك الأجانب وسفرائهم ، وكانت تلاصق الباب الرئيسي للقلعة وتجاور الطبخانة التي سبق الحديث عنها ...

القلعة في أيام العثمانيين

١٥١٧ — ١٧٩٨

حين تلاشت مقاومة المصريين للجيش العثماني ، وطفق العدو يسطر جناحيه على ربوع القاهرة ، نودى في حى الصايبه وقاطر السباع بأن يخلى الأهالى بيوتهم نظرا لأن السلطان سيقصد القلعة للإقامة فيها . فطاع الناس الأمر واحتل العثمانيون دورهم في الحال .

وبعد أيام ، صعد السلطان سليم إلى القلعة في موكب فخم وحواليه جنده . وما انفك أن احتجب عن أنظار الناس ، ولم يجلس على التكة كما جرت العادة من قبل . ومنذ ذلك اليوم أهمت القلعة إهملا شائنا ...

فقد ربطت المياد في الحوش لدى الايوان الكبير وباب الجامع ، وصار روث الخيل أكواما متناثرة على الأرض . وبدأ ديب الخراب يتجول في دورها وينشئ محاسنها . وامتدت الأيدي تتمتع رخامها وحليها وتقنص ما تضمنته أحشائها من نقوش وتحف ...

فتجردت قاعنا البيسرية والدهيشة والقصر الكبير وما إليها من الأياكن الهامة من بدع رخامها وطرائف زيتها ، وانقر الايوان الكبير إلى أجل عمده المسلوبة ... لا شيء إلا لأن السلطان — غفر له الله — شاءت له هويته وإعجابه أن يشحنها إلى استانبول ، حاصمة ملكه ، التي ابتغى أن يخضع عليها زينة وأبهة من أنقاض القلعة خاصة والقاهرة عامة ...

ويا ليت الأمر قد قصر على فك نفائس القلعة ونقلها ، بل تمادى أيضا إلى القصور والمساجد ، بل واستباح حرمت الدور ... دور الناس الآمنين . فكان وإلى الناهرة وهو على رأس جماعة وهم يجمعون على البيوت

يشبه بعصابات اللصوص ، يتزعون منها الرخام والطرائف ، وضى أصحاب البيوت أو لم يرضوا . وفي الوقت الذى كان هؤلاء يجدون فى أعمال النهب والتخريب كان كبار العثمانيين يستلبون الكتب الثمينة من المدرسة المحمدية والمؤيدية والصرغتمية وغيرها من مدارس القاهرة

ويقضى الأمر بالسلطان — فى سبيل تحقيق أمانيه — بترحيل عدد كبير من أصحاب الصناعات والحرف المصريين ، إلى استانبول . وبذا حرم مصر من أعمالهم الجميلة التى ازدانت بها القاهرة خلال أيام المماليك . وقيل أن السلطان أرسل بدلا منهم عددا من الصناع الأتراك .

وشرع السلطان سليم فى مباحرة مصر ، عقب أن استطالت أقامته بها ثمانية أشهر إلا أياما قلائل ، كان يتردد أبانها بين القلعة وجزيرة الروضة بل وقضى معظمها بالمقياس ، دون أن يحاول البتة الجلوس على سرير الملك بالقلعة .

وزال فى اليوم الثالث والعشرين من شعبان سنة ٩٢٣ هـ (١١ سبتمبر ١٥١٧ م) ببت ابن السلطان قايتباى ، مصر بالقلعة فى موكب زاهر بالعظمة يسبقه ملك الأمراء خير بك . ولم يخترق الموكب قلب القاهرة بل فضل السلطان السير فى خارجها .

وسلم مقاليد الحكم الى الأمير خير بك الذى خان سيده السلطان النورى وانضم الى العثمانيين . وما أن تسلم الزمام حتى صعد الى القلعة فى موكب نفخ محترقا الصليبية بالفجر . وتستولى عليه الرغبة المحمجة فى إصلاح مبانها . فيرسل فى طلب البنائين والفجارين والمبطين ليصلحوا ما أفسده العثمانيون .

دأب خير بك على إصلاح القلعة بنما كان العثمانيون دائي السطو على دور الأتكية فيزعون أبوابها وسقوفها ونوافذها ويحملونها على الجمال لبيعها فى الأسواق بأبخس الأثمان . بل أكثر من ذلك كان جنودهم يزعون أخشاب طابق القلعة ويستخدمونها فى أيقاد النار لطهى الطعام .

وكان الأمير خير بك قد أمر قائد جنود الأنكشارية بالصعود بهم إلى القلعة واحضار مكاحلهم وبنادقهم معهم . فلما وصلوا إلى نيكاتهم أسروا بادخال تلك المكاحل والأسلحة في الزردخانه ، كما أمرهم بالأقامة في طباق القلعة والا يزلوا اطلاقا إلى الميدان .

وفي يوم ٢٧ ذى القعدة عام ٩٢٦ هـ (٢٠ ديسمبر ١٥٢٠) أخذ خير بك مفاتيح الأمكنة التي في القلعة وسلمها لجماعة من الأتراك وطرد البواوين والغلمان كما أبطل الطهارة وأقام جماعة من الترك عوضهم ، وأبطل المقرئين الذين كانوا يتلون في القلعة والمؤذنين كذلك .

رأينا الجنود الأنكشارية (١) تحمي القسم الشمالى من القلعة خلفا للمالك وبعد زمن شغل طائفة العزب القسم الجنوى منها . إلا أن هذا التجاور كان مدعاة لأن ينشب الشجار بين جنود الطائفتين مرارا في القلعة ويتحول منها إلى أحياء المدينة القريبة فيسود المرح والمرج عدة أيام .

وظلت الطائفتان تضطلمان بأعمال الحامية التركية الى جانب السلب والنهب والاعتداء ، حتى وصلت الحملة الفرنسية الى وادى النيل .

وكانت المباني الملحقة بالقسم السفلى من القلعة والمجاورة لباب السلسلة مخصصة لرجال العزب ، أما المباني الأخرى التي تنهض على امتداد الميدان فكانت مقر الباشا (الوالى) — ولم يكن هذا الفصر على شئ من الفخامة

فقد وصفه دومايه بقوله : (أن القاعة التي يعتد فيها الباشوات مجتمعاتهم — طويلة ووسيمة . بيد أنها خالية من الزينة . علفت على جدرانها سبعة تروس سميكه من خشب الساج قيل أن السلطان سليم — وكان قويا مجيدا للرماية — أصاب الزس واخترق سهمها في مرة واحدة وقد كان معروفا أن السلطان أرسل هذه التروس والرمح ليظهر للمصريين مدى قوته .

(١) بقية سمي باسمهم صور الأنكشارية وهو الاسم الذى أطلقه الفرنسيون عليه .

مسجد السارية (سليمان باشا)

يقال أنه كان في موضعه جامع قسطة . شيد في الأصل للجنود
الأنكشارية ، الذين أسروا بعدم مبارحة القلعة ، حتى لا يصطدموا بطائفة
العزب في القسم الأسفل من القلعة . بينما كان مسجد ابن قلاون قد
تهدمت أركانه ، وأهملت أحواله ، وصار لا يصلح لإقامة الصلاة فيه

وكان هذا المسجد الذي أنشأه بالقلعة الوالى سليمان باشا عام ٩٣٥ هـ
(١٥٢٨ م) على طراز مساجد لاسنة . استنبط طرازه من بعض الكائنات
البيزنطية — تعلو قبة كبيرة مكسوة بالقاشاني . قبابها من كبر مكشوف
تحيط به أربعة ذوات قباب صغيرة كسيت بالقاشاني أيضا .

وفي داخل المسجد كتابة تاريخية عن إنشاء هذا الجامع نصها :

قد بنى وعمر الجنب العالى مملوك سلطان السلاطين سليمان سلطان بن سليم
خان من آل عثمان أدام الله دولته الى يوم الدين وهو أمير الأمراء المصريين
سليمان باشا اللهم أجعله من الفائزين مسجدا لوجه الله المعين طلبا لمرضاة
رب العالمين ليعبدوا فيه عبادة الله وكان تاريخه فاركوا الله مع الراكعين
(وحسب هذه العبارة بالنقط عام ١٩٣٥ هـ) .

مسجد أحمد كنفخدة

وقد شيد مسجد آخر بالقلعة في العهد العثماني ، وقد بناه الوالى أحمد
كنفخدة (١١٠٩ هـ — ١٦٩٨ م) ، وعلى أحد جدره كتابة باللغة التركية
يستدل منها على اسم منشئه وتاريخ انشاء المسجد وقد بنى على خريطة القاهرة
التي وضعها رجال الحملة الفرنسية في عام ١٧٩٨ باسم مسجد العزب .

الوالى اسماعيل باشا التركى

وقد ذكر المؤرخ المصرى عبدالرحمن الجبرتى وأيده دومايه قنصل فرنسا فى مصر أن الوالى اسماعيل باشا التركى (١١١١ هـ — ١١١٦ هـ) نهض باصلاحات شتى فى مبانى القلعة لاسيما فى زاويتها الجنوبية الغربية حيث سكن الباشوات وكذلك رمم قاعة الغورى التى بالبستان . وبنى صهيجا بداخل القلعة وأنشأ الحمام البديع بقره ميدان ونقل إلى القلعة حوض رخام كان قطعة واحدة أنزلوه من السبع حدرات .

رضوان كيتخدا الجاني

ثم يحىء دور رضوان كيتخدا الخلفى ، أحد زعماء البكوات فى القاهرة — الذى يتلمب على منافسيه من زعماء الأحزاب الكثيرة التى عرقها القاهرة فى ذاك العهد ويتحد مع ابراهيم بك ، وبدورهما يضعان أيديهما مع الوالى "قيور أحمد" فأزالوا من طريقهم جميع المنافسين بمؤامراتهم .

وتخلصت القاهرة من مكائد الأحزاب وأنانية رجالها ، وأصبحت تحت رحمة اثنين من الأمراء الأفوياء . وسرى ماتم فى القاهرة من الأحداث فى أيامهما لأنها تعطى صورة لهذه العاصمة .

كان لكل من هذين الأميرين متجه يهدف إليه فى رياسته ، فكان ابراهيم صاحب السلطان وقائد الجيوش ومدير السياسة ، على حين كان رضوان مؤلف القلوب وقبلة القصد . وكان الأميران على اختلاف اتجاهيهما متفقين متآلفين فقضيا فى رياستهما سبع سنين ونيفا .

فعلى ضفة الخابج المصرى ابتاع رضوان دارا أصلها بيت التاجر الغنى الشرايى ، وهى التى كان بها العمودان المعروفة (بثلاثة ولىة) كانت واقعة على بركة الأزبكية . وموضعها اليوم مايلى حديقة الأزبكية وميدان الأوبرا . وكانت تلك البركة آنذاك متنزها من متنزحات القاهرة المحبوبة تحيط بها

بيوت أعيان التجار والأسماء فلما اشتراها الأمير رضوان بالغ في زخرفها
وعقد على فاعائها العالية قبابا عجيبة الصنعة منقشة بالذهب المحلول واللازورد
والزجاج الملون . وكانت الأنوار تسطع في هذه القباب أثناء الليل فيكاد
يخطف بهاؤها ورواؤها الأبصار . وكان للأمر فوق ذلك من الناحية
الشمالية الغربية من هذه البركة منظره دليعة تطل من الغرب على الخليج
الناصرى ومن الجنوب على بركة الأزبكية ومن الشمال على بركة أخرى
استحدثها الأمير بتوسيع مجرى المساء في الخليج بالقاهرة مما يلى قنطرة الدكة
وأنشأ في صدر البركة مجلسا خارجا بعضه على عدة قناطر لطيفة وبعضه
داخل الغيط المعروف بغيط المعديّة وبوسطه بحيرة تملأ بالماء من أعلا
وينصب منها إلى الخوض من أسفل ويجرى إلى البستان أسقى الأشجار وابنى قصرا
آخر بداخل البستان مظللا على الخليج فكان يتنقل في تلك القصور التي نسميها
أبدع تدقيق وقصارى القول أن قصور رضوان كانت تتألق دراما بالأنوار
الساطعة ويحلم عليها الفن المصرى آيات الروعة والابداع ، وتجتمع في ابائها
هامات العصر من الأدباء والعلماء فلا غرو أن افتن الشعراء في مدح رضوان وفي
العمل على الاتصال به من هؤلاء عبد الله بن سلامة المعروف بالادكاوى نسبة
إلى بلدته إلى ولد فيها (ادكوى) ومصطفى القيسى والسيد السيدى وقاسم الونسي
وغيرهم . فقد امتدحه هؤلاء جميعا وأنشأوا فيه المقامات والتوشحات ورأينا
الادكاوى يجمع كل ما قاله الشعراء في هذا الأمير ويتخذ منه مجموعة يسميها
(النوائح الحنانية في المدايح الرضوانية) ولا يكاد يوجد شاعر في ذلك العصر
لم يتصل بالأمير رضوان إلا أن رضوانا قد أضله ما هو فيه من نعمة فترك
أمر البلاد واتبع طريق الشهوات وجاهر بالمعاصى وقد أروى الخبر
بأنه أصدر أوامره لرجال الأمن بعدم التعرض لأهل المجون فصارت القاهرة
مياذين للغزلان ونعيا للعشاق .

ظل الأميران يقيمضان على دفة الحكم في البلاد ، حتى أنعم الأمير إبراهيم برتبة
البيكوية على أحد رجاله ، فشق ذلك على إبراهيم بك الشركسى ، ونمت بينهما
الضغائن حتى قتله بيده فأصبح الأمير رضوان شيخ البلد وحده إلى أن ظهر
شأن عهد الرحمن كتحدا الإنكشارية فاخذ يعضد ممالك الأمير ويقرهم

على أمراء رضوان وتأمرؤا على اغتيال الأمير رضوان والقضاء على سلطته
فتنبه هذا الأخير لذلك واستولى على القلعة وبعض أبواب أحياء القاهرة وجامع
المحمودية وجامع السلطان حسن واجتمع إليه أغلب أمرائه وكادت تتم له
الغلبة لولا أن سعى إليه الأمير عبد الرحمن كتحصدا وأعوانه لإجراء الصالح
وطلع بهم إلى الأمير رضوان وخذعوه بكلامهم فحسنت نيته وسلم بنصحتهم

وعقب أن نزل إلى داره من "قوصون" اغتم أعداؤه الفرصة وباتوا
أمرهم ليلا ، واستولوا على القلعة وبعض الأبواب ، بينما كان رضوان آمنا
في بيته ، فلم يشعر إلا وهم يطلقون عليه الم-افع . وكان الحلاق يحلق له رأسه
فسقطت الجمل على داره فأمر بالاستعداد ، وطلب من يعتمد عليهم فلم يجد
أحدا منهم يقف بجانبه فخارب فيهم إلى قرب الظهيرة حتى أصيب في ساقه
برصاصة من مملوكه الصغير (صالح) الذي لاذ بخصومه . ولما أصيب
رضوان طلب الخيل وخرج من نقب في جدار بستانه ، وانسل قاصدا
إلى سائين فلم يتبعه أحد ونهبوا داره . ثم التجأ إلى قرية الشيخ عثمان بالصعيد
حيث مات بشرق أولاد يحيى ودفن فيها عام ١٧٥٤

وعمر رضوان بك باب القلعة بالرميلة ، وهو الباب المعروف بباب
العزب (١) وعمل حوله هاتين البنتين العظيمتين الباقيتين والزلاقة التي كانت
موجودة إلى أواخر أيام محمد علي .

الوالى محمد يحيى باشا

(١٢٠٠ هـ - ١٧٨٥ م)

وكانت القاعة ، في ذياك العهد ، شبيهة المدينة المستقلة ، تتمتع
بعزلتها — لها مساجدها وميادينها وبيوتها وحمامتها ومقابرها . فيها بيت
المال وسكن الباشا وفرقة جنود الانكشارية .

(١) هو باب السلسلة قديما .

ولما كانت الحامية العسكرية العثمانية تتصل في هذا العهد بالقلعة أوثق اتصال اسكن أفرادها في ثكناتها مع اتباعهم ، وكان لجبار ضباطها كلمة مسموعة في حكم البلاد ، فقد رأينا أن نقرر عدة صفحات للكلام عن هذه الحامية .

الحامية العثمانية والأوجاقات السبعة (١)

كانت مهمة الحامية العثمانية بمصر الدفاع عنها والاشتراك في حروب السلطان . وكذلك كانت لها اختصاصات أخرى غير حربية . فهي تساعد الباشا والصناجق (حكام المحافظات والأقاليم من الأتراك والأمراء المصريين) في توطيد الحكم العثماني في مصر . وفي الوقت نفسه ترأب الباشا والصناجق وتوازن سلطتهم . وكان رؤساء الحامية يحضرون اجتماعات ديوان القاهرة . وهم كهيئة رسمية لهم كلمة مسموعة في إدارة البلاد . ويتضح ذلك فيما كانوا يقدمونه من المطالب إلى الباشا إذا ما أحسوا منه خروجاً على العرف القديم . وكلما فكروا في استحداث قاعدة جديدة يعدلون بها نصوص قانون سليمان . وكذلك كان رجال الحامية العثمانية يشتركون في صيانة الأمن في القاهرة . ويساهمون في حكم الأقاليم وفي جميع الأموال الأميرية .

والحامية العثمانية في مصر اشتملت على عناصر مختلفة . فهي كانت تضم اخلاطاً من العسكر . من العثمانيين والمماليك والعرب والشوام والمغاربة . وبالتدرج أخذ عنصر المماليك في الحامية يقوى على حساب العنصر

(١) المجلد في التاريخ المصري - تأليف بعض هيئة التدريس بكلية الآداب بجامعة فؤاد

العثماني . وكان عدد الحامية يتراوح بين ١٢ الفا و ١٥ الفا (١) وكانت مقسمة إلى سبعة أوجاق (فرقة من الجند) وهي :

المتفرقة — والجاوشان والكوكليان والتفكيجيان والجراسية والمستحفظان أو يكشيجريان والعزيان . وكان لكل أوجاق أغا أى رئيس وكتخدا . وباش اختيار أى رئيس القدمات فيه . وجماعة الاختيارية . والجوريجية أى الضباط . وكاتب يمثل الأوجاق فى ديوان الروزنامة لى يساعد فى صرف مرتبات الأوجاق . ولعرض بشئ من الايجاز لهذه الاوجاق كل على حدة .

١ — أوجاق متفرقة (٢) : أهم أعمال هذا الأوجاق حفظ القلاع التى تحيط بمصر مثل قلاع الإسكندرية ورشيد والبرلس ودمياط والعريش والطور وأسوان وأبريم . ولكل من هذه القلاع طوائف من المتفرقة المشاة والفرسان والطوبجية مع جماعة الطباين . ونافخى البورى والمعمارين والتجارين . ويشرف هذا الأوجاق أيضا على " تشييل القوافل " ونقل الغلال ومخزن البضائع والمهمات بين الصعيد والقاهرة والسويس ويتولى هذا العمل " قافلة باشى " أى رئيس القافلة . وكذلك يعنى أوجاق المتفرقة بجمع البارود اللازم لشئون الدفاع عن مصر الذى يرسل جانب منه إلى السلطان .

٢ — أوجاق جاوشان (جمع جاويشبة) : كان العمل الرئيسى لهذا الأوجاق تحصيل الأموال الأميرية من الملتزمين وتوريدها إلى خزانة الروزنامة ومن واجبه أيضا الإشراف على شئون الغلال الأميرية . وكان المحتسب

(١) مال لعدد وحدات الحامية الثانية فى مصر فى سنة ١٠٧٤ هـ (١٦٦٤ م) ويوضح أهمية أوجاق مستحفظان ٣٢٦٥ متفرقة — ١٢٦٩ جاوشان — ١١٥٤ كوكليان — ٩٠٧ تفكيجيان — ٨٣٣ جراسية — ٨٩٩ مستحفظان — ١٣٥٦ عزيان — مجموعها ١٣٦٧٣ .

(٢) متفرقة فى الأصل الرسمى تدل على أنهم كانوا أصحاب نوع من الانقطاع .

في العهد العثماني من رجال الجاوشان . وتلخص اختصاصاته في الإشراف على الأسواق وضبط الموازين والمكاييل وتسعير المواد التجارية وضبط الأمن .

٣ — أوجاقات كوكالويان وتفتكجان وجراكسة^(١) كانت هذه الأوجاقات من فرقة الاسباهية أى الفرسان ، ويشرف كبرأؤها على الباشا ومنهم أغلب رجال الضبط وهم يشرفون أيضا على حكم الأقاليم عن طريق من يقيم بها من رجال هذه الأوجاقات من الجور بجية والمتولية^(٢) وحكام الأقاليم لم يكونوا يتولون في أمر إلا بعد مشورتهم ، وكان الباشا ينص عليهم في كل فرمان يصدره متعلقا بحكم الأقاليم ، ومن أعمالهم أيضا المحافظة على الجسور ومساعدة الملتزمين في تحصيل الأموال من الفلاحين .

٤ — أوجاق مستحفظان^(٣) : وهؤلاء هم الانكشارية ، وكانوا أقوى الأوجاقات وأكثرها عددا ، وعرفوا بأوجاق السلطان ومهمتهم مساعدة الباشا في تنفيذ أوامر السلطان . كما كانت لهم رقابة عليه ، ومنهم طائفة من كبار أصحاب المناصب مثل كتبخدا الباشا في بعض الأحيان ، واما الانكشارية الذي كانت له الرياسة العليا على ضبط مدينة القاهرة .

وكذلك سردار الحج (أى قائد القوة العسكرية المرافقة للحجاج) وسردار الخزينة (قائد القوة المرافقة للخرزينة المرسلة للسلطان) .

(١) كوكالويان أى المتطوعون وتفتكجان أى حملة البنادق وجراكسة هم المساليك الذين طلبوا الى السلطان سلايان الانخراط في سلك الحامية العثمانية .

(٢) الجور بجى أى الحائز لرتبة عسكرية تعادل البيوزباشى وتأتى بمعنى الكبير من رجال الحفظ في الأرياف أو عين من أعيان النصارى في الأرياف ، والمتولية أى الذين يتولون الاشراف على الأمن في الأقاليم .

(٣) مستحفظان أى رجال الحفظ ويسمون بكيجريان أى المعسكر الجديد .

هـ — أوجاق عزربان (رجال البحرية من حملة البنادق) : كان لرجال هذا الأوجاق مدة اختصاصات ، فمنهم بحارة ترسانة الاسكندرية والسويس . وكان من رجاله أمين البحرين ، وهو المشرف على ساحل بولاق ومصر القديمة ، فيما يتعلق بالسفن والضرائب المفروضة على الغلال الواردة على هذين الساحلين ، وكذلك كانت لهم اختصاصات بوليسية فتألف منهم مراكز البوليس بالقاهرة ، ويشرفون أيضا على الملاهي والبهلاوانات والحواة والبغايا .

ولم تتعرض مصر طوال العهد العثماني حتى قدوم الحملة الفرنسية لخطر الاعتداء من الخارج ، وليس معنى ذلك أن قوات الحامية العثمانية ظلت راكدة ، ولم تشترك في أية حروب في أثناء هذه القرون ، فالجيش العثماني المملوكي اشترك في حروب السلطان في أوقات وفي مبادي مختلفة ، فمثلا عند ما هاجم الصدر الأعظم أحمد كوبريللي جزيرة كريت اشتركت الحامية العثمانية المصرية في هذه الحروب ، وأرسلت قوة من ألفي جندي .

وانتهى ذلك الهجوم بانتصار العثمانيين وبانتزاع كريت من أيدي البنادقة في سنة ١٦٦٩ وفي أثناء الحروب الطويلة بين الدولة العثمانية والنمسا في النصف الثاني من القرن السابع عشر اشترك الجند الثماني المصري في هذه الحروب في أكثر من ميدان . فأرسلت على دفعات قوات إلى وودس وأدرنة والقسطنطينية وسالونيك وبلغراد ، وفي الحرب الروسية التركية التي وقعت في عهد كترين الثانية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر اشتركت فرق من الجند العثماني المملوكي في هذه الحرب ووصلت حتى رومانيا .

القلعة في أيام الفرنسيين

١٧٩٨ — ١٨٠١

هزم الفرنسيون في معركة (أبو قير) الحربية ، ولكنهم انتصروا على المماليك في معركة (امباة) . ودخل نابليون القاهرة في الرابع والعشرين من يوليو عام ١٧٩٨ ، وجعل مقر رئاسة الجيش العامة في قصر محمد الأتفي بنحط الساكت (فندق شبرد اليوم) .

وفي السابع والعشرين من سبتمبر في العام ذاته ، أمر الفرنسيون أهل القلعة بمبارحة منازلهم والنزول الى المدينة للسكن فيها ، واصعدوا الى القلعة مدافع ركزها بعدة مواضع ، وهدموا أبنية كثيرة ، وشرعوا في بناء جدر وكراكت وأسوار وقوضوا أبنية عالية . واعادوا مواضع منخفضة وغير مواضع القلعة وأبدلوا محاسنها ومحوها ما كان بها من معالم السلاطين واثار الحكماء والعظماء وما كان في الأبواب العظام من الأسلحة والدروع والبلط والحراب الهدية وهدموا قصر صلاح الدين .

هذا ما نقله عن مؤرخ هذه الحقبة . عبد الرحمن الجبرتي رحمه الله .

ثم نراه يقرر — فيما بعد — ان هباني القلعة قد ضاقت بسكانها مما جعل احد الفرنسيين ينقل سكنه الى جامع السارية بعد ما نقلوه اليها من العتاد والغلال والذخائر ولأحطاب مع ما هدموه من أماكنها وسووا أبواب المبدن واقتصروا على باب السبع حدرات في النزول والطلوع الى الميدان المدكور .

واخبرنا حينما يسوء حال الفرنسيين في مصر بعد هزيمتهم قبالة الإنجليز في معركة كانوب (الإسكندرية) التي دارت في ٢١ مارس ١٨٠١ يعقد مجلس حربي بقيادة الجنرال بليار في الملعة ويقوم بينهم شارحاً موقف الجيش الفرنسي وكان ميالا الى التسليم فيعارضه بعض أعضاء المجلس .

وتنتهى المفاوضات بين ممثل الإنجليز والفرنسيين بالاتفاق على جلاء الجيش الفرنسى عن القاهرة وقلاعها وفلاع بولاق والجيزة وعن جميع الجبهات التى تحتلها القوات الفرنسية فى مصر . وحدد للجلاء عن القاهرة وبولاق اثنا عشر يوما على أن يتم الجلاء فى أقرب وقت بحيث لا يزيد عن خمسين يوما بعد يوم التصديق على الاتفاق .

أخلى الفرنسيون قلعة الجبل وبنى الحصون وانتقلوا إلى الروضة وقصر العيني والجيزة استعدادا للرحيل من رشيد ودخلت الحدود العثمانية القاهرة فى ١٤ يوليو ١٨٠١ .

ثم أخلى الفرنسيون قصر العيني والروضة والجيزة وأقلعت سفنهم إلى رشيد . وبذلك تم جلاؤهم عن القاهرة وضواحيها وأخذوا معهم رفات الجبال كليبر . وساروا من رشيد إلى أبي قير وأبحرت بهم السفن فى أوائل أغسطس عام ١٨٠١ إلى فرنسا ثم وقع الجزال مينو اتفاقية الجلاء النهائى عن وادى النيل يوم ٣١ أغسطس وبجلاء الفرنسيين بعد احتلال ثلاثة أعوام وشهرين طويت صحيفة احتلالهم وبدأت تتنازع السلطة فى مصر ثلاث قوات الأتراك والإنجليز والمماليك . وظهرت قوة رابعة على مسرح النضال السياسى وهو الشعب المصرى .

*

* *

بدأت القلعة المحيطة التى وصفت إلى ذروة المجد فى أثناء حكم السلاطين المماليك — تفقد بالتدريج مكانتها الرفيعة نتيجة لاهمال حكامها من الولاة الأتراك الذين كانوا لا يستقرون بالبلاد مدة حتى تصلهم أوامر الباب العالى بالعودة أو بتقلد ولاية أخرى أو ربما فصل الرأس ، ولم يكدينتهى القرن السادس عشر حتى آلت أكثر منشآت قلعة الجبل إلى أحضان الخراب . ولما زار الرحالة سافارى (Savary) القلعة فى خلال القرن الثامن عشر (١٧٧٧ — ١٧٧٩) قال عنها :

”إنها لا تترك إلا من مجموعة خرائب وأنقاض تلوح عليها علامات الحزن ، ولم يبق منها سوى بعض أماكن قليلة صالحة للسكنى“ .

ومما يذكر أنه كان يقام بالقلعة ، أبان الحكم التركي ، المهرجانات الرسمية لاستقبال الولاة ، أو حفلات الأعياد القومية والدينية كغرة شهر رمضان والمولد النبوي ووفاء النيل .

وفي أول المحرم عام ١٢٠٠ هـ (١٧٨٥) وصل محمد باشا يكن الوالى الجديد ، وقد تمها له فى الفترة القصيرة التى قضاها فى مصر أن يعمر قصرًا ويترك أثرًا يتحدث عن عمارته ... فبنى مقربة من باب الجبل الى داخل الحائط تقرأ كتابة باللغة التركية يستدل منها على بنائه قصرًا فى الجهة الجنوبية الشرقية من القاعة . وقد أطلق على هذا الجزء كلمة (مرأى) لدى وصول الحملة الفرنسية (١٧٩٨ - ١٨٠١) .

وخير وصف لحال القلعة ، حينما وصل اليها الفرنسيون وصعدوا اليها واتخذوها قاعدة لعملياتهم فى القاهرة ما نوره بعد^(١) .

تنقسم قلعة القاهرة الى قسمين : القسم الأعلى حيث يقم جنود الانكشارية على ارتفاع مائة متر تقريبًا من سطح النيل ، والقسم الأسفل حيث يقم جنود العزب ، ويفصلهما عن بعض سور . وفى داخل القسم العلوى سور صغير يلف حول برج صغير اسمه خزانة القلعة وبرج الانكشارية أقوى أبراج القلعة . أما بئر يوسف فيوجد فى جهة أخرى خلف القسم العلوى ، كما أن هناك سورا أخرى يطلق عليه سور الأعاء .

ثم قبض الله لمصر المغفور له محمد على باشا محي مصر الحديثة فطنق يرفع مكاتها ويتبأ وادى النيل مكانته بين أمم العالم .

(1) Le Description de l'Egypte Vol. XVIII, deuxième partie. page 282-283.

القلعة في أيام محمد علي الكبير وخلفائه

١٨٠٥-١٩٣٦

مرت أعوام أربعة ، بين جلاء الفرنسيين وتولية محمد علي باشا على مصر ، لم تنعم البلاد في خلالها باستتباب الأمن وأسباب السلام ...

ولكن ما أن تربع في دست ولاية الحكم هذا المصلح العظيم ، حتى تنفست القاهرة الصعداء . فقد انجاب عن صدرها نظام سيء من الحكم وتلاشت اوزار بالية من المظالم . واستقبلت عهدا جديدا هو بمثابة إشرافة من النور ، شعرت فيه بمسببات الطمأنينة تقضى على القلق ، ودواعي العمل يحو التواكل ، ومقتضيات النظام تطغى على الفوضى ...

وتمهل القدر ليسجل على وجه الزمن نهار يوم ٩ يولييه عام ١٨٠٥ (١١ ربيع الثاني ١٢٢٠ هـ) يوما خالدا في تاريخ مصر ، واستهلالا رائعا في صفحاتها النواصع . فقد طالع السيد عمر مكرم الزعيم المصري يقصد دار محمد علي باشا ، في جمع كبير من الأهالي والجند بل ومختلف الطوائف ويبايعونه بالولاية لأول مرة في تاريخ وادي النيل ، فلا يجد الرجل العظيم إلا أن ينزل لدى إرادة الشعب ، ويستجيب لرغباته الجياشة .

وتتوالى الأحداث سراعا ، فتحاصر القلعة ، ويدعن الوالي خورشيد باشا لها آل إليه أمره ، ويضطر لتسليمها صاغرا ، في يوم الاثنين ٥ اغسطس سنة ١٨٠٥ (٩ جمادى الأولى سنة ١٢٢٠ هـ) ، ويذل الوالي حريمه واتباعه وجنوده في اليوم التالي من باب الجبل إلى باب النصر فبولاق . ويتقدم محمد علي باشا وبصحبه بعض الزعماء ويشدون على يديه مودعين ، على ظهر السفينة التي ألقاه إلى الاسكندرية ..

ويخلو البحر ، ويصبح محمد على سيد مصر ، ويرنو إلى أفق المستقبل
بعين ملؤها الأمل والثقة . ويبدأ في تنفيذ خطته الكبيرة . خطة الإصلاح
والتنظيم والبناء ..

وتشاء الظروف أن ينتقل محمد على إلى القلعة ويتخذها مقلا له ومقرا .
حين شبت في القاهرة فتنة الجند الارناؤود . ومنذ ذلك اليوم ، بدأ النشاط
يسرى في كل ركن من أركانها ، وبدأت الحركة تشيع في كل منجى من
مناحيها ..

إن أعمال محمد على في قلعة الجبل ، كانت فاتحة برنامجه الكبير ، فكانها
قد أنشئت في عصره من جديد . عادت إليها الحياة ، ودبت فيها روح
النشاط بعدما احتملت على أيدي بلاد الأتراك ، من ظلم وهوان ، بل لقد أوشكت
في عهده على ما هو أكثر من الخراب والدمار ، فأنقذها محمد على من هذا
المآل . وأزال ما فيها من الخرائب والأنقاض . وبتعبير أوضح ، أصلح أسوارها ،
وأحيا أبراجها وأبوابها ، وشيد فيها ثكن الجند ، ودواوين الحكم ،
ومصانع الذخيرة ، ومدارس الجيش ، وقصورا للسكنى ، وأكثر من
ذلك أبنتى بيتا لله .

أجل . استطاع محمد على الكبير ، بهمته العالية ، ونظرته الصائبة ،
أن يعيد للقلعة أيام مجدها الأولى — مجد القرون الوسيطة وعظمة حكم
المماليك ويرد عليها أزهر عهودها .

ومن المقطوع به ، أن عناية هذا العاهل الكريم بالقلعة لم تكن
إلا طرفا من عنايته بالجيش الذي ارتأى فيه الدعامة الأساسية التي ينهض
عليها كيان مصر المستقلة ، معمر الظافرة ، الجيش الذي خصه بأعظم
نصيب من جهوده ، وأوفاه بأكبر قسط من تفكيره ، ومن أجله هيا
دور العلم ومدارس الطب وأركان الحرب والفنون العسكرية ، وأوجد
دور الصنعة العسكرية والمدنية ، وأقام الحصون وزودها بالمدافع والجند

والحديث عن جهود رأس الأمرة العلوية التي نذرنا للجيش حديث مستفيض متشعب الأطراف ليس هذا مجاله. وبعبارة أبين أن الحديث في هذا السياق ينصب أنصبابا على أعماله العظيمة التي لمست القلعة — تلك الأعمال الجليلة التي تشهد بفضله على هذا الأثر الإسلامي المجيد .

أولست أعمال محمد على الكبير في قلعة الجبل هي شاهد عيان لهذا الدور الذهبي الذي صارتاريخ القلعة .

وبناء القدر أن تشب حريق بالقلعة في ١٩ رجب سنة ١٢٣٩ هـ (١٨٢٤م) فدمر كثيرا من منشآتها . ويحدث في العام التالي أنفجار مخزن للبارود قوض أشتاتا من مبانيها وأسوارها . فلم يلبث محمد على أن عفى بإصلاحها والاستعادة فيها وأرسل إلى سلايك يستدعى العمال والبحارين ويؤيد ذلك الوثيقة التالية :

من الجتاب العالى الى الوزير والى سلايك :

يطلب منه أن يرسل بمعرفة الخواجه سوترى الألبانى وكيل الخوجات طوصبيجه من التجارين المصريين بذاك الطرف بنائين ومالاً يقرمون بتكمير الأحجار وترميم قلعة مصر التي أكلتها الزيران حيث شبت فيها قضاء وقدر في ١٩ رجب سنة ١٢٣٩ هـ لأنه لا يوجد في الوقت الحاضر عمال وبناءون صالحون للقيام بهذا العمل في مصر .

ومن ثم ننقل إلى عرض منشآت محمد على الكبير في القلعة ، على حسب تاريخ عمارتها ، وعلى قدر ما وصل اليه بمحشا .

دار الضرب :

تقع هذه الدار شمال شرق ديوان الكتبخدا (قاعة العدل) وشرقى جنوبى مسجد محمد على . وهذه القاعة أنشئت أصلا في عام ١٧٠٩ م ، وظلت باقية

إلى أن جددناه مجد على عام ١٨١٢، وأثبت هذا التجديد في لوح رخامي، على بابها الرسيط، ونصه :

”جدد هذا المكان المبارك الوزير الأعظم مجد على باشا والى مصر حالا“.

ودار الضرب بناء مستطيل له فناء مكشوف، أحاطت به حجرات متجاورات يعلوها قباب مبنية بالطوب فتحت بأعلاها مناوور. ويتوسط الفناء غرفة بيضاوية الشكل مقامة بالحجر.

ويرى إلى الآن بعض الغرف التي كانت بها آلات الضرب.

ومما يذكر أن هذه الدار كانت تجمع عددا كبيرا من الصنائع أوفى في سنة ١٨١٢ على خمسمائة صانع.

قصر الجوهرة :

يتبع هذا القصر جنوبي مسجد مجد على. وكان موضعه أبنية قديمة بناها الملك الأشرف قايتباي والسلطان الغوري. وقد نسب المؤرخ الجبرقي إلى محمد على هدمها ضمن حوادث عام ١٨١٢. فقد ذكر :

”إنه مجد على“ هدم سراية القلعة وما اشتملت عليه من الأماكن. فهدم المجالس التي كانت بها والدواوين وديوان قايتباي وهو المقعد المواجه للداخل إلى الحوش علو الكلار الذي به الأعمدة وديوان الغوري الكبير وما اشتمل عليه من المجالس التي كانت تجلس بها الافندية والمفاوات أيام الدواوين وشرع في بنائها على وضع آخر واصطلاح رومي وأفاموا أكثر الأبنية من الأخشاب.

والمدخل الرئيسي للقصر في الجهة الشرقية أمامه مظلة محمولة على عمد رخامية ومكتوب على أعلا الباب ”يا ففتح الأبواب افتح لنا خير الباب“ سنة ١٢٢٨ هـ. ويفضى هذا الباب إلى طريقه كبيرة بها عقود حجرية تنتهي إلى سلم قباب كبير مكتوب عليه بالخط الفارسي ”الله ولي التوفيق“ ١٢٢٩ هـ.

وعلى يسار هذا المدخل أبنية تسودها البساطة متصلة بديوان الكتبخدا .
وبنهایتها الشرقية البحرية قاعة مستطيلة لها سلم مزدوج يوصل الى الميدان
الواقع أمام دار الضرب ومكتوب على أحد أبواب هذا الجناح "من آمن
بالقدر آمن الكدر" ١٢٢٩ هـ . وكان هذا الجناح مخصصا للموظفين .

أما قصر الجوهرة فكان مخصصا لاستقبال آل محمد على وبه قاعة كبيرة عرفت
بصلة العرش يتوصل اليها من الباب الأوسط المكتوب عليه "الله ولي
التوفيق" وحجرة العرش أو الفرمانات أكبر حجيرة بالقصر بجدرانها بقايا
نقوش وسقفها على شكل ببضاوى به نقوش مذهبة تمثل آلات حربية
وموسيقية تتوسطها سررة خشبية مذهبة بها مجموعة من الفواكه وهى تشرف
على ميدان صلاح الدين .

ويحتوى القصر على عدة غرف كبيرة وصغيرة ولها أبواب تصل الى القاعة
الكبرى التى نقش على أعتابها صور لسفن الاسطول وعلى أعتاب هذه
الغرف نقشت صور سفن حربية ، وبالجبهة الشرقية يوجد حمام فرشت
جدرانه وأراضيه بالرخام المستورد من محاجر بنى سويف وبه حوض رخمي
من قطعة واحدة .

وقد زار محمد على فى هذا القصر كثير من الأعلام المشهورين منهم الأديب
الفرنسى "شاتوبريان" والكونت دى فوربان الذى وصف فى كتابه مدينة
القاهرة كما وصف حفلة استقبال (١٨١٧-١٨١٨) فى القصر ، ولما زار
مصر السلطان عبدالعزيز عام ١٨٦٢ احتفل به الخديو اسماعيل باشا احتفالا
كبيرا ، وأقام بهذا القصر سبعة أيام^(١) .

الدفترخانة (دار المحفوظات) :

شيدت دار المحفوظات على انقاض طبلخانة بيرس وتقع خارج الباب
الجميد الى اليمين ، وقد أمر محمد على ببنائها فى عام ١٨٢٨ (١٢٤٤ هـ) ووجهاتها

(١) حسين عبد الوهاب — مجلة العجوة ، العددان ٣ و ٤ عام ١٩٤١ ص ٢٨ — ٣٢

مبينة بالمحجر — والباب الأصلي لهذه الدار يعلوه لوح رخامي مكتوب باللغة التركية ترجمته ما نصه .

ملك مصر محمد علي باشا ذو المآثر لقدرة العالی تتلأل الأفلاك في بروجها
أرض عرشه ملجأ أهل المعارف ولطالع نوره تزهو الشمس والقمر
بهمته العالیة عمرت أم الدنيا فلم تبق خرابات مهتدة
أطال الله عمره واقباله فهو الذي جاهد بهمة في سبيل الدين والدولة
أنشأها لحفظ دفاتر مصر فانظر هكذا الدفترخانة المئينة النادرة
يا كاشفا أنت في التفكير ذاك التاريخ الوجه صب مأوّه والقلم قال الدفترخانة

ويعلو هذا اللوح سبع كوابيل تحمل "خارجة" حجرية بها ثلاث نوافذ
تنتهي من أعلا بكورنيش هرمي .

ويؤدي "باب العمومي الى طريقة معقودة تنتهي الى فناء مكشوف تحيط به
معقود يستعمل ظهرها ممرا حول الحوش ينتهي بسور فتحت به المزاغل .
وبالجهة الشمالية للفناء باب آخر يوصل الى فناء داخلي أحدقت به العقود
الحجرية خلفها ممرات معقودة على جانبيها غرف أعدت للمحفوظات يعلوها
دورتان . وطراز دار المحفوظات من طراز السور الشمالي الممتد من الباب
الحديد الى شارع المحجر بما فيه الباب المسدود .

قصر الحرم :

يقع هذا القصر في داخل قلعة صلاح الدين ويشرف على جبل المقطم
والخطابة . وقد أمر محمد علي بإنشائه في عام ١٨٢٧ م ، ويتألف من
أجنحة ثلاثة

فالجنّاح الشرقي ويصل اليه من باب معقود بواجهته القبليّة مكسو
بالرخام الأبيض عليه زخارف بارزة ولوح رخامي به كتابة تركيّة ترجمتها: (١)

إنّ محمد علي باشا حاكم مصر الذائع الصيت
الذي يجمد في العالم في باب لطفه وكرمه الزخرف التام

هو خديو أعظم يطاول السماء في علاها ويحاكيها في ظله
وصاحب السيف والقلم وهو آصف غلامه بمنزلة بهرام

سيفه يشّت شمل زمرة الطغاة
وقلمه كسحاب الربيع وورد حديقته الكرام

قد أنشأ ذلك الحاكم العالم الشأن قصرا جديدا كتحفة
يحدّر به إذا كان بهرام بوابه

هو قصر كالجنة ياله من قصر بديع مزخرف
لم ينطبع مثله أصلا في أديم السماء الصافي كالمرآة

شعرت في داخله بانسراح إذا شاهدته
ويفوح من صوره وتقوشه أريج الجنان

وقد فنّ رسمه بهزاد
فنج نغ هكذا يجب أن يكون الرسام في العالم

لقد كتب التاريخ "عزيز" بيت مجوهر
جعل الله العلامة منشئه سعيدا

إنّ هذا الباب الجميل لمحمد علي باشا العادل
ظل مفتوحا بالسعادة الى يوم القيام

(١) ترجم هذه الكتابة الأستاذ محمد تقي رئيس الترجمة بالمخطوطات النسخية بمصرعاً بدين.

ويفضى هذا الباب الى دركاة بها صفوف وعقود حجرية على يسارها
حجرة للحارس . وهذه الدركاة تؤدى الى فناء مربع يحداره الشمالى باب به
دركاة على نفس السابطة توصل الى فناء آخر تشرف عليه واجهة القصر ،
على امتداد الجناحين الآخرين . ويحيط بهذا الفناء أبنية مكونة من
طابقين .

وواجهة هذا الجناح مؤلفة من ثلاثة أدوار .

وقد نقش الجدر الداخلية برسوم زيبات ملونة تمثل جواسق وستائر
وأفاريز وزخارف شجرية فيها بعض الزهور .

والقصر يشتمل على غرف كبيرة نقش جدرها وأسقفها بنقوش جميلة
بعضها مذهب .

وهناك سلم مزدوج يوصل من الدور الأرضى للعلوى — وهنا يجد
الزائر ردهة كبرى بها أربع ايوانات فى بعض اركانها بابان لغرفتين — وفى
بعضها غرفة وطرفة توصل الى باقى أجزاء القصر .

وهذه الردهة أبهى ما فى الجزء الشرقى من القصر . وكذلك حجرة
الفسقية الموجودة بالطرف الشرقى البحرى منه .

والنقوش التى تعلو جدر الغرف تدور حول مناظر الزهور فيما عدا
السقف فزخرفه هندسى الشكل .

الجناح الأوسط

يتوصل الى هذا الجناح من حديقة الواسعة التى تبلغ
مساحتها ٧٠ × ٥٧ مترا تقريبا . أحيطت بتكعيب الكرم تتوسطها
نافورة يعلوها جوسق . وتطل على الحديقة واجهة القصر وتتوسطها
باب كبير ركب عليه مصرعان عليت حشواتهما بنقوش بارزة — وهذا
الجناح يحتمل أنه كان المدخل الرئيسى للقصر — ويؤدى الباب الى سلم
مزدوج يوصل الى الدورين العلويين . والدور الأرضى يحتوى على ردهة

كبيرة بكل ركن من أركانها غرفتان — وجدرها محلاة بصور زيتية وكذلك الأسقف . ويوجد بهذا الدور حمام يتألف من طريقة مستطيلة مغطاة بسقف جصى حلى بزجاج ملون ثم باب أول وهى غرفة مقسمة الى ايوانين بينهما درقاعة يغطى الجميع سقف جصى من الزجاج الملون وواجهة كل من الإيوانين محمولة على عمود رخامية قواعدها مربعة ومطعمة برخام أحمر اللون .

والقسم الداخلى (بيت الحرارة) يوصل اليه من باب بالغرفة الأولى على جانبيه نافذتان لتوصيل الملابس منها وهو مقسم الى أقسام أكبرها أوسطها يغطى الجميع سقف جصى بتقاسيم زخرفية والسقف محمول على عمود رخامية وبالصدر حوض رخامى كبير من قطعة واحدة .

ومن السلم المؤدى يصل المرء الى الدور الثالث وينتهى الى ردهة كبيرة تبلغ مساحتها ٢٦×١٤ مترا تقريبا بها أربعة إيوانات مقاس بعضها ١٣×١٠ متر تقريبا . والسقف والجدر مزخرفة ومنقوشة بالصور

الجناح الغربى

يمتد سورده الخارجى مع الجناح الأوسط — ويصل اليه من باب فى السور القبلى — يوصل الى فناء كبير مساحته ٧٥×٦٠ مترا تشرف عليه واجهة الجناح المتصلة بباقي الواجهات . ويتوسطها باب يوصل الى القاعة الكبرى بالدور الأرضى وإلى السلم المزدوج — وتصميم هذا الجناح يماثل تقريبا تصميم سابقه وله واجهة أخرى تطل على مدخل القلعة . وقد طرأ عليه تغيير كبير اذ أبدلت سقفه بأخرى حديدية فازيلت زخارفه .

وجميع أجزاء القصر تتصل بعضها ببعض — كما أن بفناء كل جناح سور به باب يوصله بالجناح الآخر^(١)

(١) حسن عبد الوهاب — مجلة العمارة ج ٣ ص ٣٨ — ٤١

دار الصناعة :

لعل هذه الدار كانت أهم منشآت محمد على الكبير العسكرية بالقاهرة... فقد كانت الصناعة في مصر محصورة قبل محمد على الكبير في نسيج الكتان والصوف والتجارة والسبك وصناعة الحصر وما إليها من الصناعات المختلفة . فلما تولى محمد على بدأ بالتقاط من تبقى من أرباب الصنائع وحشدهم في القلعة سنة ١٢٢١ هـ (١٨٠٦ م) وجمع لهم ما في المخازن من الخشب والحديد فشرعوا في صنع آلات الحرب وصب المدافع وما يلزمها من العجلات والعربات ومع إنشاء محمد على للمصانع الحديثة أوفد البعثات من نجباء التلاميذ المهريين إلى أوربا لاقتان الصناعات حتى تستغنى البلاد بهم عن اليد الأجنبية .

أنشأ محمد على في القسم الجنوبي من القلعة دار صناعة كبرى تضم مصانع متنوعة أهمها مصانع للأسلحة الخفيفة ولطرق النحاس ولصب المدافع وسيوف الفرسان ورماحهم والجم والسروج وملحقاتها وصناديق الذخيرة وغيرها .

وكانت هذه المصانع تمتد من أسفل قصر الناصر بن قلاوون إلى باب العزب . وما زالت آثارها إلى اليوم تشغلها ورش وبعض مخازن مصالحة الأسلحة والمهمات .

قبل أن بدء إنشاء دور الصناعة بالقلعة كان بها في عام ١٨٢٣ مصانع نافهة ، بيد أن من المؤكد أن أرجاءها قد اتسعت عام ١٨٢٧ . وكان أهم مصانعها وأكثرها نشاطا معمل صب المدافع الذي كانت تصنع فيه كل شهر ثلاثة مدافع أو أربعة عيار ثمانية أرطال وصنعت فيه مدافع الهاون ذات الثماني بوصات ومدافع قطرها ٢٤ بوصة .

وقد أشرف على إدارة هذه المصانع اللواء إبراهيم أدهم باشا ، وكان يعمل فيها تسعة صانع ينتجون شهريا من ٦٠٠ إلى ٦٥٠ بندقية ، وقد بلغ تكاليف البندقية الواحدة ١٢ قرشا . وكان لرؤساء الصنائع مراتب ثابتة وللعمال أجور يومية .

ولما زار الماريشال "مارمون" دار صناعة القلعة عام ١٨٤٤ أعجب بنظامها وأعمالها وقد قال عنها : مما أعجز عن توفيته حقه من المدح مصنع الأسلحة الذى يبدع من هذه الأسلحة أكثرها استجماعا لضروب الكمال والاتقان . والمعامل من هذا القبيل فى مصر ثلاثة . زرت منها معمل القلعة باحثا مدققا منتقدا . قرأت أن الأساحة التى تصنع قد جمعت وسائل الاتقان المتوفرة فى ما تصنعه معاملنا من نوعها . والنوع الذى يصنع فيها منقول عن الطراز الفرنسى - ويبيع الاحتياطات الكفيلة بجودة هذا السلاح تتخذ فى معاملنا سواء - وقد اتبعت فيها طريقة توزيع العمل والمراقبة المتبعة فى معاملنا . فإن كل شيء يعمل بالقطعة وفقا للنظام المقرر . وخلاصة القول فإن معمل السلاح الذى زرتة يناظر أحسن معامل فرنسا وأرقاها نظاما وجودة وأكثرها رعاية لأصول الاقتصاد (١)

جامع محمد على (٢)

رأينا محمدا عليا قد شيد فى القلعة المنصور ودواوين الحكم والمدارس ودار الضرب ثم أصلح أسوارها وعمر أبراجها - وسنراه يشيد مسجدا لأداء الفرائض وليكون له المقر الأخير . فعهد الى المهندس التركى يوسف بوشناق بوضع تصميم له فوقع اختياره على مسجد السلطان أحمد بالاسنانة واقتبس منه مسقطه الأفقى بما فيه الصحن والنافورة مع تعديلات قليلة

شمرع فى بناء الجامع سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) واستمر العمل سائرا بلا انقطاع حتى توفى محمد على سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) فدفن فى المقبرة التى أعدها لنفسه بداخل الجامع - وكان بناؤه كاملا من أسوار وقباب ومنارات وكتابات تعلو الشبابيك الخارجية .

ولما تولى عباس الأول نهض المهندسون بأعمال النقش والتذهيب وبعض أعمال الرخام بالمسجد . ثم أمر بعمل تركيبة رخامية ومقصورة

(١) كلوت بك - لحة عامة فى مصر ج ٢ ص ٤٥٤ - ٢٥٥

(٢) حسن عبد الوهاب - مجلة العمارة .

نحاسية . ثم غنى بالمسجد سعيد باشا . كما اهتم الخديو اسماعيل باشا بعمل له أبوابا حديدية بساعات نحاسية وأحاطه بأسوار وأنشأ له دورة مياه . ثم غنى به المغفور له توفيق باشا سنة ١٨٧٩ فأمر بإصلاح رخام الصحن وإعادة رصاص القباب

وكانت أكبر رعاية نالت هذا الجامع عناية المغفور له الملك فؤاد الأول لما أن وصل إلى مسامحة نبال الخلل الجسيم الذي تطرق إلى سقف الجامع وقيابه حتى أصدر أمره بتكوين لجنة من كبار المهندسين — وطنيين وأجانب — لفحصه ووضع مشروع لإصلاحه وكان ذلك في ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٣١ .

وانتهى الأمر بإزالة قبة الجامع الكبيرة وما حولها من أنصاف قباب وقياب صغيرة وإعادة بنائها . وقد كشفت عملية الإصلاح عيوباً شتى في البناء واستمر العمل حوالى أربعة أعوام انتهى في سنة ١٩٣٩ وبلغت تكاليف أعمال الهدم والبناء ٦٠,٠٠٠ جنيه مصرى ونفقات البياض والزخرفة حوالى ٤٠,٠٠٠ جنيه .

وصف المسجد :

المسجد مستطيل البناء ينقسم إلى قسمين : القسم الشرقى وهو المخصص للصلاة ، والغربى وهو الصحن تتوسطه نافورة للوضوء . وكل من القسمين بابان أحدهما قبلى والآخر بحرى .

والقسم الشرقى مربع الشكل طول ضلعه من الداخل ٤١ متراً وتتوسطه قبة مرتفعة قطرها ٢١ متراً وارتفاعها ٥٢ متراً من مستوى أرضية المسجد محمولة على أربعة عقود كبيرة متكئة أطرافها على أربعة أكتاف مربعة يحوطها أربعة أنصاف قباب وذلك خلاف أربع قباب أخرى صغيرة بأركان المسجد وقد كسيت جدر المسجد من الداخل والخارج وكذلك الأكتاف الأربعة الداخلية الحاملة للقبة إلى ارتفاع ١١ متراً بالرخام الوارد من معاجر بني سويف

ويعلو مدخل الباب الغربي المؤدى إلى الصحن دكة المؤذنين بعرض المسجد مقامة على ثمانية عمد من الرخام فوقها عقود — ولها ساج من نحاس يتوصل إليها من سلم المنارتين . وبدائرة المسجد من أسفل الشبابيك كتب على أعتابها من الداخل أبيات قصيدة البردة

والمحراب من الرخام (الالبستر) يجاوره منبر رخامى أمر بعمله جلالة الملك فاروق أعزه الله — وبالقرب منه المنبر الخشبي القديم للمسجد وهو أكبر منبر فى الآثار العربية .

وفى الركن الغربى القبلى ضريح محمد على يتألف من تركيبة رخامية حولها مقصورة من النحاس المذهب جمعت بين الزخارف العربية والتركية .

وعلى طرفى الواجهة الغربية للصحن منارتان وشرفان ارتفاعهما ٨ مترًا من مستوى أرضية الصحن بكل منها ٢٥٦ درجة الى نهاية الدورة الثانية .

وتبلغ مساحة الصحن ٥٢ × ٥٤ مترًا يحيط به أربعة أروقة ذات عقود محمولة على أعمدة رخامية تحمل قبابا صغيرة منقوشة من الداخل ومغشاة من الخارج بالواح من الرصاص كالقبة الكبيرة . وبدائرة الايوانات المذكورة ٤٦ شباكًا تشرف على خارج الجامع من الجهات الثلاث البحرية والغربية والقبلىة .

وأ. الجهة الشرقية فتشرف على الجامع وبها ثمانية شبابيك — ومكتوب على أعتابها آيات من القرآن بالخط الفارسى الجميل بقلم الخطاط المشهور "سنكلان" سنة ١٢٦٢ هـ .

وبوسط الصحن قبة الشئث سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م) مقامة على ثمانية أعمدة رخامية وبداخلها قبة أخرى رخامية مئمنة نقش على أضلاعها عنقود غيب وبها طراز مكتوب بالخط الفارسى آية قرآنية .

ويؤسـط الرواق الغربى بالصحن برج من النحاس المخرم والزجاج الملون
بداخلها الساعة الدقاقة التى أهديت إلى المنفور له محمد على باشا من ملك
فرنسا لويس فليب سنة ١٨٤٥ م .

وأمام الوجهتين القبالية والبحرية للقصم الشرقى رواقان بهما عمد رخامية
تحمل قبابا صغيرة .

وفى عهد جلالة الملك ناروق الأول تمت أعمال الإصلاح بالجامع وافتتحها
باداء فريضة الجمعة فيه يوم ٥ المحرم سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) .

وجلالته هو الذى أمر بعمل المنبر الرخامى المجاور للحراب . كما أمر بسد
الفتحات الموجودة فى بقعة الحرب برخام الالبستر لتكون منسجمة مع باقى
الكسوة الرخامية حولها وأمر بتذهيب وتمايه التركيبة الرخامية على قبر
جده العظيم .

عمارة أسوار القلعة وتجديد أبوابها وأبراجها

اتبيننا من وصف ماثر محمد على الكبير فى داخل قلعة صلاح الدين ، وكأنه لم يبق
فى امن مخلفات هذا السلطان سوى القصرين والمامع ودار العدل والضربخانه ،
فقد اندثرت معظم أعماله إذا استثنينا أجزاء دامة من السور الخارجى والبئر

لما ولى محمد على الحكم رأيناه يوجه عناية إلى أحياء هذا الأثر العظيم ،
أليست القلعة أعظم أثر إسلامى فى وادى النيل ، ألم يحتفل تاريخها
بالأحداث الجليلة والمآتى أيضا ، لقد استهوى تاريخ عمارتها أكثر
من عالم ومؤرخ ، منهم المقرئى المصرى وكازانوف الفرنسى وفان برشم
السويسرى وكريزويل الانكليزى ، ومؤلفاتهم عن القلعة تعتبر المراجع
الفريدة فى تاريخها ...

و تشهد ثلاث کتابات تاریخیة بما تم علی يد محمد علی فی أسوار القلعة
و أبوابها ، و تقابلا أولى تلك الكتابات فوق باب القلعة المواجه للجامع
ابن قلاون ، و هی باللغة التركية ، نهها :

كشاد أولد بقعة بریاب فرخا قیانسون دیده بدخواه أعدا
فیله بانیسنه مرلا مبارک بحق سورة یس و طه

سنة ۱۲۴۲

و نقرأ الكتابة الثانية علی باب قصر الحرم الشرقی بتاريخ سنة ۱۲۴۲
كما تقابلنا الكتابة الثالثة علی باب هذا القصر الغربی و تاریخه ۱۲۴۲ أيضا .

وقد اكتشف المؤرخ كازانوف كتابة باللغة التركية فوق باب الدرفیل
المهدم كما كانت حالته فی أواخر القرن التاسع عشر ، و هذا نصها بعد الطراء
السلطانية خان معطفا عبد الحمید محمود ما شا الله .

خدیو خطنه معمور لم دنیا کیم

فروغ اختری أقطاره مهر عالمتاب

نه غم کلور صف اسلامه جونکه اتیمده در

لسان خنجرى أعداى دینه رد جواب

بود کلو قننى بر آرىنى بیان ایده لم

حبها نده بقعة خبوى برون زحد حساب

فور لدی بر دز زبندده طاولا کیم

سوا در شبنی وقتده کورمدی

دوام دولت و اقبالنه سوزا و لاساز هیچ

که اسمی نام محمد علی له شهرتباب

زهی وزیرهم بیننه صغندر محمود

که هر ایوره معینی مسبب الأسباب

بورددی ایلدی تجدید برا شارتله

حصار قلعه یوسف که اولمشیدی خراب

شر أشارت إليه سويله كاشدا تاريخ

بوب باب قلعة على يا جلدى خيرى ماب

سنة ١٢٤٠

ومما يذكر أن محمد على باشا أنشأ الباب الحديد (الباب الحالى للقلعة) فى عام ١٨٢٥ . وردم مامه مسافة لكى يسهل الصعود اليها على الأقدام وبساط العربات . وهذا الباب بلاصق تقريبا المدرج - وهو مناسب الشكل يمتد خلفه ممر طويل ذو سقف مقبب ينتهى بباب آخر تمتد قبالة فسحة مربعة الى جنوبها باب صغير فى وسط الجدار أقامه محمد على أيضا وقام نقش تاريخ البناء على تلك الأبواب والباب المسدود بجدار المحفوظات وقرأ عليها باللغة العربية .

يا مفتح الأبواب افتح لنا خير الباب

وتوارخ سنة ١٢٤٠ و ١٢٤٢ هجرية (١٨٢٤ - ١٨٢٦ م)

وكما قلنا أزال محمد على جل الأتقاض التى تراكت فى خلال السنين داخل مبانى القلعة ، وأصاح جمع الأسوار والجدران الداخلية والخارجية التى شيدتها صلاح الدين والكمال وابن قلاوون وسواهم من بناء القلعة الأجداد.

الخديو اسماعيل

وفى أثناء حكم الخديو اسماعيل (١٨٦٢ - ١٨٧٩) كانت العناية بالقلعة على أتمها . فقد رما الكثير فى أسوارها وأثبت هذا على لوحة مستطيلة فى الرخام الى يسار لوحة السلطان برقوق جفرى باب العرب ومن المحتمل أن يكون قد اتخذ قصر الحريم نظارة للحربية فى ذاك العهد قبل تشييده فكانت قصر النيل

وقد أصلح الخديو اسماعيل ميدان الرميّة ووسعه وغرس به الأشجار وأوصله بشوارع محمد على . فصار أفسح ميادين القاهرة

القلعة في عهد الفاروق العظيم

كان المغفور له الملك فؤاد الأول قد أمر بتجديد أعمدة وستف مسجد جده العظيم محمد علي الكبير ، وقد تم هذا العمل العظيم في يناير سنة ١٩٣٩ في عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ، حفظه الله ، حيث تفضل بافتتاحه للصلاة في يوم الجمعة الموافقة الخامس من محرم عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) .

أمر جلالته بأن تبذل العناية بما تضم القلعة من الآثار والأبنية والقصور والمساجد ، فقامت إدارة الآثار العربية بتجديد مسجد الناصر محمد وتكسية جدرانها وحائط قبلته بالمرمر ، وإعادة المآتين إلى ما كانت عليه ، ووكّل جلالته إلى المرحوم صاحب الماس بك الاشراف على عملية الترميم الفية في قصر الجوهرة ودار الكتبخا وقصر الحرم وغيرها من الدور والكنائس .

وشغل الحرس الخيالة الملكي ثكنة كبيرة في الجزء الشمال الشرقى من القلعة كما شمل المتحف الحربى قصر الحرم ، وشغلت المدنية المحافظة المباني التى تحيط بميدان سارية العلم ، وقد أمر جلالته باصلاح ساحة القلعة التى كان ويس فيلب قد أهداها لمحمد على باشا عام ١٨٤٥

وفى عهد جلالته الزاهر أعيد إلى قصر الجوهرة رونقه الجميل ونقوشه الطريفة التى تنفرد بها جدران كل قاعة ، ويلاحظ فى مدخل هذا القصر أن العاهل العظيم قد نقش شعره الذى ينص على :

انى لم أبلغ ما بلغت الا بسمعتى بين شعبي وبمشيئة شعبي

وقد اضاف الناروق المعظم مئة الى عناية جلالتهم باعادة الحياة الى تلك المنطقة الخالدة باهداء مدة مئات من الصور الفنية الرائعة التي تمثل ملابس كابة الموظفين في عهد آل عثمان

ويتجه التفكير لكي يكون لهذا القصر متحف لعصر محمد علي شاملا كل الفنون التي برزت آنذاك وسيتضمن أيضا الأثاث الخاص بـ محمد علي باشا.

وقد ارتدت الحياة الى مباني دار العدل وغرست قبالتها الحدائق النناء وأقيم درج من الحجر تصل بينها وبين المدقة التي تواجه قصر الجوهرة.

وتتوالى المهمة لاصلاح دار الضرب لكي تكون متحفًا للعملة المصرية أما قصر الحرم فقد انتهى اصلاح الجزء الأوسط منه وفي سبيل ترميم جزئية الشرق والربى ، كما أنشئت الحدائق حول القصر ورصفت الطرق المؤدية اليه وغرست الأشجار ونسقت المدافع في ميدان القصر الكبير

كما اتخذت دار الكتب المصرية المبنى الذي يقع على يسار الداخل إلى الميدان الفسيح وجعلتها دار كتب

رفع علم مصر على القلعة

وفي هذا العهد السعيد ، في يوم الخميس الموافق الرابع من شهر يولييه عام ١٩٤٦ ، احتفل بتسليم القلعة للجيش المصري في احتفال عسكري مهيب ، فعادت القلعة بعد انقضاء أربعة وستين سنة الى أصحابها. وسلم الجنرال القرى القائد البريطاني لقوات القاهرة مفتاحها الاثرى الى حضرة صاحب السعادة الفريق ابراهيم عطا الله باشا رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، في مظاهرة عسكرية .

وشهد يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٤٦ أروع احتفال في تاريخ مصر الحديث كله . فكان بحق يوما مجيدا . وسيظل دلي من الأيام يوما خالدا في تاريخ نهضة مصر . ففي هذا اليوم رفع ملك مصر علم مصر دلي قلعة مصر .

وفي هذا اليوم قال الناروق المعظم :

لقد رفعت علم مصر فوق قلعة مصر ، ولندع الله أن لا يتزل منها أبدا
وسيكون هذا العلم فاتحة خير إن شاء الله ، سيكون رمزا لليوم الموعود .

وقد قضت الارادة الملكية السامية بأن يكون الاحتفال برفع العلم
المصرى فوق هذا المكان الخالد الذى له تاريخ مجيد فى عصور مصر
الاسلامية . فى ذلك اليوم بالذات لأنه يوم ذكرى وفاة البطل العظيم
المغفور له محمد على الكبير مؤسس الأسرة المالكة فى مصر . وتدا تعدت
وزارة امدفاع لهذه الحفلة التاريخية استعدادا كبيرا يليق بمناسبتها العظيمة ،
فانشأت سارية جديدة للعلم متناهية العلو (٢٨ مترا) فوق أعلى منطقة
فى القلعة بحيث تطل على مدخل القلعة من جهة ميدان صلاح الدين وأقامت
هذه السارية على قاعدة جديدة من الحجر المبلأشرف عليها الأستاذ سحاب
الماس بك وكسيت جوانبها الأربعة بلوحات من الرخام نقشت عليها أسماء
المواقع الحربية التى انتصر فيها الجيش المصرى من عهد السلطان صلاح
الدين الى عهد المغفور له الخديو اسماعيل .

وقد نقش على اللوحة الثالثة :

”بنعمة الله : الى رفيع حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول ملك مصر
وصاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور العلم المصرى خفقا
على هذه القعة فى الثامن عشر من رمضان عام ١٣٦٥ هجرية الموافق
يوم ذكرى وفاة المغفور له جده العظيم محمد على باشا الكبير“ .

ونقش على اللوحة الرابعة النطق الملكى الكريم :

”عما دام هذا العلم العزيز يخفق فى هذا المكان لن يصاب الوطن بسوء“
حفظ الله الملك .

وأحيطت قاعدة سارية العلم بأربعة مدافع كبيرة يرجع تاريخها الى
عهد محمد على الكبير ، اصطفيت قوات الجيش المصرى من متباني

الأسلحة على جانبي الطريق ، من ميدان صلاح الدين من أول منحدر مسجد الرناعي والسلطان حسن الى الباب الحديد . واصطفت وحدات سلاح الخيالة الملكي خلف الجنود المشاة في ميدان صلاح الدين .

ووقف دلى باب القلعة حرس من جنود الجيش بملابس جنود محمد دلى وكذلك من نهاية البوابة الخارجية الى نهاية الباب الأوسط . ووقف عند باب ميدان سارية العلم ، تحت برجيه — جنديان من الخيالة بملابس محمد دلى ، كما اصطفت جميع ضباط الجيش من مختلف الرتب عند باب ميدان العلم وحول الميدان .

وقد أقيم في ساحة العلم المطلة على مدينة القاهرة مرادق كبير صفت فيه المقاعد المذهبة والمبطنة بالقطيفة الخضراء ووضع في صدره مقعد خاص لحضرة صاحب الجلالة الملك المعظم وأعدت لكل هيئة مقاعد خاصة .

ولما عرفت الأبواق من أعلى أبراج القلعة كان ذلك ايذانا بأن الركب الملكي انتاز بوابة القلعة . ثم دقت الطبول الصنيرة دقات متواصلة فعرف أن الركب الملكي وصل الى ساحة الاحتفال . ونزل جلالة الملك من السيارة وهو مرتد البذلة ” الخاكية ” للقائد الأعلى للجيش و معه عصا الماريشالية وكان في معيته دولة اسماعيل صدقي باشا رئيس الوزراء .

وبعد أن صدحت الموسيقى السلام الملكي ، تفضل جلالتهم فصاح مستقبليه ، ثم سار محوطين بهم وأخذ مكانه .

خطبة رئيس الوزراء

وألقي دولة رئيس الوزراء بين يدي جلالتهم الخطبة التالية :

مولاي صاحب الجلالة

اليوم تستقبلك في هذه البقعة الخالدة روح جدك الأعلى المنفور له محمد علي باشا راضية مرضية ويستقبلك أحفاد جنوده الشجعان المظفرين

الذين سبجوا اسم مصر في سبيل الخلود من عكا الى نصيبين بل الأمة المصرية
مثلة في هذا الاجتماع التاريخي المشهود — يستقبلونك جميعا يا مولاي
في غبطة لاتداد لها غبطة ، ذلك لأن هذه القلعة التاريخية التي أنشأها الطل
الكبير صلاح الدين ودعمها ورفع مقامها الطل العظيم محمد علي قد عادت
حرة خالصة الى المصريين لها طابعها الوطني المصري وها كرامتها كحصن
لمعمرين أيدي المصريين .

فليس من البر بتاريخ هذه القلعة بما انطوى عليه من حوادث عظام
وأحداث جسام ولا من الوفاء لساكنيها وحمايتها وكانت دائما رمزا لاستقرار
الحكم وعزة الحكم ، أجل يا مولاي ليس من البر ولا من الوفاء أن يهون
من شأن هذا الحادث العظيم ، وقد كانت القلعة أول مكان في القاهرة
نزل به الاحتلال فكان حقا وعدلا أن تكون أول مكان يخلص منه وند
خاصت فعلا والحمد لله وأصاحت أول مكان بدأ منه الجلاء للمنشود الذي
قطعت الحكومة البريطانية عهدا على نفسها يوم الثلاثاء ٧ مايو سنة ١٩٤٦
بتففيذه تنفيذاتامبرا وبحرا وجوا عن جميع الأراضي المصرية تلبية لاجماع
الأمة المصرية عليه إجماعا معدوم النظير .

وقد تنافس الحكام والأمراء في تخليد آثارهم بها ، فلما ظهر ببرس
برج عظيم وقصر نفيم والسلطان الأنرف مقعد عظيم ولا اصر محمد برج كبير
لاتزل آثاره باقية خلف مسجد محمد علي والسلطان حسن بنى الجامع
المعروف قصر بانخ ولا ميرضوان الأني الباب الداخ الذي يعرف
على ميدان صلاح الدين .

ولما نعمت مصر بهدى محمد علي الذي كان عنوان استقلالها وعلو شأنها
اتجه فيما تبج له من شتى الاصلاح الى هذه القلعة فأصلح جانبها كبيرا من
سورها ودعم أبراجها وأبوابها وأنشأ فيها قصر (الجوهرة) ودار العدل
ودار المحفوظات ثم جعل القلعة مقرا لمعامل الأسلحة المتسعة الارحاء .

وبجملته القول إن الفلعة قد تحوات إلى خلية حية تنبض بالنشاط وعندها يتجلى بأس الدولة وقوة عزمها وإنتاجها المقتبس من بطولة محمد علي ، ثم توج هذا العمران فيها بإقامة المسجد الجامع آية كبرى على ما اجتمع لهذا الغايل العظيم من بند الحمدة ونسابة المفصدة والشغف بالفنون والمعارف وتجويد الصنائة .

وانقل رئيس الوزراء إلى الكلام عن مسجد محمد علي أن قال :

مولاي — إن هذا اليوم بيد الأثر نستقبله جادين موقنين بأن له ما بعده من الأيام وخطورة يتبعها خطى في سبيل الجلاء وعزة الاستقلال وإن كل أيامك ليكتنفها اليمن ويصاحبها التوفيق لوطننا العزيز فما خلت البلاد خطرة ولا وثبت وثبة الا ولما من رعاية الفاروق هدى ونور أعز الله بكم البلاد وأحيا فيكم آثار الآباء والأجداد .

المك يقبل العلم

وبعد انتهاء الخطبة وقف جلالة الملك وسار محوطا بالجميع إلى باب السراىق ، فنفخ الجنود المرتدون ملابس عهد محمد علي في الأبراف من أعلى الأبراج ودنت الطبرل الصغيرة وتقدم ضابط وجندى من عهد محمد علي يحملان العلم المصرى مطويا فقله جلالة الملك وقصده به الضابط والجندى إلى مكان السارية التى رفيع فوقها ، وقد صاغ هذا الضابط هناك ضابطا هرتديا ملابس العهد الحلى .

وعرض بعد ذلك علم محمد علي بحرسه جنود بملابس عهده فبهاه جلالة الملك كما حيا أعلام وحدات الجيش والبحرية والحوية وفى أثناء ذلك حلقت فى جو مكان الاحتمال تسع طائرات فى ثلاث دفعات على ارتفاع قليل جدا وقد كادت إحدى هذه الطائرات تمس أعلى السارية وكانت الأبراف تعرف أثناء ذلك من أعلى لأبراج أيضا .

وبعد أن اصطفوا حاملو هذه الأعلام حول قاعدة السارية ، تقدم جلالة الملك وفي معيته وزير الدفاع ورئيس هيئة أركان حرب الجيش الى مكان السارية وتناول العلم — وهو هدية كريمة من جلalته — وشده الى السارية حتى خفق فوقها تماما فزفت الموسيقى وأطلقت المدافع كما أطلق في الوقت نفسه سراح مئات من الحمام فكان المنظر بديعا .

وتفضل جلالته بعد ذلك فأزاح ستارا أخضر اللون عن اللوحة التذكارية الخاصة بتاريخ الاحتفال ثم تفضل فرقع باسمه الكريم على سجل خاص .

وكان دولة رئيس الوزراء في انتظار جلalته عند نهاية درج قاعدة السارية فتفضل جلalته بمصاحفته والتحدث معه في طريق العودة الى سراق الاحتفال .

ولما وصل جلalته الى هناك هتف قائد قسم القاهرة ” ييش فاروق ملك مصر “ نلانا وردد الجميع هنافه وعزفت الموسيقى السلام الوطنى .

نطق كريم

والفت جلalته الى كبار المحيطين به نائلا ” طالما هذا العلم العزيز يخفق على هذا المكان فلن يصاب الوطن بسوء “ .

جلالته يصافح قائد الحامية المصرية

ولما بلغ الركب الملكى باب القلعة أمر جلalته بوقوف السيارة الملكية ودما اليه قائد الفصيلة المصرية التى تتولى حراسة مدخل القلعة وتفضل [جلالته بمصاحفته وأمره بالبلاغ تحيته لرجاله .

وقد أضيئت مساء الجمعة أسوار القلعة وجامع محمد على وجامع الرفاعى وتمثل ابراهيم باشا بالقاهرة وتمثالا محمد على واسماعيل بالاسكندرية ابتهاجا بهذه المناسبة وقد بقى العلم المصرى مرفوعا فوق القلعة فى ليلة الاحتفال .

لسوف يظل اسم القلعة مقترنا باسم الفاروق مدى الأجيال . ففي عهده الزاهر تم تسليمها الى الحكومة المصرية وبذلك أعيد الى مصر أول مظهر قومي باعـادة قمة الجبل الى حظيرتها عليها يخفق العلم المصرى .

المتحف الحربى

وكان يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٤٩ من الأيام المشهودة فى تاريخ القلعة . فقد كان اليوم الثانى من أسبوع ذكرى محمد على الكبير . وقد ناب عن صاحب الجلالة الملك فى هذا الاحتفال صاحب المجد البيل سليمان داود . وشهده كثير من كبار رجال الدولة وعلمائها وعظماؤها وممثلى الدول العربية والغربية ورجال القصر الملكى وضباط الجيش . وكان معالى الرىق محمد حيدر باشا وزير الحربى والبحرية يستقبل المدعوين فى مدخل السراى الذى أقيم لهم . ومع سعادة الفريق عثمان المهدي باشا رئيس أركان حرب الجيش والأسناد ابراهيم رياض محافظ القاهرة بالنيابة والقائمقام عبد الرحمن زكى مدير المتحف الحربى .

وقد وصل نبالة نائب الملك الى مكان الاحتفال فى الساعة العاشرة صباحا وفى مآبته صاحب العزة محمود يونس بك الأمين لراع فعرفت المدييق السلام الوطنى وبعد أن صافح بآاتته كبار مستنبليه اتخذ مجلسه فى صدر السراى بين مظاهر الحفوة والتكريم .

وقد بدئ الاحتفال بكلمة لقها مدير المتحف بين يدي نائب جلالة الملك تناول فيها كثيرا من المسائل التاريخية ونوه بنفضل جلالة الملك ورعايته المتحف منذ نشأته الأولى .

ثم التمس معالى وزير الحربى من نبالة نائب الملك التفضل بافتتاح المتحف فغادر السراى الى باب القصر وتقدم القائمقام عبد الرحمن

زكي بك بمفتاح المتحف الذهبي في صندوق من الجلد فتناولته نائب الملك وفتح
المتحف واخذ يطوف بأقسامه بينما كان مدير المتحف يدلي بها عنده عن
المعروضات بدقة.

وظل صاحب المجد النيل سامان داود يطوف بأقسام المتحف نحو أكثر
من ساعة وقد أعرب عن إعجاباته عندما علم بأن كل ما في المتحف صنع بأيدي
مصرية وقد شاهد نبالة ماضف أمام المتحف وفي حديقته من مدافع الهاون
الثقيلة ومدافع الحصون التي صنعت في مصر وبعض المدافع التي اشتركت
في حروب استرجاع السودان .

وفي أثناء الطواف جلس نبالة نائب الملك في قاعة مجلس ادارة المتحف
ووقع سجل افتتاح المتحف وقدمت المرطبات خلال ذلك انبالاته ومن معه .
ثم غادر نباله القلعة عائدا إلى داره في منتصف النهار .

تحقيقات معمارية

لما بنيت القلعة في أيام صلاح الدين كانت مبانيها تشغل المنطقة الشمالية الشرقية من المساحة التي تشغلها القلعة في الوقت الحاضر . وكانت لها ثلاثة أبواب .

الباب المدرج وباب القلعة وباب القرافة . ويقع الباب الأخير — اليوم في المظنة الشرقية للقلعة ويرى الأستاذ كريزويل أن جزء سور القلعة الشمالي الذي يمتد من مسجد سيدي سارية الى زاوية السور عندما يدور للاتصال بالباب الجديد من أعمال محمد علي الكبير . إذ أن خريطة الداهرة التي رسمها رجال الحملة الفرنسية لم يظهر عليها هذا الجزء من السور ومن المحتمل أن السور الشمال كان يمر في مكان مباني الواجهة الحالية بقصر الحريم الذي شيد في أيام محمد علي . وقد هدم لما بنى هذا القصر ثم شيد الى شماله السور الحالي الذي يفصله عن الواجهة الشمالية لقصر محمد علي الحديثة الموجودة اليوم .

وما زال جزء من السور الشمالي الأصلي موجودا الى اليوم خلف مسجد سيدي ساريه ويتصل بمحائط القصر الشرقي . وما زالت قاعدة البرج المستديرة النديمة الذي كان عنده منحرف السور موجودة بقاياها الى اليوم ويبلغ قطر هذه القاعدة خمسين قدما . ومن المحتمل جدا أن يكون الشكل الدائم للبرج المذكور على مثل البرجين الآخرين اللذين في السور الشمالي الشرقي (١) .

(١) لم توضح بقايا هذا البرج على خرائط المساحة بمقاس ١/١٠٠٠ .

ومن المأخوذ به أن أثره وصف كان يقع في محيط القسم الأصلي القديم في قبة صلاح الدين ولا ينبغي أن يكون البئر الذي يمد سكن القلعة بالمياه يقع في خارجها على ذلك يبين أن يكون السور البلي القلعة صلاح الدين كان قد بنى إلى جنوب السور الذي يقع فيه اليوم باب القلعة ليدخل ضمنه البئر وقد أثبت الأستاذ كزيويل بعد قيامه بأبحاثه الأثرية صحة هذا الرأي كما أيد الرأي القائل بأن باب القلعة الأصلي الذي هدمه قلاون في ٢ سبتمبر سنة ١٢٨٦ (١ رجب عام ٦٨٥ هـ) كان في موضع جنوبي الباب الحالي المعروف بالاسم والذي يواجه الباب الشمالي لمسجد الناصر — بنى في مكان هذا الباب قبة — وذكر أيضا كزيويل ما قاله المقرئ عن باب القبة كما شاهده في أيامه وكان في المكان الذي يقوم عليه اليوم وأن الذي شيده محمد الناصر في حوالي عام ١٣٢٠ — ١٣٢١ م (٧٢٠ هـ) .

ومن حسن الحظ أننا نجد نقطة محدودة كل التحديد في القسم الجنوبي للقلعة في الكتابة المقوشة بأسم السلطان محمد الناصر دلى بعد قدمين إلى يسار البرج المربع الكبير في الراوية الشمالية الغربية من مسجد محمد دلى . وتدل هذه الكتابة على أنه بدىء العمل في البرج في جمادى أول وانهى في شوال عام ٧١٣ هـ (أغسطس — سبتمبر ١٣١٣ — يناير فبراير ١٣١٤) وإلى جنوب هذا البرج توجد عدة دعائم ترتبطها بعضها ببعض عدة عقود يعلوها كوابيل حجرية كبيرة ولا بد أنها بنيت لحمل الدعائم المربعة الكبيرة للقصر الأبقى الذي شيده السلطان محمد الناصر عام ٧١٣ هـ (١٣١٣ م) وانهى مرة في عام ٧١٤ هـ ولا تزال إلى اليوم ترى أحجار هذا النصر الملونة ملقاة في مكانها .

ويرى الأستاذ كزيويل وهو عميدنا في تاريخ القلعة من الناحية الأثرية أن توسيع القبة تم في أيام حكم محمد الناصر واتجه هذا التوسع إلى الجنوب عندما بدأ بباية الحوش في عام ١٣٣٧ ١٣٣٨ (٧٣٨ هـ) وكانت مساحته أربعة أمدنة وقد شغل مكان الحفرة التي احتشد فيها بناؤا القلعة الحجارة لبنائها . وكان هذا العمل كبيرا أخذ الأمراء على عاتقهم أن

يشيدوه برجائهم والاستعانة بحيو اناتهم لنقل الرمل ومواد البناء . وقد اشتغل عدد كبير من أسرى الحروب مع رجال الممالك . وكان العمل مضنيا فمات منهم المئات . وفي هذا نجد تفسير وجود المرتفع الصناعى الذى تتركز عليه القلعة فى الجزء الجنوبى كما يلاحظ الأثرى عند مقارنة طبيعة الأرض فى المنطقتين الشمالية والجنوبية للقلعة . (١)

ويختتم الأستاذ كريزويل بحثه الأثرى للقلعة إلى أن أعادة اصلاح القلعة تم فى خمسة عهود .

١ — فى أيام السلطان برقوق على يد جر كس الخليل فى ربيع الثانى عام ٧٩١ هـ (مارس ابريل ١٣٨٩ م) .

٢ — فى أيام السلطان جقمق فى ذى القعدة عام ٨٥١ هـ (يناير فبراير ١٤٤٨) .

٣ — فى أيام السلطان قايتباى .

٤ — فى أيام السلطان طومان باى فى رمضان عام ٩٠٦ هـ (مارس ابريل ١٥٠١) .

٥ — فى أيام الخديوى اسماعيل فى رجب ١٢٨٥ هـ (أكتوبر نوفمبر ١٨٦٨) .

و جميع عمليات الإصلاح هذه مثبتة فى كتابات منقوشة على جدران القلعة وترى اليوم على الجدار الذى يقع الى يمين المدخل الخارجى لباب المدرج . وقد كانت تلك الكتابات التاريخية مثبتة فى غير ذلك المكان ولا يعلم بالضبط أين كان

بعضها . وقد ذكر الخبرتي أن والى مصر التركى اسماعيل باشا (١٦٩٩ — ١٧٠٤) قام بعمل عدة اصلاحات فى مباني ازواوية الجنوبية الغربية (للقسم الجنوبى) كما شيد مجد على باشا الباب الجديد حوالى عام ١٨٢٥ كما شيد دار المحفوظات فى عام ١٢٤٤هـ (١٨٢٨ — ١٨٢٩) والى جانب تجديداته



(شكل ٣ — السر المقوش على جدار القمة الداخلى)

شيد الكثير من المستشفيات التى مارالت باقيه الى اليوم — والى مجد على يرجع بناء جزء من السور لذى يربط مسجد سيدى سارية بالطريق لمؤدى الى الباب الجديد — واليه يرجع أيضا بناء المباني العلوية لأسوار القلعة التى تحمى على أمكنة المدافع ومراجلها ذات الطابع العثمانى القديم .

ملاحق

النصوص المنقوشة على جدر وأبواب القلعة .

تحصين القاهرة :

الأسوار الفاطمية ، السور الأول ، السور الثاني ، السور الثالث .

سور صلاح الدين ومجارى المياه القديمة .

أبو سعيد قرقوش مشيد القلعة .

ولاية القلعة .

من الملاحق : حكاية أبي الفوارس ...

أبو الفوارس ...

...

...

...

...

...

...

... (١)

النصوص المنقوشة على جدران القاعة

١ — لوحة الباب المدرج وهي من الرخام مائة با حراز ١٢٥ × ٦٩ سنتي مكتوبة بالنسخ الأيوبي وتشمل تسعة أسطر تاريخها ٥٧١ هجرية نصها:

”بسم الله الرحمن الرحيم ... أمر بإنشاء هذه القاعة الباهرة المنيورة لمحروسة القاهرة بالعزلة^(١) التي جمعت نفعا وتحصينا وسعة على من اتبعها إلى ظل مذكى وتحصيدا مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف بن أيوب محي دولة أمير المؤمنين في نظر أخيه وولى عهد الملك العدل سيف الدين أنى بكر محمد خليل أمير المؤمنين على يد أمير مملكته ومعين دولته قراقوش عبد الله المكي الناصرى في سنة تسع وسبعين وخمسمائة .

ويوجد تحت هذه الكتابة داخل خرطوش مستدير قطره ٢٥ سنتي تقريبا سطران بالكوفي المزهر في حروف متوسطة الحجم كتابة نصها :
”الملك لله“ .

٢ — لوحة تشغل جدران مدخل الباب المدرج ودركاته وباطن قبو المدخل مكتوبة بالنسخ الأيوبي تاريخها ٧١٣ هـ (السلطان محمد الناصر) نصها:

”اللهم أدم الناصر وتمكين والفتح المبين لمولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن علاون أعز الله نصره (أنصاره) فاتح الأمصار ومبيد الكفار حامى حومة الدين“ .

”عز لمولانا السلطان المالم العادل المجاهد المرباط السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان الملك المنصور أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره“ .

(١) العزلة — من المحتمل عزلة يقال عزمة تراب أى تل من التراب .

٣ — لوحة رخامية مثبتة بأعلى الكنف على الجدار الغربي للقلعة أسفل
دورة مياه مسجد محمد علي وميدان العلم — في ثلاثة أسطر مكتوبة بالنسخ
الملوكي نصها :

” بسم الله الرحمن الرحيم ... أمر بإنشاء هذا البرج المبارك السعيد مولانا
وسيدنا السلطان المالك الملك "ناصر الغازي في سبيل الله الحاج الى بيت الله
الزائر قبر رسول الله حصن الدنيا والدين محمد بن مولانا السلطان الشهيد
الملك منصور وبدؤه في جماد (ي) الأول . والفراخ في شوال سنة
ثلاث عشر وسبعمائة “ .

٤ — لوحة السلطان برقوق مثبتة على بعد خمسين مترا جنوب باب العزب
المطل على ميدان محمد علي — مكتوبة بخط النسخ الملوكي تاريخها ٧٩١ هـ
نصها :

” بسم الله الرحمن الرحيم... أمر بإنشاء هذا الصور المبارك مولانا السلطان
الملك الظاهر أبو سعيد عن نصره وذلك على يد المقر لأشرف السيفي جركس
الخليلي أمير أخور . الملكي الظاهري بتاريخ شهر ربيع الآخر سنة احدى
وتسعين وسبعمائة .

(٥) لوحة السلطان جقمق مثبتة بمدخل الباب المدرج — عبارة
عن سبعة أسطر مكتوبة بخط النسخ الملوكي . تاريخها ٨٥١ هـ نصها :

” بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
أمر بتجديد سلم هذا المدرج بباب القلعة الشريفة سيدنا ومالك رقبتنا
الامام الأعظم ساطن الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محي
العدل في العالمين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين ساطن
العرب والعجم صاحب السيف والقلم والبند والعلم فضل من حكم في عصره
بالحكم صاحب الديار المصرية والقلاع الشامية والثغور السكندرية

السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق عن نصره بتاريخ ... من ذى القعدة
الحرام سنة إحدى وخمسين وثمان مائة .

٦ — لوحة السلطان قايتباى مثبتة بمدخل الباب المدرج . عبارة عن
سبعة أسطر مثبتة على يمين اللوحة السابقة . مكتوبة بخط النسخ المملوكى
تاريخها " مشوه " نصها :

" بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
أمر بتجديد هذه القلعة الشريفة السلطانية من فضل الله وعزته سيدنا
ومولانا ومالك رقابنا سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين
محيى العدل فى العالمين أبو الفقراء والمساكين ملك البرين والبحرين خادم
الحرمين الشريفين مولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر
قايتباى أيد الله ملكه بمحمد وآله وصحبه (عشر كلمات ناقصة) .

٧ — لوحة السلطان طومان باى مثبتة تحت بضعة صنمات من
اللوحيتين السابقتين أبعادها ١٥٠ × ٨٠ سم . حروفها أوضح من قابة
اللوحيتين المذكورتين مكتوبة بخط النسخ المملوكى . تاريخها ٥٩٠٦ نصها :

" بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
أمر بتجديد هذه القلعة المباركة سيدنا ومولانا ومالك رقابنا السلطان المالك
الملك العادل صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والقلاع السواحلية
والأقطار المجازية سلطان الأرض الحاكم طولها والعرض القائم بالسنة
والفرض المجاهد المؤيد المنصور صاحب السيف والقلم والبند والعلم
السلطان الملك العادل أبو النصر طومان باى عن نصره بتاريخ شهر
رمضان سنة ست وتسعمائة " .

المغفولة محمد علي الكبير

٨ — في القدم السفلى للقلعة وهو الذي تشغله بعض مخازن سلاح الأسلحة والمهمات الملكي يوجد بورش الخيامية التي يوصل منها إلى المسبك القديم وعلى بابه لوحة تذكارية من الرخام بها أبيات من الشعر بالكتابة هذه ترجمتها :

شيد محمد علي باشا وإلى مصر الشهير

بناء عاليا هنا لصب المدافع

فنظمت أنا خيرت تاريخه الجوهري

صار هذا البناء المئين العالي طوبخانه^(١)

وخيرت أفندي شاعر وأديب بايع وفد إلى مصر فقال حظوة لدى محمد على باشا فعينه كاتباً بالديوان العالي في أوائل سنة ١٢٣٧ هـ

أما التاريخ الجوهري فهو حساب الحروف المنقوطة فقط في الشطر أو البيت المتعبر تاريخاً . ومجموع الحروف المنقوطة في الشطر الأخير في النص التركي هو ١٢٣٦ هـ .

وهذا هو النص التركي لهذه الأبيات .

وإلى مصر محمد علي باشا بنام

يابدى طوب دومك ايجون بونده باى بالا

حيزتا جوهر تاريخى قيلدم تيلم

أولدى طوبخانه بونيان مئين ووالا

سنة ١٢٣٦

(١) الطوبخانه هي الدار التي يصنع فيها المدفع .

٩ — التآبه التركية المنقوشة على مقصورة ساكن الجنان المغفور له محمد
على باشا

فوق باب المقصورة ”بسم الله الرحمن الرحيم“ وتحت ”بسملة“ إن
رحمه الله قريب من المحسنين

وترجمة الكتابة التي حول المقصورة :

حضرة ... والى ملك مصر مصر (عباس باشا)

أمر بإنشاء هذه المقصورة بلطف الله المنان

كان أودع أمانه هنا في ترابه الغفران

جسم الحاج محمد على ساكن الجنان

فوضع نجودت تاريخه بحروف مجوهرة

لقد قام بتليد الأثر الآصف (آصف بن برخيا) القلزي الاحسان

١٠ — التآبه التركية المنقوشة على باب الدفترخانه

محمد على باشا حاكم مصر الذائع الصيت

صارت طبقات الافلاك التسعة منازل لرفوته

وأرض عرشه ملجأ أهل المعارف

والشمس والقمر فراستان حول شمع إقباله

لقد عمرت يد همته أم الدنيا

فلم تبق ديار خربة الا الخرابات

أطل الله عمره وزاد إقباله فهو الذي

جاهد بشجاعة في سبيل الدين والدولة

انظرها هو أنشأ لأجل حفظ دفاتر مصر

هذه الدفترخانه المتينة النادرة

فكن يا كاشف^(١) في التفكير في تاريخها

أراق القلم ماء وجهه وقال دفترخانة ١٢٤٤ هـ

١١ — الكتابة التركية المنقوشة على باب القلعة القديم المواجه للدفترخانه
وتاريخها ١٢٤٠ هـ ومطلعها :

خديو الخطة المعمورة أم الدنيا الذي

أشعة نجمة تنير أقطار العالم كالشمس

فلن يصيب صفوف الاسلام غم لأن

نصل خنجره يرد الجواب لأعداء الدين

.....

١٢ — الكتابة التركية المنقوشة على باب الجناح الشرق لنصر الحرم
وقد ذكرناها في الفصل الذي عقدناه للقلعة في عصر محمد علي باشا وتاريخها
١٢٤٢ هـ .

١٣ — الكتابة التركية المنقوشة على باب القلعة وترجمتها :

والى مصر في عهد محمد علي باشا الكريم

خديو أعظم لم يأت في الدنيا مثله

(١) هو كاشف أفندى باشكاتب جريدة الوقائع المصرية حوالى سنة ١٢٤٤ هـ وعضو
مجلس المشورة العالي

ومن جملة أعماله ان كانت قلعة مصر خراباً

كالعظيم الرميم فجعلها كبنسان إرم

فليحقق الله آماله بالليل والنهار

وليشرح الله صدره في كل آن

وضع عزيز تاريخه في شطرة بعون الله

جدد بناء قلعة مصر في أساسها وجعلها قوية

١٤ — الكتابة المنقوشة بالضر بخانة

لوحة الباب الداخلى — طغراء مكتوب بها — نصر من الله وفتح قريب
وبشر المؤمنين يا محمد

وحول الطغراء فى الأركان الأربعة :

أبو بكر — عمر — عثمان — على

وبأسفل الطغراء

جدد هذا المكان المبارك الوزير الأعظم محمد على باشا^(١) ... مصر حالا
وكان ذلك فى عام ١٢٢٧ هـ

١٠ — لوحة الخديو اسماعيل من الرخام مثبتة على حائط السور قبلى
باب الغرب بجانب وعلى يسار كتابة برقوق نفس المقاس مكتوبة بخط
المنسخ نصها :

”إله من سليمان ، وإله بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء وتجديد
هذا السور المبارك . خديو مصر حالا اسمعيل ابن الحاج ابراهيم ابن
الحاج محمد على فى تاريخ شهر رجب سنة خمسة وثمانين ومائتين وألف“ .

(١) يلاحظ أن كلمة والى غير موجودة فى النقش

لوحات حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول

١٦ — الكتابة المنقوشة على باب المذبح الرخامي في مسجد محمد علي باشا ونصها :

”أمر بعمل هذا المذبح المبارك حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك الصالح فاروق الأول في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة .

١٧ — الكتابة المنقوشة على التركيبة الرخامية على قبر جده العظيم وكذلك على شاهد القبر ونص الكتابة الأخيرة :

”بسم الله الرحمن إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون هنا متوى وإلى مصر ومنقذها ورأس أسرتها المالكة المغفور له محمد علي باشا . ولد نضر الله وجهه بمدينة قولة سنة ١١٨٢ للهجرة النبوية وولى مصر في ١٧ من صفر سنة ١٢٢٠هـ ولحق بربه في ١٣ رمضان سنة ١٢٦٥ رحمه الله وطيب ثراه وبارك في أسرته اثرية وسلالته العلوية “ .

١٨ — الكتابة المدونة على قاعدة برج ساعة محمد علي نصها :

”في عهد الفاروق وبأمره الملكى الكريم تم ترميم هذا البرج وأصلحت الساعة المهداة إلى محمد علي من ملك فرنسا لويس فيليب عام ١٨٤٥هـ (١٣٦٢ - ١٩٤٣) .

١٩ — الكتابة المنقوشة على مدخل الباب الحديد ونصها :

في عهد حضرة صاحب الجلالة الملك

فاروق الأول

في يوم الخميس ٥ شعبان سنة ١٣٦٥ هجرية الموافق ٤ يوليو ١٩٤٦ ميلادية أنزل العلم البريطانى على هذه القلعة وتسلمها الجيش المصرى وفى

يوم الجمعة ١٢ رمضان سنة ١٣٦٥ هجرية الموافق ٩ أغسطس ١٩٤٦ ميلادية تفضل جلالة الملك فاروق الأول برفع العلم المهدى في جلالاته بيده الكريمة على هذه القلعة .

٢٠ — الكتابة المنقوشة على أربعة لوحات رخامية مثبتة حول قاعدة سارية العلم منها لوحتان دونت عليهما أسماء وقائع الجيش المصرى منذ أيام السلطان صلاح الدين إلى أيام محمد على وعلى إحدى هذه اللوحات نقشت العبارات الآتية :

” بنعمة الله تعالى رفع حضرة صاحب الجلالة “

فاروق الأول

” ملك مصر وصاحب بلاد النوبة والسودان و كدفان ودار فرر العلم المصرى خفاقا على هذه القلعة فى الثانى عشر فى شهر رمضان عام ١٣٦٥ هجرية الموافق يوم ذكرى وفاة المغفور له جده العظيم محمد على باشا الكبير “
وعلى اللوحة المواجهة لها نقش النطق المملكى الكريم . وقد سبق ذكره

٢ — تحصين القاهرة

١ — الأسوار الفاطمية :

كانت المدن في أغلب أنحاء العالم في الزمن الماضي تحصن بأسوار تقام حولها لصدها هجمات المغيرين عليها، ولهذا فنه لما أنشأ القائد جوهر مدينة القاهرة حرص على أن يقيم حولها سوراً سميكاً من اللبن وفتح فيه من الأبواب ما رآه ضرورياً في ذلك الزمان^(١).

وبعد انقضاء ١٢٠ سنة من تأسيس القاهرة رأى أمير الجيوش بدر الجمالي وكان يومئذ وزيراً للخليفة المستنصر أبو تميم معد أن الناس بنوا خارج السور بسبب اتساع العمران ولا سيما في الجهتين البحرية والقبالية من المدينة فأحاطها بسور وصله بسور جوهر القائد يمينا ويسارا وفتح فيه أبواباً أمام الأبواب القديمة لتكون عوضاً عنها.

ولما زاد العمران بعد ذلك واتسعت حدود المدينة أخذ صلاح الدين من سنة ٥٦٦ هـ وهو يومئذ وزيراً للخليفة العاضد عبد الله بن يوسف آخر الخلفاء الفاطميين في بناء سور جديد بالبحر بدلاً من أسوارها القديمة التي كانت مبنية باللبن لكي يشمل السور الجديد ما زاد على القاهرة في غربها إلى اليل وفي جنوبها إلى مصر القديمة واستبقى أبواب الجمالي لأنها كانت مبنية بالبحر.

السور الأول :

يستفاد مما ذكره المقرئ في خطاطه عند الكلام على سور القاهرة^(٢) أن القائد جوهر بدأ من عام ٣٥٩ هـ — ٩٧٠ م ببناء السور الذي أنشاه من

(١) من مذكرات للزوخ مجد بك رمزي ، وكتاب القاهرة للقائمقام عبد الرحمن زكي .

(٢) راجع الخطط المقرئية ج ١ ص ٣٧٧

اللبن على مناخه الذى نزل فيه هو وجنوده حيث القاهرة الآن ثم أداره على القصر والجامع وأدخل في دائرة سور القصر برء العظام وجعل القاهرة حارات للواصلين صحبته وصحبة مولاة المعز، ورتب في القصر جميع ما يحتاج اليه الخلفاء .

ومن جهة تعيين موقع السور وحدوده، فانه يستفاد مما ذكره المقرئى عند الكلام على باب النصر وباب الفتوح وبابى زويلة القديمين وباب زويلة الحال وباب البرقية وعلى جامع الحاكم وحارة بهاء الدين وعلى غير ذلك من المباني التى أقيمت بين هذا السور وسور بدر الجمالى، يستفاد من كل ذلك أن مدينة القاهرة القديمة التى أنشأها جوهر القائد كانت واقعة بين مباني القاهرة الحالية وكانت محاطة بسور من جهاتها الأربع في المنطقة التى تحدد اليوم من الجهة البحرية بخط يبدأ على رأس حارة الوسايمة من جهتها الشرقية حيث كان يبدأ السور البحرى ثم يسير الى الغرب حتى يتقابل بشارع باب النصر عند نقطة واقعة على مبعدة عشرين مترا الى شمال جامع الحاج محمود الحتمو المعروف بجامع الشهداء ، حيث كان يقع في تلك النقطة باب القدس الذى كان بداخل باب النصر . ومن هناك يسير السور الى الرب حتى يتقابل بشارع المعز لدين الله (شارع باب الفتوح سابقا) على رأس مدخل شارع بين السيارج حيث كان يقع في تلك النقطة باب القوس الذى كان داخلا في باب القترح ثم يمتد السور في مكان الوجهة البحرية للمباني الواقعة في شارع بين السيارج الى نهايته الغربية عند نقطة تجاه جامع حسن الزركشى وكان السور البحرى لمدينة جوهر ينتهى عند تلك النقطة .

وكان السور الغربى يبدأ من النقطة المذكورة ثم يسير متجها الى الجنوب الى أن يصل الى رأس شارع أمير الجيوش الجوانى حيث يقع باب القوس الذى كان بداخل باب القنطرة ثم يسير السور الى الجنوب في مكان الوجهة الغربية للمباني الواقعة بشارع الشعراى البرانى وشارع بين السورين وشارع بين النهدين الى باب الحوخة على رأس شارع قبو الزينة

ثم يمتد السور بعد ذلك بالوجهة الغربية لمباني شارع جامع البنات إلى أن ياتقى برأس شارع الاستئناف الحالى حيث كانت خوخة الأمير حسين ثم يسير السور جنوبا إلى حيث مبنى محكمة الاستئناف على مبعدة ٢٠ مترا جنوبى مدخل الاستئناف وعلى بعد عشرة أمتار فى شمال الباب الغربى لمحكمة الاستئناف . وعند تلك النقطة كان يقع باب سعادة وهو آخر السور الغربى لمدينة جوهر .

وكان السور القبلى يبدأ من الكتف القبلى لباب سعادة ثم يسير إلى الشرق إلى شارع المنجلة من الجهة القبلية ثم يمتد إلى شارع المنجدين من الغرب وبين شارع المعز لدين الله (شارع المناخلة سابقا) من الشرق وكان يقع بابا زويلة القديمان اللذان أنشأهما جوهر بعضهما فى السور القبلى تجاه جامع سام بن نوح وفى الجامع المذكور يمتد السور القبلى حتى يصل إلى دواب المحروق ، وإلى هذه النقطة ينتهى السور القبلى .

وكان السور الشرقى يبدأ من النقطة الميمنة بالخريطة ثم يمتد إلى الشمال حيث موقع باب البرقية الأولى ، ثم يمتد من تلك النقطة إلى الشمال حتى يتلاقى بالسور البحرى عند النقطة التى يحدها اليوم برج الظفر .

هذه هى مواقع السور الذى أنشأه جوهر القائد حول مدينة القاهرة الأصلية وليس لهذا السور أثر اليوم فى أية نقطة من جهاته الأربع التى كانت تحيط بالمدينة المذكورة حسب التحديد الذى ذكرناه .

السور الثانى :

٢ - سور بدر الجمالى

يستفاد مما أورده المقرئ فى خطه لدى الكلام عن أسوار القاهرة فى أيام الدولة الفاطمية^(١) أن السور الثانى بناه أمير الجيوش بدر الجمالى

(١) الخطط المقرئية الجزء الأول ص ٣٧٩

في سنة ٤٨٠هـ - ١٠٨٧م وزاد فيه من الشمال الزيادة التي بين بابي القوس
الذين أنشأهما جوهر القائد في سور القاهرة البحري وبين السور الحالى
الذى فيه باب النصر وباب الفتوح الحالىين ، ثم أضاف فيه من الجهة الجنوبية
الزيادة التي فيما بين بابي زويلة القديمين اللذين أنشأهما جوهر في سور
القاهرة القبلية وبين السور الذى فيه باب زويلة الحالى وجعل بدر الجمالى
الأسوار التي أنشأها من اللبن وأقام الأبواب من حجارة .

هذا هو ملخص تاريخ بناء السور الثانى . وأما من جهة تعيين موقعه
وحدوده فإنه يستفاد مما قاله المقرئى ، عند الكلام على باب النصر وباب
الفتوح وباب زويلة وعلى جامع الحاكم وعلى حارة بهاء الدين وعلى السور
الثالث الآتى ذكره الذى أنشأه صلاح الدين يستفاد من كل ذلك أن
الزيادة التي برز بها بدر الجمالى في الجهة الشمالية من سور جوهر هي التي
تحد اليوم من الشمال بالسور المحجرى الموجود الآن الذى يبدأ من النقطة
الذى يشغلها اليوم برج الظفر ، ثم يسير إلى الغرب إلى أن يصل إلى باب
النصر ثم إلى باب الفتوح وينتهى السور البحري بحسب وضعه ورسمه المبين
على الخريطة .

وبعد هذه الزيادة من الغرب بسور كان يمتد إلى الجنوب التي يبدأ منها
السور الغربى لمدينة جوهر .

وتحد من الجنوب بسور جوهر المبين على الخريطة ، وتحد من الشرق
بسور من اللبن كان يمتد من النقطة التي في أول الحد الشمالى من الشرق ،
ومنها يسير إلى الجنوب بشكله المتعرج المبين على الخريطة .

وأما الزيادة التي برز بها بدر الجمالى في الجهة الجنوبية من سور جوهر
فتحد اليوم من الشمال بسور جوهر المبين على الخريطة ، ومن الغرب بسور
من اللبن ، ثم يسير إلى الجنوب حيث كان موقع باب الفرج ، وبعاد
سيره إلى الجنوب حتى ينتهى السور الغربى لهذه الزيادة عند موقع باب

الحلق ، وتحد من الجنوب بسور من اللبن يسير إلى الشرق في مكان الوجهة القبلية للبناني القائمة بالجهة الشمالية من شارع تحت الربع إلى أن يصل إلى النقطة حيث يقع باب زويلة الحالي ، ثم يمتد السور إلى الشرق عند مدخل حارة الروم حيث كان مربع خوخة ايدغمش ثم يمضي من هذه النقطة إلى جهة الشرق في مكان الوجهة القبلية للبناني الواقعة بجزء من شارع الدرب الأحمر ثم الرقعة في حارة سيد الله ومنها تتم إلى حيث ينتهي الحد القلي عند الرج الذي يتبعه المارئي على السور المبين على خريطة القاهرة الحالية وتحد من الشرق بسور القاهرة الحالي المبين على الخريطة .

وأنشأ بدر الجمالي أسواره باللبن ما عدا الجزء الواقع بين باب الفتاح والنصر فهو بالحجر إلى اليوم . وكذلك الأجزاء الواقعة على جانبي البابين المذكورين وعلى جانبي باب زويلة فهي بالحجر على مسافة ١٢٠ متراً تقريباً من كل جانب ، وقد زل أثر الأسوار التي أنشأها بدر الجمالي باللبن ، وأقام صلاح الدين في مكانه بعض أجزاء منها أجزاء أخرى بالحجر في سورة الثالث الذي سنتكلم عنه .

تحصين القاهرة

٣ — في عهد السلطان صلاح الدين

قال ابن أبي طي : أنه في سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) شرع السلطان صلاح الدين في عمارة سور القاهرة لأنه قد تهدم أكثره . وصار طريقاً لا يرد داخلاً ولا خارجاً . وولاه لوزين بهاء الدين قراوش^(١) . ويقابلنا نص آخر أكثر وضوحاً لعباد الدين ، كاتب سر صلاح الدين ، وهو شاهد معاصر كانت وثائق الدولة في متناول يديه . وقد جاء فيه :
” كان السلطان لما تمك مصر رأى أن مصر والقاهرة لكل واحدة منها سور لا يمنعهما فقال إن افردت كل واحدة بسور احتاجت إلى جند

(١) تاريخ القلعة لكازانوف — ص ٣٥

مفرد يحيطها . واني أرى أن أدير عليها سورا واحدا من الشاطئ إلى الشاطئ وأمر ببناء قلعة في الوسط عند مسجد سعد الدولة على جبل المقطم . فابتدأ من ظاهر القاهرة ببرج في المنظم وانتهى به إلى أعلى مصر بروج وصلها بالبرج الأعظم . ووجدت في عهد السلطان بيت رفعه النواب (النائب عن السلطان) وتكمل فيه الحساب ومبلغه . وهو دائر البلد من مصر والقاهرة بمافيها من ساحل البحر والقلعة بالجبل تسعة وعشرون ألفا وثلاثمائة وذراعا (بذراع العمل وهو الذراع الهاشمي) . من ذلك ما بين قلعة انقسم (المقس) على شاطئ النيل والبرج بالكوم الأحمر بساحل مصر عشرة آلاف وخمسمائة ذراع . ومن القلعة بالمقسم (قلعة المقس) إلى حائط القلعة بالجبل بمسجد سعد الدولة ثمانية آلاف وثلاثمائة واثنا وتسعون ذراعا . ومن جانب حائط القلعة من جهة مسجد سعد الدولة إلى البرج بالكوم الأحمر سبعة آلاف ومائتان ذراع ودائر القلعة (من وراء القلعة) بحيال مسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف ومائتان وعشر أذرع وذلك طول قوسه في أمدانه وأبراجه من النيل إلى النيل على التحقيق والتعديل وذلك بالذراع الهاشمي .

والمعروف أن الذراع الهاشمي يعادل ٦٥٢ من المتر .

وقد ذكر المؤرخ أبو شامة صاحب كتاب الروضتين ، عند ما أورد الكلام عن القلعة ، نص ابن أبي طي في الفصل الذي أتى فيه الكلام عن حوادث عام ٥٦٦ هـ ، ثم أورد نص عماد الدين عن القلعة في حوادث عام ٥٧٢ هـ .

ولم يفت المؤرخ المقرئ أن ينال التاريخين بدون تعليق . ويرى الأستاذ كزانوفا أن صلاح الدين بدأ يفكر في بناء السور عام ٥٦٦ هـ ، ثم عدل مشروعه عام ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م) عقب حملته إلى الشام ، وهذا الرأي هو نفس ما ذهب إليه الأستاذ كريزويل . أي أن عمارة سور القاهرة الثالث لم تستهل إلا في سنة ١١٧٦ م .

المعبر الثالث :

ابتدأ السلطان صلاح الدين عمارة السور الثالث للقاهرة سنة ٥٦٦ هـ وهو يومئذ وزير الخليفة العاضد لدين الله ، وفي عام ٥٦٩ هـ انتدب الطواشي بهاء الدين قراقوش الأسدي لعمل السور فبناه بالنجارة على ما هو عليه الآن ، وأراد أن يجعل على القاهرة ومصر (مصر القديمة) والقلعة سورا واحدا ، فزاد في سور القاهرة الجزء الممتد من باب القنطرة إلى باب الشعرية ، ومن باب الشعرية إلى باب البحر ، ومن قلعة المقس في نهاية السور البحرى على النيل بجانب جامع المقس ، وانقطع السور من هناك ، وكان أمله أن يمد السور من المقس إلى أن يتصل بسور مصر (مصر القديمة) ثم زاد في سور القاهرة الجزء الذى يلي باب النصر إلى برج الظفر ، ومن هذا البرج إلى باب البرقية ومنه إلى درب بطوط وإلى خارج باب الوزير ليتصل بسور قلعة الجبل . فانقطع من مكان يقرب الآن من الصوة تحت القلعة .

وقد ذكر المقرئى أن طول السور المحيط فى أيامه بلغ ٢٩٣٠٢ ذراعا (بذراع العمل) وهو الذراع الهاشمى .

شرع صلاح الدين فى سنة ٥٦٦ هـ فى بناء السور الغربى للقاهرة على الحافة الشرقية للخليج المصرى فى محاذة سور بدر وسور جوهر وعلى مبعدة قليلة منهما إلى جهة الغرب وأقام صلاح الدين فملا قطعة من السور الغربى وهى الممتدة من النهاية الغربية لسور بدر إلى البحرى ومتجهة نحو الجنزب إلى باب القنطرة الذى أسأه صلاح الدين فى السور الغربى المذكور تجاه باب القوس الذى كان يعرف بباب الرماحين .

رأى صلاح الدين أن يزيد فى سور المدينة البحرى ويمده إلى الغرب ، ثم بنى سورها الغربى على النيل بدلا من الخليج

وذلك لكي يدخل في السور القسم الذي استجد خارج القاهرة في الجهة الغربية منها ، بين الخليج والنيل ، ولكي ينفذ هذا المشروع أوقف بناء السور الغربي على الخليج بعد باب القنطرة .

وفي سنة ٥٦٩ هـ شرع بهاء الدين قراوش في مد السور البحري من باب الشعرية إلى باب البحر بالمقس ، وأتمه فعلا ، وأراد أن يبنى السور الغربي للقاهرة على النيل من باب البحر إلى فم الخليج ، ليوصل سور القاهرة بسور مصر القديمة ، ولكن وفاة صلاح الدين حالت دون ذلك .

وقد اندثر أغلب سور صلاح الدين والباقي منه مبين على خريطة القاهرة الحالية في الجهات الآتية .

(أولا) إن النقطة التي كان قد أنشأها صلاح الدين في السور الغربي من السور البحري إلى باب القنطرة في محاذة الخليج ، هذه القطعة هدم أغلبها ولم يبق منها إلى وقتنا هذا سوى قطعة طولها ١٢٠ مترا كانت ممتدة من النهاية الغربية للسور البحري ثم تسير جنوبا في محاذة حارة المسطاحي . فلما فتح شارع الأمير فاروق في سنة ١٩٣٠ هدمت هذه القطعة ودخلت أرضها في امتداد الشارع المذكور ولم يبق منها إلا جزء صغير طوله نحو عشرة أمتار ولم تزل إدارة حفظ الآثار العربية تحتفظ بهذا الجزء للإرشاد إلى موقع السور القديم .

(ثانيا) إن السور البحري الذي كان ممتدا بين باب الشعرية الذي يعرف الآن بباب العدوى وبين باب البحر الذي يعرف الآن بباب الحديد بميدان باب الحديد ، وكان قائما إلى زمن دخول الفرنسيين بمصر سنة ١٧٩٨ م ، وبعد ذلك اعتدى الأهالي على هذا السور فهدموا معظمه ولم يتبق منه سوى بعض أجزاء لا تزال قائمة بلصق المساكن وهيئة على خريطة القاهرة الحالية مقطعة من الشرق إلى الغرب إلى قطاع من السور ممتدة بين المساكن الراقصة في المنطقة التي تحد اليوم من الشمال بسكة الفجالة وشارع الفجالة ومن الجنوب بشوارع بين الحارات والشمبكي

والطبالة ، ومن الشرق ميدان العدوى وفي هذا الميدان كان موقع باب
الشعرية ويأيه إلى جهات الغرب الأجزاء الباقية من السور المذكور .

(ثلثا) السور البحرى الذى فيه باب الفتوح وباب النصر سبق أن
تكلمنا عنه فى السور الثانى . وفى أيام صلاح الدين تجدد بناء بعض الأجزاء
بالحجر بدل اللبن كما يشاهد إلى اليوم فى السور البحرى .

ولما فتح شارع الأمير فاروق فى سنة ١٩٣٠ م أخذ فى طريقه جزءا
صغيرا وبذلك أصبح السور البحرى ينتهى من الغرب بشارع الأمير فاروق
على رأس شارع درب البزاة . وقد ثبت على طرف السور عند تلك النقطة
المشرفة على شارع الأمير فاروق لوحة من الرخام مكتوب عليها بالنقش
هدم جزء من السور لفتح الشارع المذكور فى سنة ١٩٣٠ م ، فى عهد
المغفور له الملك فؤاد الأول .

وابتداء السور البحرى فى أيام صلاح الدين إلى جهة الشرق حيث موقع
برج الظفر ولا يزال يوجد من هذه الزيادة جزء من سور القسم الشرقى
المجاور لبرج الظفر .

(رابعا) أما السور الشرقى لمدينة القاهرة فلا يزال يوجد منه بعض
أجزاء قائمة إلى اليوم ، منها الجزء الذى يمتد من برج الظفر يتجه جنوبا
بطول ٤٠٠ مترا وبنائه متخرب ، وتتولى إدارة حفظ الآثار العربية الآن
ترميمه وإصلاحه ، وفى هذا الجزء يقع الباب الحديدى ، أحد أبواب القاهرة
القديمة ، ومن السور المذكور الجزء الذى يبتدأ من برج درب المحروق
ويسير إلى الجنوب بطول ٧٦٠ مترا إلى أن ينقطع خلف زاوية الشيخ
مرشد بشارع باب الوزير . وهذا الجزء هو أطول الأجزاء القائمة من
السور الشرقى وحائطه أغلبها سليم إلى اليوم ومنه جزء آخر يمتد إلى الجنوب
بين الخانقة النظامية (جامع النظامى وقد خرب) وبين بقايا جامع السبع
سلاطين (خرب) وطول هذا الجزء ١٢٥ مترا ، ويتصل من نهايته
الجنوبية بسور القلعة .

وأما الباقي من السور الشرق ، وهو الجزء الذى يمتد من قلعة الجبل الى سور مدينة مصر فانه لما تكلم المقرئ عن السور الثالث (ج ١ ص ٣٧٩) قال إن صلاح الدين لم يتهيا له أن يصل سور قلعة الجبل بسور مدينة مصر . ولكنه تحدث عن أبواب القنطرة الواقع جنوبى مدينة مصر وهذا دليل على بناء السور فى الفترة المذكورة .

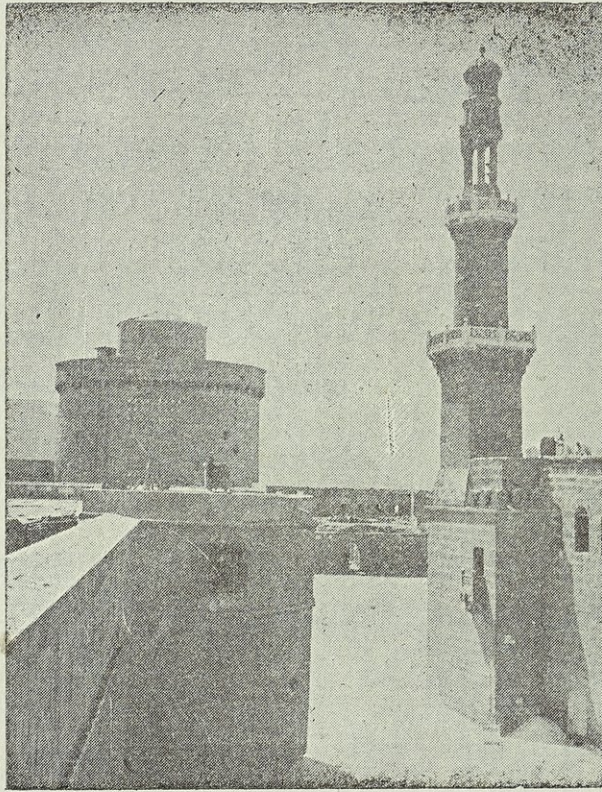
وباب القنطرة هذا هو غير باب القنطرة الذى يسمى خطأ باسم باب الشعرية بالماهرة .

ولما كان صلاح الدين قد عنى بصفة خاصة ببناء السور الشرق للقاهرة من برج الظفر الى القلعة كما عنى أيضا ببناء سور مدينة مصر ، فأتى أرحم الراى الذى ذكره المقرئ فيما يخص بمد السور من قلعة الجبل الى باب القنطرة ، أى الى مدينة مصر ، يؤيد ذلك وجود الحائط (العيون) التى كان يجرى من فوقها الماء فى المسافة من باب القرافة الى سور مدينة مصر ، وكان هذا الحائط قبل ذلك من سور القاهرة ، ثم بنى فوقها قناة لنقل الماء ، من النيل الى قلعة الجبل .

ويتبدى مما ذكر أن كماله السور الشرق للقاهرة فى المسافة ما بين قلعة الجبل وسور مدينة مصر لا يزال يوجد من آثاره حائط المجرى (العيون) القائمة الى اليوم من باب القرافة بالماهرة الى نقط تلاقيها بحائط العيون الممتدة الى مصر القديمة عند الزاوية القبلىة الشرقية فى جبانة السيدة نفيسة الجديدة .

ويرى القارئ مما ذكرناه نقلا عن الفلقتشندى أنه قال : أن السور الذى أنشاه صلاح الدين ما بين باب البحر والكوم الأحمر برأس منشأة المهراى التى عند فم الخليج قد سقط . وبالبحت تبين لنا أن هذا السور كان صلاح الدين عازما على اقامته على شاطئ النيل غربى القاهرة من ميدان باب الحديد الى فم الخليج المصرى ، ولكنه لم ينشأ بدليل ما ذكره

المقرىزى وهو أن صلاح الدين زاد في سور القاهرة القطعة التي من باب
الشعرية الى باب البحر وبن قلعة المناس في نهاية السور البحرى على النيل



(شكل ٤ — احدى مآذنى جامع الناصر)

بجانب المقس وانقطع من هناك وكان أمله أن يمد السور من المقس الى
أن يتصل بسور مصر القديمة من جهة فم الخليج ولكن هذا الأمل لم يتحقق
لوفاة صلاح الدين رحمه ^(١)

(١) يراجع هامش الجزء ٦ ص ١٧٦ و ١٧٧ من كتاب النجوم الزاهرة .

المرحوم محمد رمزي بك

سور صلاح الدين ومجارى المياه القديمة

تعددت الأقوال وتكاثرت الكتابات على مجارى المياه التى كانت تجلب المياه لعاصمة الديار المصرية ، من الفتح الاسلامى إلى عهد ساكن الجنان المغفور له محمد على باشا ، بل وإلى أوائل عصر الخديو اسماعيل وخلفه كثير من الكتب بين مجارى المياه والأسوار حتى إن مجرى العيون التى كانت توصل مياه النيل إلى قاعة الجبل اصطاح على تسميتهما إلى عهد قريب ، لدى العامة وفى المكنبات الرسمية ، مجرى صلاح الدين .

وفى العهد القريب ، من سنة ١٩١٢ إلى سنة ١٩١٩ ، وفقى المرحوم على بك بهجت ، مدير دار الآثار العربية ، إلى كشف جزء من سور صلاح الدين يحد ما كشفه من إطلال مدينة القسطنطينية من الجهة الجنوبية الشرقية ، فأزاح الغموض عن كثير من الألباسات التى وقع فيها كثير من المؤرخين السابقين ، الذين لم يبين لنا أحد منهم موقعة بالضبط . ولكن المنية عاجلته فلم ينته من كشف بقية السور إلى قلعة الجبل ، وقد اكتفى قبل إخراج مؤلفه عن حفريات القسطنطينية بعمل محسبات بسيطة على امتداد الجزء المكتشف إلى أن بلغ مجرى العيون .

وعندما تولى إدارة دار الآثار العربية الأستاذ المسيو جاستون فييت اقترح المرحوم الأستاذ حسن الهوارى ، أحد الأمناء ، الاسترسال فى كشف السور من المنطقة التى تركها بهجت بك متجهين إلى الجهة البحرية حيث قلعة الجبل فوافق مسيو جاستون على هذه الفكرة .

وبدأ العمل بطريقة فنية وتوالى الحفر بجناية زائدة فوق موقع السور من
أخر جهة يابح فيها . وكان العمال يحفرون حتى يبلغوا الصخر ، لأن المنطقة
التي بها اطلال القسطنطينية وسور صلاح الدين صخرية ، فاذا ما بلغ العمال
الصخر توقفوا عن العمل ووجهوا جهدهم الى تنظيف السور وعمل
صندوق أمامه ونقل هذه الأتربة الى الجهة الأمامية الشرقية وتنظيمها
بشكل جسر يصلح لأن تمر عليه العربات والسيارات ، وفي الجهة الداخلية
(الغربية) يواصل العمال في الكشف عما عساه يوجد من دور
القسطنطينية .

ولم يكن هناك داع للكشف عن السور بطريقة أخرى غير هذه كرفع الأتربة طبقة طبقة وكشف ما عساه يوجد في كل طبقة على حدة ، فالمنطقة التي بها السور تكاد تكون على منسوب واحد ، وعثر العمال على السور بعد الحفر لعمق متر أو مترين على الأكثر وأحيانا أقل من المتر ، فلا توجد هناك طبقات تستدعي استخدام النظريات الأركيولوجية الموبصية .

وقد كان من نتائج هذا الحفر المنظم أن كشف الأستاذ جزءا من السور
يبلغ طوله ٨٤١,٣٥ مترا كشف كلها كشفا تاما فظهرت فيه انحناءات
لم يكن في الوسخ قبيل الآن معرفتها كما ظهرت عدة دعائم ذات اشكال
نصف دائرية لتقوية السور على أبعاد متقاربة البعد .

وأيما إلى بيان تفصيل لما كشفه بهجت بك وما وفق الأستاذ الهواري إلى كشفه :

ما کشفه بهجت بك

پہاں

مر

٢٥,٠٠ جزء مستقيم من السور من أوله (الجهة القبليّة).

١٧,٠٠ » » بحري السابق .

بيان	متر
دعامة .	٦,٠٠
باب .	٥,٠٠
دعامة .	٧,٠٠
جزء مستقيم من السور .	٣٨,٠٠
» »	٤٦,٠٠
دعامة .	٨,٠٠
جزء مستقيم من السور .	٧٠,٠٠
» »	١٣,٠٠
دعامة .	٧,٠٠
جزء مستقيم من السور .	٧٣,٠٠
كسربة .	١١,٠٠
جزء مستقيم من السور .	٣١,٠٠
جملة ما كشفه بهجت بك .	٣٥٧,٠٠

ما كشف بعد وفاة بهجت بك :

بيان	متر
جزء من السور مركب من ثلاثة خطوط مستقيمة	١٢٢
	٣٥,٠٠
	١٥,٠٠
	٧٢,٠٠
الدعامة رقم (١)	٥,٠٠
جزء من السور مركب من خطين مستقيمين	٧٥,٠٠
محصور بين الدعامين رقم (١ و ١) .	٢٠,٠٠
	٥٥,٠٠
الدعامة رقم (١)	٦,٠٠
جزء من السور مركب من خطين مستقيمين	٧٠,٠٠
محصور بين الدعامين رقم (٢ و ٣) .	٣٠,٠٠
	٤٠,٠٠

بيان

متر

٦,٠٠	الدعامة رقم (٣) .	
٤١,٠٠	٨٠,٠٠ جزء من السور مركبا من ثلاثة خطوط مستقيمة	
٢٠,٠٠	محصورة بين الدعامتين (٤ و ٣) .	
١٩,٠٠	٧,٠٠ الدعامة رقم (٤)	
١٥,٠٠	٦٨,٠٠ جزء من السور مركبا من ثلاثة خطوط مستقيمة	
٣٨,٠٠	محصورة بين الدعامتين (٤ و ٥)	
٢٥,٠٠	٦,٠٠ الدعامة رقم (٥)	
	٦٣,٣٠ جزء من السور عبارة عن خط مستقيم محصور	
	بين الدعامتين (٥ و ٦)	
	٦,٠٠ الدعامة رقم (٦)	
١٩,٢٥	٥٩,٢٥ جزء من السور عبارة عن ثلاثة خطوط مستقيمة	
١٦,٠٠	محصور بين الدعامتين (٦ و ٧)	
٢٤,٠٠	٧,٠٠ الدعامة رقم (٧)	
	٦٣,٥٠ جزء من السور عبارة عن خط مستقيم محصور بين	
	الدعامتين (٧ و ٨) .	
	٩,٣٠ الدعامة رقم (٨)	
	٦٥,٥٠ جزء من السور عبارة عن خط مستقيم محصور بين	
	الدعامتين (٨ و ٩)	
	٦,٠٠ الدعامة رقم (٩)	
٤٠,٠٠	٦٣,٥٠ جزء من السور عبارة عن خطين مستقيمين محصور	
٢٣,٥٠	بين الدعامتين (٩ و ١٠)	
	٦,٩٠ الدعامة رقم (١٠)	
	٤٦,٠٠ جزء مستقيم من السور .	

٨٤١,٢٥

وتكون جملة المكشوف من السور $٨٤١,١٥ + ٣٥٧,٠٠ = ١١٩٨,٢٥$ مترا

ومما يذكر أن بهجت بك كان يروم أن يدرس سور صلاح الدين على حدة في بحث خاص ، كما يستدل على ذلك من كلامه من كتاب حقريات الفسطاط حيث قال في آثر باب من أبواب هذا الكتاب ما نصه :

”وان أعمال الحفر أظهرت أجزاء من هذا السور (سور صلاح الدين) مما كان أعد لحماية الفسطاط من الجهة الشرقية وسدين فيما بعد الظروف التي وضع فيها هذا المشروع وكيف نفذ وندرس تفاصيل بنائه“.

إلا أن المنية عاجته فلم يستطع تحقيق أمنيته .

والآن وقد ظهر من السور جزء كاف يمكننا من تحديد أبعاده على وجه كاف من الدقة لأن ما ظهر بجوار أطلال الفسطاط بين لا زاويته القبليّة الشرقية وزاويته البحرية الشرقية محدودة يبرج الظفر والجدار الغربي كان محاذيا لمجرى النيل في عهد صلاح الدين .

كان كازانوف ، الأثرى المعروف ، قد تسنى له في سنة ١٨٩١ عندما كتب عن (تاريخ قلعة القاهرة ووصفها) بوساطة النصوص التي أوردها المقرئ من تعيين تخطيط هذا السور تعيينا افتراضيا وقد حققت الحفريات ظنونه ، وقد صرنا الآن في مركز أحسن بكثير نظرا لكثرة الأجزاء التي كشفت من هذا السور .

فعلامة على الجزء الذي كشفته دار الآثار العربية في عهد المسيو فييت فإن هناك أجزاء أخرى أظهرها الكشف عن سطح الحاجز الجاري تحت إشراف الدار أيضا ، وهذه الأجزاء واقعة من الجهة القبليّة من أطلال الفسطاط ، وهي على صغر أطوالها فقط هامة لأنها تبين ميل السور في هذه الجهة واتجاهه نحو شاطئ النيل .

وإلى شمال القاعة وفي الجهة الشرقية ، ثم كشف جزء عظيم على امتداد الجناح الشرقي لبرج الظفر بفضل الأستاذ كريستوفيل .

وفضلا عن سور السلطان صلاح الدين فقد ظهر جزء عظيم من سور القائد بدر الدين الجمالى فى الجهة البحرية من القاهرة الفاطمية ، بين باب الفتوح والخليج المصرى ، وقد هدمت منه مصلحة التنظيم الجزء الذى اعترض شارع الأمير فاروق الحديد ، وهذا الجزء من السور كان فى حالة حسنة على عهد صلاح الدين وكان لا يزال هو الحد البحرى لمدينة القاهرة ولم تمتد المدينة إلى الجهة الشمالية بل اكتفت بالأرض الفضاء الغربية التى تخفت عن انحراف مجرى النيل مما كان سببا لاستبقاء سور بدر الجمالى حدا بحريا ومده فقط من الجهة الشرقية إلى برج الظفر ومن الجهة الغربية إلى شاطئ النيل الجديد .

وقد ظهر فى أوائل القرن العشرين بابان من أبواب سور القاهرة الذى بناه بدر الجمالى أولهما باب القنطرة وقد أصلحت لجنة الآثار برجه وعملت حوله خندقا ولكنها عادت وردمته لأنه كان معيقا لحركة المرور ، ومن جهة أخرى فقد أخذ العامة يلتقون أتربتهم وأوساخهم فى الخندق مما جعل منظره قذرا واستدعى ردمه ، والثانى باب البرقية واقع على الشارع الماروف بشارع قطع المرأة الموصل إلى قراقة المجاورين وقد ردمته مصلحة التنظيم أيضا من أجل إصلاح الشارع .

على أن هذين البابين لا أهمية لهما فى فحص سور صلاح الدين لأنهما ليسا منه بل من سور بدر الدين الجمالى ولم يستعملهما صلاح الدين .

وهناك نقطة أخرى حققها هجت بك وهى أن الجزء الشرقى من مجرى العيون ابتداء من التقاء هذه المجرى بسور صلاح الدين مشيد على بقايا سور صلاح الدين .

ولكن الآن قد أصبح لدينا عدة نقاط من سور صلاح الدين تحدد على وجه قريب جدا من الدقة موقعه الأصيل وتبين مقدار طوله .

١ — جزءان صغيران من السور واقعان بين المحاجر فى الجهة القبيلة من أطلال القسطنطين .

٢ — الجزء الذى يحد أطلال الفسطاط ومن الجهة الشرقية وجملة طوله ١١٩٨,٢٥ مترا منها ٣٥٧٠٠ مترا كشفها بهجت بك و ٨٤١٢٥ مترا كشفها الموارى وبه باب واثنى عشر دعامة (لم يكن مكشوفاً منه عند ما كتب الكابتن كريسويل وصفه الرجز إلا ٣٥٧ مترا) .

٣ — جزء ضائع هدمه عمال المحاجر ولم يتبق منه شيء مطلقاً يبلغ طوله وكان على امتداد الجزء السابق الى الشمال .

٤ — جزء لم يكشف بأجمعه ولكن بهجت بك عين فيه عدة نقاط بحسبات عملها على امتداد الجزء المكشوف .

٥ — جزء من السور أقيم فوقه جزء طويل من مجرى العيون وهو المجاور لقلعة الجبل .

٦ — جزء كبير من السور مشيد فوقه عدة مساكن من قرب باب الوزير إلى قرب الدراسة .

٧ — النهاية البحرية من الجانب الشرقى للسور وتتمى ببرج الظفر .

٨ — جزء يبدأ من برج الظفر متجهاً إلى الجهة الغربية حيث ينحفي السور تحت الأتربة .

٩ — جزء يتبدى من نقطة اختفائه تحت الأتربة إلى باب النصر .

١٠ — من باب النصر إلى برج سلم باب الفتوح وطوله ٢٥٨ مترا و ٦٩٩ سنتيمترا .

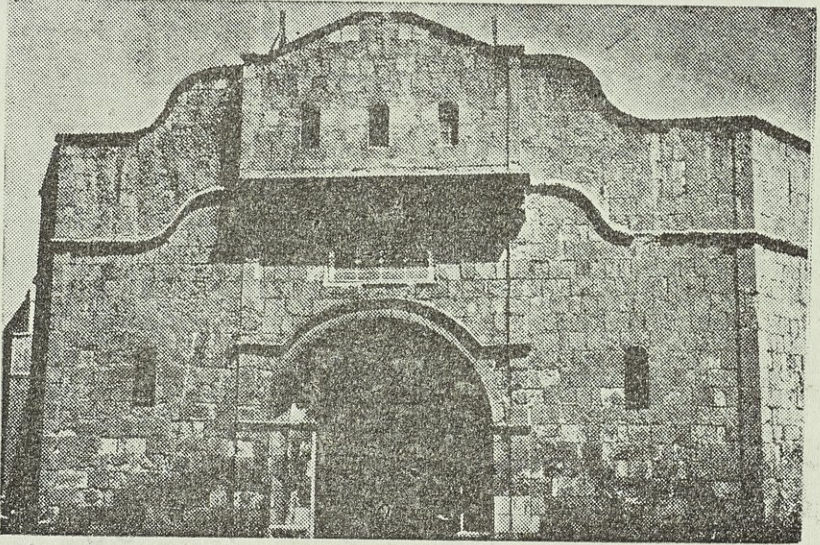
١١ — من باب الفتوح إلى شارع الأمير فاروق .

١٢ — عرض شارع الأمير فاروق .

١٣ — من الضفة الغربية لشارع الأمير فزوق إلى جامع أولاد عنان وهذا الجامع في موضع جامع القس الذي كان مشرفاً على النيل وبه مدة أجزاء بين المساكن مرسومة في خريطة القاهرة (١ : ٥٠٠٠) ذكرها الأستاذ كريزويل .

١٤ — الجزء المحاذي للنيل من جامع القس إلى فم الخليج .

فاذا جمعنا هذه الأربعة عشر جزءاً بعضها إلى بعض ألتينا أن طول سور صلاح الدين كان ٢٥٠٠ كيلومتراً تقريباً به جزء صغير في الجهة البحرية من سور بدر الدين الجمالى وهى من الخليج المصرى إلى شرق باب النصر^(١) .



(شكل ٥ — الباب الثانى للقلعة "عصر محمد على")

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والظاهره . الجزء ٦ ص ١٧٦ و ١٧٧

رواجع A Brief Chronology of the Muhammadan Monuments of Egypt to A.D. 1517. Professor K. A. C. Creswell, Page 4-56 and 66-69.

أبو سعيد قراقوش عبد الله الأسدي الملقب بهاء الدين^(١)

مشيد القلعة

لانسكاد مصادر التاريخ تذكر شيئا واضحاً عن نشأة قراقوش ، إذ كل ما يعرف عن نشأته أنه فتي رومي خصى ، ولد ببلاد آسيا الصغرى ، وكبر بها ثم اتصل بأسد الدين شيركوه ، وكان هذا الضابط يعمل هو وأخوه نجم الدين أيوب في خدمة ملك عظيم من آل زنكي ، هو عماد الدين المعروف بالشهيد ، ثم مات هذا الملك ، وخلفه على حكم الشام ولده نور الدين محمود ، فقرب هذين الضابطين الأخوين ، واستفعا بهما انتفاعاً عظيماً .

وفي دمشق تسمى الفتى الخصى باسم بهاء الدين عبد الله الأسدي ، فأما تسميته بابن عبد الله ، فكناية عن أنه لا يعرف له أب مسلم ، وأما وصفه بالأسدي ، فنسبه إلى أسد الدين شيركوه ، ولعله اشترى هذا الفتى بماله وتملكه ثم اعتقه ، أو لعله نسبته لنفسه لأن الفتى أسلم على يده ، والولاء كان في العرف بطرق ، من أهمها هاتان الطريقتان ، وكثيراً ما يكون بهما معا . ثم لما مات أسد الدين ، واتصل الفتى بخدمة ابن أخيه صلاح الدين ، صار يدعى بهاء الدين بن عبد الله الأسدي الناصري .

والظاهر أن رجال الجيش في دمشق كانوا قد أنسوا من هذا الفتى الرومي رشداً ، ووجدوا في أخلاقه ميلاً إلى الشدة والصلابة ، والقدرة على مواصلة العمل فأدنوه منهم ومنعوه الرتب العسكرية التي شجعته على خدمتهم ، وضرر بها المنزل في الصبر والجلد والمثابرة ، فما لبث بهاء الدين قراقوش أن أصبح أميراً من أمراء الجيش ، الذي كان يرأسه أسد الدين شيركوه ، وهو الجيش الذي دخل مصر يوم دعى نور الدين إلى التدخل في شؤونها ، وإلى تهدة الأحوال بها ، ثم إلى ضمها بحملة إلى التاج الآتابكي ، فذهب إليها أسد الدين ومعه ابن أخيه صلاح الدين ، وبصحبتهم ذلك الفتى الرومي ، الذي

(١) قراقوش ومعناها بالتركية الطائر الأسود — ابن خلكان (الجزء الأول — ص ٤٤٣)

شهد بعينه انهيار الدولة الفاطمية ، وقيام الدولة الأيوبية ، وكان دعامة من الدعامات التي قامت عليها هذه الدولة الفتية الناشئة .

قراقوش في حراسة القصر الفاطمي

وفي عام ٥٦٤ هجرية اضطرب رجال القصر الفاطمي ، وعمهم الذعر والفزع ، وسعى بينهم من حذرهم عاقبة الوزارة الجديدة ، وهي وزارة صلاح الدين ، ووقفهم على نيات هذا الرجل الخطير ، وألمها يومئذ تفكيره في إزالة الدعوة الفاطمية وإقامة الدعوة الباسية .

وإنه لأمر خطير حقاً ، أن تزول دولة وتقوم دولة ، أو أن يسقط عرش ويحل محله عرش ، ومن أجله دبرت المؤامرات في داخل القصر وخارجه ، وأخذت هذه المؤامرات تظهر واحدة فواحدة ، وكانت أولاها مؤامرة داخل القصر الفاطمي ، دبرها خصى أسود اسمه ”المؤتمن“ ، أراد بها إسقاط صلاح الدين والقضاء على جذه وعلى من أتوا معه من أهله وعشيرته . وكاد النجاح يكتب لهذه المؤامرة لولا ذكاء القاضي من ناحية ، ولولا سيف الملك شمس الدولة بن أيوب وهو الأخ الأكبر لصلاح الدين من ناحية ثانية .

في هذه الآونة فكر المؤتمن ورجاله أن يملأوا أيديهم من ذخائر القصر الفاطمي التي توشك أن تضيق منهم إلى الأبد ، وكان من أغراضهم في ذلك أن يستعينوا ببعض ثمنها على تشجيع الجند ، وتوفير المال اللازم لرجال المؤامرة .

عرف ذلك الوزير صلاح الدين ، فلم يمض وقتاً طويلاً حتى هداه تفكيره إلى خادمه الأمين ، وصديقه الغيور ، بهاء الدين قراقوش ، بفعله متولى القصر الفاطمي ، يحرسه ويصون ذخيره ، على كثرتها ودقتها وسهولة حملها وإمكان إخفائها .

ثم مات الخليفة الفاطمي ، وكان صلاح الدين قد انتهى من قطع اسمه من الخطبة وذكر اسم الخليفة العباسي بدلا منه فربح من بالقصر . وتولاهم الخوف والفرع . فدعا السلطان الملك الناصر صلاح الدين صديقه بهاء الدين قراقوش . وزوده بالأوامر لمواجهة الحالة الجديدة ، منها أن تزداد عنايته بالقصر ، فلا يخرج منه شيء أو تدخل فيه شيء إلا بأذنه ، ومنها أن يضاعف الحيلة لأهل الخليفة وذوي قرابته . وأن يخرجهم من القصر إلى مكان عينه له ترسل اليهم فيه كتبهم وأزوادهم فنقلوا إلى (دار برجوان) ، وهي دار كبيرة واسعة بالحارة المسماة بهذا الاسم من حارات القاهرة ومن تلك الأوامر التي تلقاها لأمر بهاء الدين قراقوش ، أن يعزل الرجال في القصر عن النساء لئلا يتأسلوا ويكثروا ، ويمتد ظلهم ، فيساعد ذلك على أن يعيدوا الدولة الفاطمية . مال "وأما الجوارى والعبيد ، فلك أيها الأمير أن تطلقهم ولك أن توزعهم ، ولك أن تطلق البيع فيمن بقي منهم بعد ذلك كله ، حتى لا يزدحم بهم القصر" ، بذلك ختم السلطان الملك الناصر حديثه الذي ألقاه على صديقه ثم تركه يود إلى القصر ، ليتولى بنفسه تنفيذ الأمر .

فأدب الأمير إلى القصر ، وفتح عينيه يومئذ على كنوزه ، فن ملأه بجواهر ، إلى قلاند ودرر ، إلى ياقوت وزمرد إلى مصوغات ذهبية وأوان فضية ، ومنسوجات مغربية ، و"صوان صينية" وأخرى منقوشة بالميناء ، ومن قطع ثمينة من الخزف ، إلى تماثيل عظيمة من البلور ، على هيئة الوحش أو الطير ، إلى حلل وثياب ، إلى طيب وطرانف ، إلى عقود من الزبرجد والجوهر ، الذي لانظيره في العالم كله ، إلى تحف مصنوعة من خشب الصندل والعود والأبنوس ، إلى بسط خيطة بالذهب والفضة ، إلى ستائر وأغطية من الديباج ، وقد نسجت فيها الرسوم الفاخرة ، والصور الرائعة ، إلى كؤوس من حجر غال ، قالوا إن من خواصه الوقاية من السم وكانت هذه الكؤوس تصنع للأمرء والملوك ، لتوضع فيها الأثربة ، فيغير لونها إن كان بها شيء من السم . ذلك كله عدا

الأسلحة والسروج ؛ والخيم والبند . وأما العرش الفاطمي نفسه فكان مرصعا بالدر والجوهر ، وكانت عتباته مغطاة بالذهب الخالص .

أما خزانة الكتب فقد ذهب المؤرخون أيضا إلى أنه لم يكن في جميع بلاد الاسلام أعظم منها ، فقد كانت بالقصر مكتبة مفهرسة ، فقيل يوما للأمير بهاء الدين قراقوش . إن هذه الكتب قد عاث فيها العث ولا بد من تهويتها وإخراجها من الرفوف إلى أرض الخزانة وكان قراقوش جنديا لا خبرة له بالكتب ، ولا دراية له بأسفار الادب ، فأخرجها ، ثم ظهر أن هذا الطالب إنما كان حيلة مدبرة من تجار الكتب ، يريدون بها تفريقها وخطل أنواعها ، فتم ذلك ، واختلطت كتب الأدب بكتب النجوم وكتب الشرع بكتب المنطق ، وكتب الطب بكتب الهندسة ، والكتب المجهولة بالكتب المشهورة .

وكان في خزانة الكتب مؤلفات يشتمل كل كتاب منها على خمسين أو ستين جزءا مجلدا إذا فقد منها جزء لا يخلف أبدا ، ففرق الدلالون هذه الأجزاء ، لتقل قيمة الكتب ، وتباع بأبخس الأثمان ، هذا مع أنهم كانوا يعرفون مواضع أجزائها ويستطيعون جمع شملها بعد شرائها .

وكان الأمير قد استأذن مولاه صلاح الدين في بيع هذه الكتب الهائلة ، فأذن له السلطان في بيعها ، ولم يظهر حرصه عليها ، لما زعم يومئذ من اشتغال أكثرها على كتب في عقائد الشيعة الفاسدة وآرائهم الدينية المتطرفة ، وهو إنما أتى إلى مصر لأغراض من أهمها محاربة هذه العقائد والآراء حتى لا يبقى في مصر من يميل إليها ، أو يأبى لها .

فعمل الأمير بأمر مولاه في الكتب ، كما عمل بأمره في غير الكتب وجعل لبيعها في القصر يومين من كل أسبوع ، واستمر البيع فيها وفي ذخائر القصر مدة طويلة .

وكذلك نجح الأمير قراقوش في القيام بمهمته ، فحافظ كل المحافظة على نفائس القصور وذخائره ، وبذل عنايتها في صونها وكان أميناً كل الأمانة

في بيعها ، وجمع المال الحاصل من ثمنها ، وإذا صح أنه غلب على أمره في شيء من ذلك كله ، فهو "خزانة الكتب" وله في ذلك عذران واضحان : أولهما جهله بقيمة هذه الكتب ، وثانيهما خوف صلاح الدين من هذه المكتبة وإساءته الظن بها إساءة جعلته لا يهجمه من أمرها أكثر من جمع المال الحاصل من بيعها .

فاحتال في اقتناء هذه المكتبة ، وفي انتهاز هذه الفرصة النادرة ، كثيرون من التجار وأهل الأدب وكان نصيب القاضي الفاضل منها نصيب الأسد ، فقليل إنه ظفر يومئذ بألوف من الكتب ، أسس بها مدرسة فخمة سماها باسمه وخدم بها مذهب السنة ، الذي انهارت بسببه دولة ، وقامت له دولة ، وأتى صلاح الدين كما قلنا لنشره ، والقضاء على جميع المذاهب التي كانت تناقضه .

قراقوش منشئ الأعمال الحربية

كان بين الحكومتين الفاطمية والأيوبية فروق من وجوه ، يمكن أن ترد كلها إلى سبب واحد ، هو أن حكومة الفاطميين كانت حكومة مدنية ، أما حكومة السلطان صلاح الدين فكانت حكومة عسكرية ، بعيت الأولى منها بنظام الدواوين واستكثرت فيها من الكتاب والموظفين ، على حين اكتفت الثانية بعدد يسير من هذه الدواوين ، ومن الموظفين . واستأثرت الحرب بجزء عظيم من عناية الدولة الأيوبية وذلك أن مهمة هذه الدولة انحصرت يومئذ في شقين هما التغلب على مذهب الشيعة في داخل مصر ، ثم إحراز النصر النهائي على الفرنج واجلائهم عن القدس .

من أجل ذلك احتاج السلطان صلاح الدين إلى منشآت حربية ومدنية كان من أهمها إذ ذاك إقامة الجسور ، وتطهير الترع ، وتشبيد القلاع والأسوار المحيطة بالبلاد ، لتقيها شر الغارات التي تأتي إليها من جانب الفرنج تارة والشيعة المنتهين في بقاع كثيرة من العالم الإسلامي تارة أخرى .

ومن لهذه المشروعات الحربية العظيمة غير الأمير بهاء الدين قراقوش
يبدل فيها جهده وتعيّنه على البذل طيبة له عرفت بالصبر وبالجلد، وعزيمة
يوشك أن لا يكون لها جد، ثم مواهب هندسية مرعان ما كشف عنها
صلاح الدين وأثناء منها في حروبه فائدة ليس إلى انكارها من سبيل.

ولعل أول ما أقام الأمير من ذلك قلعة الجبل، بناها على قطعة مرتفعة
تفصل من جبل المقطم وتشرف منها على القاهرة كلها. لم يقيم فيها السلطان
صلاح الدين. وبموته سكن القلعة من بعده ابنه العزيز، ثم في عهد الملك
الكامل من ملوك بني أيوب، ثم بناء هذه القلعة العظيمة، واتخذت منذ
ذلك اليوم مقر للحكومة، واستمر الحال على ذلك إلى زمن المغفور له
محمد علي باشا. ثم لم يكن إلا في عهد اسماعيل أن انتقلت دواوين الحكومة
إلى دور أخرى وسط مدينة القاهرة. غير أنه ما كاد الأمير قراقوش
يفرغ من بناء قلعة الجبل حتى اشتغل في بناء قلعة أخرى يقال لها قلعة المنس
وهي برج كبير بناه الأمير على النيل. وبني بالقرب من منه أبراجا أخرى على
النمط الأفرنجي لا النمط البيزنطي وسبب ذلك فيما يظهر أن صلاح الدين
اختلط في أثناء الحروب الصليبية بالفرنج المقيمين بالشرق في أثناء هذه
الحروب وعرف كيف يبنون قلاعهم وحصونهم، ووازن بينها وبين
حصون الفاطميين وقلاعهم فظهر له أن حصون الفرنج أصلح من الوجهة
الحربية. ثم ما كاد الأمير يستريح أيضا من بناء هذه الأبراج والحصون،
حتى شغل نفسه بمشروع آخر هو إقامة سور عظيم حول مصر والقاهرة،
قطع الحجارة له من الأهرام الصغيرة وبناه تجاه البحيرة على مسافة بعيدة منها.
أنبل الأمير قراقوش على بناء السور وبني فيه جامعا، وحفر في القلعة
بئرا وكانت هذه البئر من عجائب الأبنية يدور البئر من أعلاها، وينقل
الماء من وشطها وتدور أبقار أخرى في وسطها فينقل الماء من أسفلها
وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء وقيل أن أرض هذه البئر مسامة
لأرض بركة الفيل وأن ماءها كان عذبا في أول الأمر، ثم أراد قراقوش
الزودة في مائها فوسعها فخرجت منها عين مالحه غيرت حلاوتها.

وكان هذا السور الذي بناه قراقوش هو ثالث الأسوار التي أحاطت بالقاهرة الى عهده ، أما الأول فكان قد بناه القائد الرومي جوهري الصقلي وأما الثاني فكان قد بناه الوزير أمير الجيوش بدر الجمالي الفاطمي ، وكان هذان السوران الأولان قد بنيا من اللبن ، أما الثالث فقد بناه الأمير قراقوش من الحجارة ووقف عند قلعة المتقي ، لم يستطع أن يصلها بمصر .

عند ذلك كتب القاضي الفاضل إلى السلطان صلاح الدين رسالة طويلة منها قوله " والله يحكي الموقى حتى يستدير بالبلدين فمآنه ويمتد عليهما وواقه ، فما عقيلة كان معهما لترك بخير سوار ، ولا خصرها ليتجلى بغير منطقته نضار . والآن قد استقرت خواطر الناس ، وآمنوا من يد تخطف ، وبجرم يقدم ولا يتوقف . . . " فلما قرأ السلطان الرسالة سربها وبخادمه بهاء الدين قراقوش ، وعلم أن الله تعالى يريد بدولته خيرا ، إذ قيض لها مثله ومثل وزيره القاضي الفاضل .

بذلك أصبحت لقراقوش خبرة بمثل هذه الأعمال الحربية الجليلة وكان السلطان كلما احتاج إلى عمارة قلعة ، أو تجديد حصن ، أو تقوية جسر أو إقامة سور ، أو بناء برج ، عهد إليه في هذا العمل ، فقام به على خير طريقة . ولعل آخر ما قام به من ذلك عمارته لسور عكا سنة ٥٨٥ هـ ، وذلك في أثناء المحنة التي مرت به وبالمسلمين .

قراقوش الجندي في حصار عكا

كان قراقوش جنديا له شخصيته البارزة في الجيش ، غير أنه كان ذا ميول حربية هندسية ، عرفها السلطان صلاح الدين ، فكان يؤثر أن يتركه لهذه الأعمال التي ذكرنا لك طرفا منها ويذهب هو إلى القتال ومعه قواده وأبطاله ممن كانوا يحسنون الكر والفر في الميدان . ومن أجل ذلك لم نسمع عن بهاء الدين قراقوش أنه اشترك في حرب للسلطان إلا حين كان يدعو السلطان إلى إقامة الأسوار ونحوها ، فاذ ذاك لا يجد الأمير بدا من الذهاب معه .

ومضت السرايا ، وانتصر السلطان صلاح الدين على الفرنج ، واستولى منهم على بيت المقدس ، ثم تقدم في فتوحه ، حتى يسر الله له فتح حصن من أكبر حصون الفرنج ، وهو حصن عكا ، فملك السلطان هذا الحصن المنيع ، ولكن بعد أن دفع فيه الثمن غاليا ، من المال والأنفس ، واستشهد في ذلك اليوم أخ للفقير عيسى الحكاري وأتى الناس يعزونه ، فأنكر عليهم ذلك وقال ” هذا يوم الهناء ، لا يوم الغزاء ” .

وكان سور المدينة تهدم من شدة القتال ، فرأى السلطان أن يترك المدينة والحصن للأمر قراوش ، ويذهب هو لامتلاك الحصون الأخرى ، قيل أن يجمع الفرنج شملهم ، أو يأتيهم المدد من ملوكهم فيما وراء البحر . فبقى الأمير في هذه المدينة ، وبقيت معه حامية ليست بالكبيرة ، وسهر في إقامة ما تهدم من السور وعكف على عمله هذا بهمة لا تعرف الملل ، وعزيمة لا يلاحظها خور ، وهو واثق من أمر الله الذي وهب للمسلمين النصر حتى ملكوا هذا الحصن ، لا بد أن ينصرهم ويساعدهم على قهر الفرنج ، حتى لا يجذوا بدا من الجلاء عن الشرق . ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان حدث أن الفرنج بعد انهماءهم اجتمعوا في حصن آخر من حصونهم ، واتفقوا على أن يذهبوا بجوعهم إلى عكا ، حيث يظلمون محاصرين لهذه المدينة ، أو تأتيهم المدد الذي طلبوه من بلادهم ، وكانت قصد الفرنج من ذلك أن يشغلوا بهذا الحصار بال المسلمين منهم ، فقد أصبح بينهم وبين أن يطردوا الفرنج من البلاد نهائيا ، أن يأخذ المسلمون منهم بضعة حصون كانت لهم على الساحل .

فغضب الحصار على عكا عامين ، ذاق فيهما الأمير والمسلمون معه الأمرين بل ذاقوا هناك أفسى ما عرفته الحنة الصليبية من ألم وتحملوا فيها أشق ما مر بها من جهد ونصب ، حتى نفذت الأقوات من المدينة وكان على المسلمين أن يمدوا إخوانهم فيها بالطعام والميرة ولكن الفرنج كانوا كثيرا ما يحاولون بينهم وبين هذا العمل ، الذي تتوقف عليه حياة المسلمين في هذه المدينة البائسة . فاندثر فيهم الجوع وفقر الوباء فاه ،

ليبتاع الجند الذين أصبحوا ولا قدرة لهم على مشقة الحرب ، والعدو مع ذلك
يظهرهم وابلا من عذابه من خارج الحصن .

كل ذلك والأمير بهاء الدين قراقوش يصبر ويتجبد ، وكلما فكر جنده
في التسليم للعدو مناهم وأملهم وشد عزائمهم ، وما يزال بهم حتى يرجعوا
عن هذا العزم ، ويتقدموا شجعانا كما تهم لإخافة هذا الحصن .

ومع ذلك شاءت الأقدار أن تخذل هذا الأمير الصابر ، في الدفاع عن نفسه
وشرفه وجنده في هذه المحنة القاسية . فأتى المدد إلى الفرنج من ملوكهم
فيما وراء البحر ، ووقف ملوك الصليبيين صفوا واحدا أمام جيش صلاح
الدين ، فوهن المسلمون يومئذ ، ودخل الملوك المسيحيون عكا ، وانهاؤا
على أهل المدينة نهبا وذبحا وأسرى ، وكان الأمير نفسه ممن أسروا ، وبقي
في الأمر حتى أفرج عنه ^(١) حين عقد الصلح . وكان يوم الإفراج عنه
يوم سرور عظيم ، إذ فرح به السلطان الفرنج كله ، لما كان له عليه وعلى
الإسلام كله من الحرق ، فبقي الأمير إلى جانب السلطان لم يفارقه حتى
فارق السلطان هذه الدنيا .

قراقوش وابن مماتي

تلك صفحة الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي ، وتلك أعماله المجيدة
وبلاؤه الحسن في خدمة الدولة الأيوبية ، لم نذكرها كلها ، وإنما ألمنا
بالمهم منها من جهة وما اتفق عليه المؤرخون جميعا من جهة ثانية فلم نذكر
أنه اشترك في فتوح السلطان صلاح الدين بأوسع من هذا المدى الذي
وصفناه ، ولم نذكر أن السلطان العظيم كان يعتمد عليه بين حين وحين
في إخماد الثورات التي كانت تشتعل في القاهرة نفسها ، دافعا عن الدولة
الفاطمية التي انتهى أمرها ، وشاء القدر أن تقضى على يديه نجما .

(١) أطلق سراح الأمير قراقوش في يوم الثلاثاء ١١ شوال سنة ٥٨٨ هجرية .

ولكن شاء القدر أن يسلط على هذا القبس العظيم دخان كثيف يحول
بينه وبين الناظرين إليه ، فلا يصل إليهم حتى يؤذى العين . نظره ولا يسر
النفس أن تدنوا منه ، وهكذا الشمس المشرقة إذا اصطلحت على إخفاؤها
السحب ، بل هكذا الحق الأبلج حين تكتمته الريب .

ذلك أن أديبا جليل الخطر ، هو ابن مماتي ، عرف أنه كتب في هذا
الأمير كتابا كله مخفية ، فانتشر الكتاب وذاع ، وتسلي بقراءته ، وتمعنوا
بفكاهته . وحلت في أذهانهم هذه الصورة الجديدة على الصورة القديمة^(١) .

ولكن ينبغي أن مؤرخا جليل القدر كان خادكنا يقضى على هذه الصورة
المشوهة فيما كتبه عن الأمير الجليل ...

وقد لفظ الأمير قراقوش أنفاسه في مستهل رجب سنة ٥٩٧ هجرية
بالقاهرة ، وورى في تربته المعروفة به بسفح المقطم .

(١) كتاب حكم قراقوش — الدكتور عبد الطيف حمزة — مطبعة مصطفى البابي الحلبي

وعن هذا الكتاب اقتبسنا هذا الفصل

ولاية القلعة

أُمرت القلعة على جميع النظم العسكرية ، في خلال حكم الدولتين :
الأيوبية والملوكية ونهض في أرجائها التنظيم الحربي الباهر ، الذي اتسمت
به الدولة الملوكية في مصر . وقد عرف عن سلاطينها جهادهم المعروف
في مقاومة الصليبيين والمنول وكذلك الثمانيين مدة ثلاثة قرون ونيف .

ونحن لا نتناول هنا وصف هذا التنظيم الراقى ، الذي تيزت به جيوش
السلاطين المماليك في وادى النيل ، بل سنقتصر الكلام على أسماء الأداة
وكبار الموظفين الذين تولوا الاشراف على القلعة ، من حيث الإدارة
العسكرية والمحافظة على الأمن فيها .

كان يهيمن على القلعة ، في أيام المماليك ، ضابطان يختصان بوظيفة
الاشراف عليهما : أولهما نائب القلعة أو والى القلعة وثانيهما والى باب القلعة
(كُتِب ديوان الانشاء الذى نقل عنه الأسناد المستشرق كازانوف و يرحم
أن مؤلفه هو صاحب كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة —
جمال الدين أبو المحاسن تغرى بردى) (١) .

ويقول كازانوف إن الفصل الأول من هذا المخطوط الهام اشتمل على
ذكر الرتب الحربية الست الأولى لفادة الجيش المملوكى المعروفين بأرباب
السيف حسب الترتيب التالى :

(١) المكتبة الأهلية بباريس — مخطوط رقم ١٥٧٣

- ١ — الأمراء المقدمين الذين يقودون حوالى الألف من المشاة أو مائة من الخيالة^(١).
- ٢ — أمراء اثنا عشر أو السبعينات الذين يقودون ثمانين أو سبعين.
- ٣ — أمراء الطبلخانة (الفرقة الموسيقية) ويقودون أربعين^(٢).
- ٤ — أمراء العشرات^(٣).
- ٥ — أمراء الخمسات قادة الخمسة^(٤).
- ٦ — الجند وهم يكونون جنود الحلقة أو المالك السلطانية.

(١) قيل للأمراء المقدمين — أمراء مائة مقدمو ألف — والمقصود بذلك التسمية

المركبة وظيفة واحدة .

وكان أصحاب هذه الرتبة أعلى مراتب الأمراء . وشوهد أصحاب هذه الرتبة ، أيام المماليك ، يتولون جميع المناصب العليا بمصر ، أمثال نائب المملوكة ، ونائب النية ، ونائب الوجه البحرى والدوا دار الكبير والأسنادار ونائب حلب وما يضارع ذلك من الوظائف الكبرى

(٢) كانت للأمراء الطبلخانة الأحقية فى دق الطبول على أبوابهم كما يفعل السلطان

وأمراء المنان . ولكن على صورة مصغرة . ويظهر أنهم كانوا يسعون بأمرهم الطبلخانة لهم عن هم أقل منهم فى الرتبة وليس لهم طبلخانة . وفى الوظائف التى جرى أسنادها إليهم وظيفة الدوا دار الثانى وإلى القلعة وإلى القاهرة ونائب الإسكندرية ونائب طرابلس وحماة بالشام (محمد مصطفى زيادة — السلوك ص ٢٣٩) .

(٣) كان يشغل أمراء العشرات وظائف وإلى انفساط وشاد الدواوين وإلى القراءة

(٤) معظم أمراء الخمسات كانوا من أولاد الأمراء المنوفين ، تعطى لكل واحد منهم هذه الرتبة رعاية لسلفه ، وكانوا يعتبرون من أكبر الأجداد

وقد تكلم المؤلف ، في المقصد الثالث ، عند تناوله الحديث عن أمراء الطبليخانة أنه كان عددهم اثني عشر أميراً يحملون لقب هذه الوظيفة (أمراء الطبليخانة) تاسعهم نايب قلعة الجبل ، وواجبه المنوط به الاشراف على أعمال حراسة الأبواب والأبراج ، والمحافظة على المعتقلين بها والذخيرة ، وعلى فتح باب القلعة وغلقه ، واليه ترفع المحاكمات في القلعة من عامته ، وهو الذي يدير أعمالها عند خروج السلطان ويلاحظ الأسوار والمنافذ ، وهو الأمر بعبارة ما يحتاج إليه (المخطوطة المذكورة) .

وفي المقصد الرابع ، عند ما تحدث عن أرباب الوظائف من أمراء العشرات وكان عددهم ثمانية أمراء — كان خامسهم والى باب القلعة وهو الباب الثانى بعد الباب المدرج وكان مسئولاً عن غلقه وفتحه ومراقبة حراسه وله بالقرب منها دركة وله جماعة تحت أمره يأمرونهم بالأعمال التي يتخيرها لهم .

وقد كان باب القلعة ، في وقت ما ، الباب الثانى في الأهمية بعد الباب المدرج ، لأن باب السركان لا يستخدم إلا فيا ندر ، وكان باب القرافة المواجه لباب المدرج والذي يطل على جبل المقطم من الشرق قد أهمل أمره في القرن الرابع عشر .

ولقد ظلت وظيفة نائب القلعة أو واليها محتفظاً بها حتى دخل العثمانيون مصر عام ١٥١٧ فأهمل أمرها ولم يصل الى علمنا اذا كانت قد استبدلت بأخرى .

هذه هي واجبات صاحب هذه الوظيفة ، وسند ذكر أهم أمراء الجيش الذين تقلدوها منذ إنشائها .

١ — الأمير دلاء الدين طبرس المنصوري والى باب القلعة المنسوب إليه العارة فوق قنطرة الجنون على الخليج الكبير خارج القاهرة ، وكان حاكماً حازماً توفي في عام ٧٠٨ هـ (١٣٠٨ م) .

٢ — علم الدين سنجر الأحمدي متولى قلعة الجبل في أول صفر عام ٧٢٠ هـ
(١٣٢٠ م) .

٣ — بيارس الأحمدي (الأوحدي ؟) عين في ٨ صفر ٧٢٠ هـ وعزل

٤ — كندغلي العمري . ولى القلعة في الثاني من ذي القعدة عام ٧٣٦ هـ
(١٣٣٥ م) .

وقد ذكر أحد المؤرخين أنه ولى القلعة هؤلاء الثلاثة :

عبد الملك الناصري (٧٢٣ هـ — ١٣٢٣ م) ، ثم طارنطاي (٧٢٥ هـ —
١٣٢٤ م) ثم الأمير بهاء الدين (٧٢٦ هـ — ١٢٢٥ م) ثم نقل كندغلي
العمري في ١٥ ربيع الأول عام ٧٣٨ هـ (١٣٣٧ م) الى نيابة البيرة .
وفي ٢٠ منه عين عز الدين ايدمر الزراخ أمير جاندار .

٦ — سيف الدين ايدق . عين في أول ربيع الأول عام ٧٤٠ هـ
(١٣٢٩) وعين على باب القلعة أرغون شاه أمير عشرة وهو أول من يقابلنا
من الموظفين الذين شغلوا هذه الوظيفة .

٧ و ٨ — وفي عام ٧٥٣ هـ (١٣٥٢ م) عين اثنان على ولاية القلعة
هما الأمير ارزان والأمير قطلوبغا الذهبي ، كما عين آحران على ولاية باب
القلعة وهما الأمير كشلي السلاح دار وعلى المارداني .

٩ — وفي أيام السلطان شعبان الثاني (٧٦٤ — ٧٧٨ هـ) كان على
القلعة سيف الدين كلثيال المارداني الذي مات في عام ٧٨٩ هـ . وكان قد
أنعم عليه بأمرة طبخانة كما ذكر المؤرخ الجوهري .

١٠ — وقد ذكر مؤرخ آحراسما لأمر سراج الجمشجاوي عين على
القلعة عام ٧٨٥ هـ (١٣٨٣ م) عرضا عن طشتمر المظفري بعد أن أضيف
إليه إمرة طبخانة وقد مات سراج عام ٧٩٠ هـ .

١١ — وكانت مدة خلفه الأمير سبيع قصيرة في ولاية القلعة وقد سماه الجوهري والى القلعة .

١٢ — بجاش النوروزى نائب القلعة . وهو الذى وكل اليه في ٢٧ صفر عام ٧٩١ هـ الأكد من شخصية الخليفة المتوكل .

١٣ — قطلوبغا السيمى — ٧٩١ هـ — ١٣٨٨ م .

١٤ — جابان أنى مامق .

١٥ — صارم الدين ابراهيم بن بلرغى ٧٩١ هـ وحكم عليه بالسجن في عام ٧٩٢ هـ ثم أفرج عنه وأخلع عليه وأعيد الى وظيفة ولاية القلعة .

١٦ — لما جلس السلطان برقوق على العرش في عام ٧٩٢ هـ عين الأمير سودون النظامى نائبا للقلعة .

١٧ — في عام ٨٠٢ هـ (١٣٩٩ م) عين الأمير فرارى الاسبغارى واليا للقلعة .

١٨ — الأمير كشيذا الجمالى (٨١٣ هـ — ١٤١٠ م) .

١٩ — شاهين الرومى (٨١٤ هـ — ١٤١١ م) .

٢٠ — عين الملك المؤيد شيخ — الأمير — بردك .

٢١ — أسندت ولاية القلعة للأمير أرنبغا الزردكش وكلف بتحصين القلعة وشحنها باراد والبال .

٢٢ — تسلم القلعة الأمير يابغا الباصرى .

٢٣ — ازدمر حيا (٩) في عام ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) .

٢٤ — الأمير طوغان . ٨٢٧ هـ .

- ٢٥ — الأمير أحمد الملطى .
- ٢٦ — فى عام ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) تولى نيابة القلعة الأمير جقمق العلانى .
- ٢٧ — فى عام ٨٢٧ هـ (١٤٢٣ م) ولى تغرى برمس نيابة القلعة .
- ٢٨ — فى عام ٨٣٨ هـ (١٤٣٤ م) خاع على ثانى بك نيابة القلعة الذى عزل سنة ٨٤٢ هـ ثم توفى سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) .
- ٢٩ — قرر جقمق النورى فى نيابة القلعة سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) .
- ٣٠ — خلع على الأمير ثانى بك البرديكى ، أحد أمراء الألوف ، بناية القلعة فى ربيع الأول عام ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) .
- ٣١ — وفى عام ٨٤٩ هـ (١٤٤٥ م) عين تغرى برمش الفقيه — ويحتمل أن يكون هذا الوالى نفسه الذى ولى القلعة المرة الأولى فى عام ٨٢٧ هـ . وقد نفى إلى القدس فى العام ذاته .
- ٣٢ — وولى فى مكانه الأمير سيف الدين يونس بن عبد الله العلانى الناصرى الأمير اخور فى ١١ صفر عام ٨٤٩ هـ وقد مات بالطاعون عام ٨٦٤ هـ (١٤٥٩ م) .
- ٣٣ — وفى عام ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م) ولى قانباى الأعمش الناصرى عوضا عن يونس . وكان أصله من مماليك الناصر فرج .
- ٣٤ — بعد موته قرر تعيين سودون النوروزى الساجدار ، وتوفى فى السبعين من عمره ، وكان من مماليك نوروز الحافظ نائب الشام . جله الملك الأشرف اينال نايب قلعة الجبل بعد موت قانباى المذكور . فدام فى النيابة إلى أن مات سنة ٨٦٢ هـ (١٤٥٧ م) .

٣٥ — استقر كسباى المؤيدى .

٣٦ — فى عام ٨٦٥ هـ (١٤٦٠ م) عين خير بك القصرى ، وفى أيامه غادر مقره فى باب المدرج ، وبقى باب القلعة بغير ضابط .

٣٧ — بين سرودون البرد بكى الفقيه المؤيدى دام ٨٧٢ هـ (١٤٦٧ م) وعزل .

٣٨ — تولى النيابة تغرى بردى ططر الظاهرى .

٣٩ — وفى عام ٩٠٣ هـ (١٤٩٧ م) قرر بيرس فى نيابة القلعة .

٤٠ — تولى الأمير قانياك أبوشامة .

٤١ — فى دام ٩٠٥ هـ عين جانبلاط .

٤٢ — خلع على الأمير ارزمك وصار نائب القلعة عوضا عن الأمير جانبلاط .

٤٣ — وفى ١٩ شعبان دام ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) عين السلطان طومان باى الأمير طوخ المحمدى واليا القلعة .

٤٤ — وفى أوائل دام ٩١٢ هـ (١٥٠٦ م) كان لأمير طقطباى نائب القلعة الذى ظل ينهض بأعباء وظيفته الى ٢٠ رمضان ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) عين كبير الأمناء السلطان (حاجب الجباب) واخلع على ثانى بك الأشرفى

٤٥ — ثانى بك الأشرفى

٤٦ — الأمير خير الدين ، أحد أمراء الجيش وكان آخر نواب القلعة على عهد السلاطين المماليك (١٥١٧) .

وبانتهاء الحكم المملوكى ، قضى على هذه الوظيفة الجليلية ، ولا نعلم إذا كان محمد على باشا قد أعادها فى أثناء حكمه .

مراجع الكتاب

— أبو شامة :

كتاب الروضتين في أخبار الدولتين . جزءان . القاهرة ١٢٨٧ هـ .

— أبو المحاسن — جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكي :

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . طبع ١٠ أجزاء — القاهرة .

— على مبارك باشا :

الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة المشهورة .

— عبد الرحمن الجبرتي :

عجائب الآثار في التراجم والأخبار . طبعة بولاق ١٢٩٧ هـ . أربعة أجزاء

— تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المعروف بـ ياقوت ريزي .

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . طبعة بولاق ١٢٧٠ هـ . جزءان

طبعة النيل ١٣٢٤ هـ . أربعة أجزاء

— جلال الدين السيوطي :

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة . مجلدان — القاهرة .

— القلقشندي :

صبح الأعشى ١٤ مجلدا — القاهرة .

— عبد الرحمن زكي (القائمقام) والدكتور زكي محمد حسن عميد كلية

الآداب في مصر الإسلامية — القاهرة ١٩٣٨

— عبد الرحمن زكي (القائم مقام) :

القاهرة — جزاء — القاهرة ١٩٣٢ و ١٩٣٥

القاهرة من المنزلي الفاروق — القاهرة ١٩٤٣

الجيش المصري في عهد محمد علي الكبير — القاهرة ١٩٣٩

— ابن ايس :

بدائع الزهور في وقائع الدهور — ثلاثة أجزاء .

— محمد عبد الله عنان :

مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية — القاهرة — ١٩٣١

— حسن عبد الوهاب :

تاريخ المساجد الأثرية — جزاء — القاهرة ١٩٤٦

كراسات لجنة حفظ الآثار العربية — القاهرة .

١٨٨٣ — ١٩٢٠

— الدكتور عبد اللطيف حمزة .

حكم قره قوش — مطبعة مصطفى الحلبي .

— مذكرات المرحوم الأستاذ حسن الهواري أمين دار الآثار العربية .

— مذكرات المرحوم الأستاذ محمد بك رمزي .

المراجع الأفرنجية

— P. Casanova :

Histoire et Description de la Citadelle du Caire ;
memoires publiés par les membres de la mission Arché-
ologique Française du Caire. Tome Sixieme, 1897.

— Professor K.A.C. Creswell :

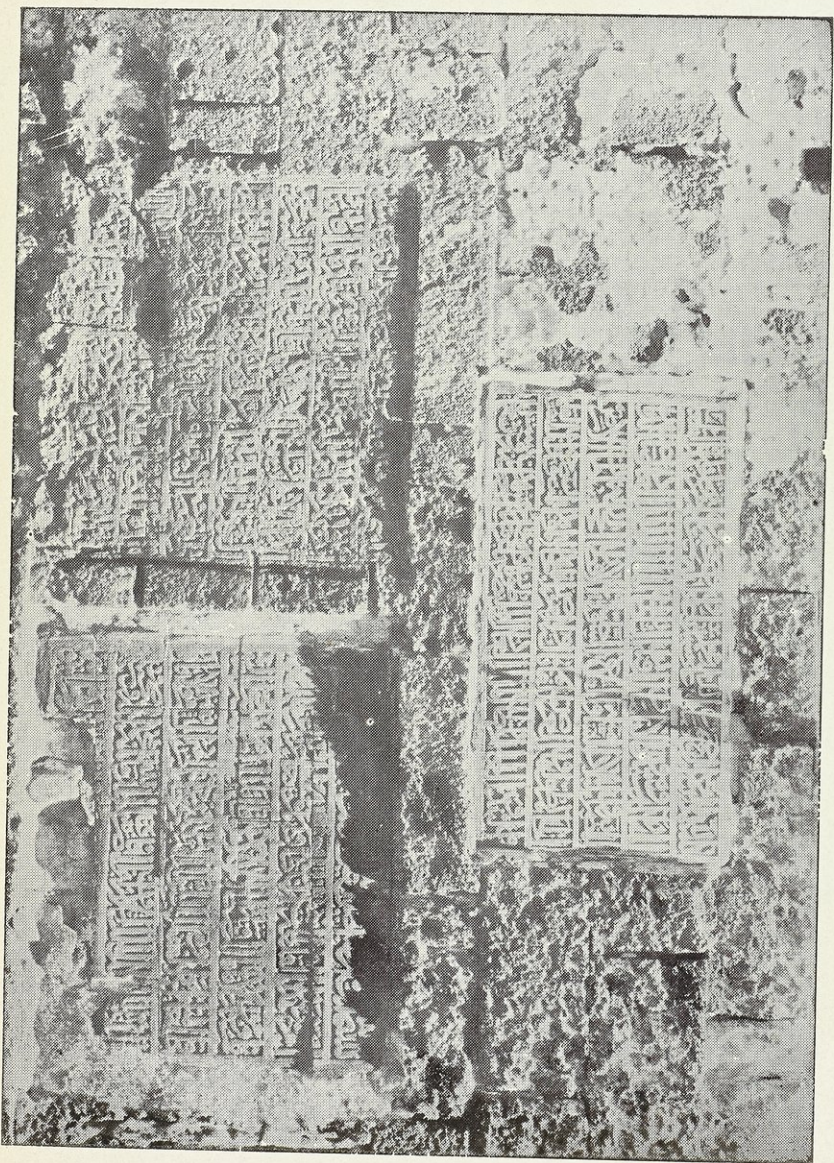
Archeological Researches at the Citadel of Cairo
Cairo, 1924.

— Description de l'Egypte, 2^e édition, Paris. 1821, t
XVIII et Atlas.

الجزء الخاص بوصف القلعة (ص ٣٤٧ - ٣٦٣ و ٥١٨ - ٥٢٢)
الذى كتبه جومار .

— Stanley Lane - Poole :

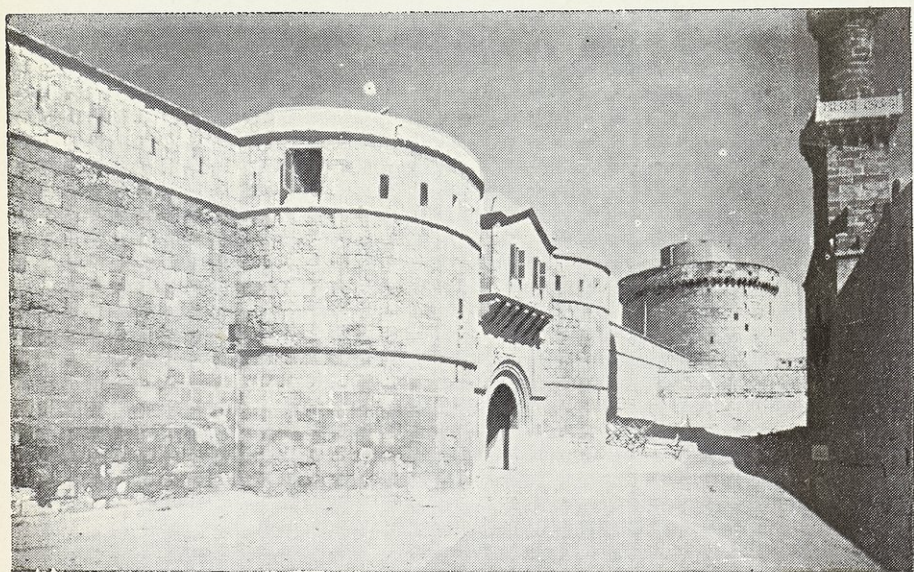
The Art of the Saracens in Egypt. London, 2, 86.



(شكل ٦ — الكائنات الميثولوجية على جدار الباب المدرج)

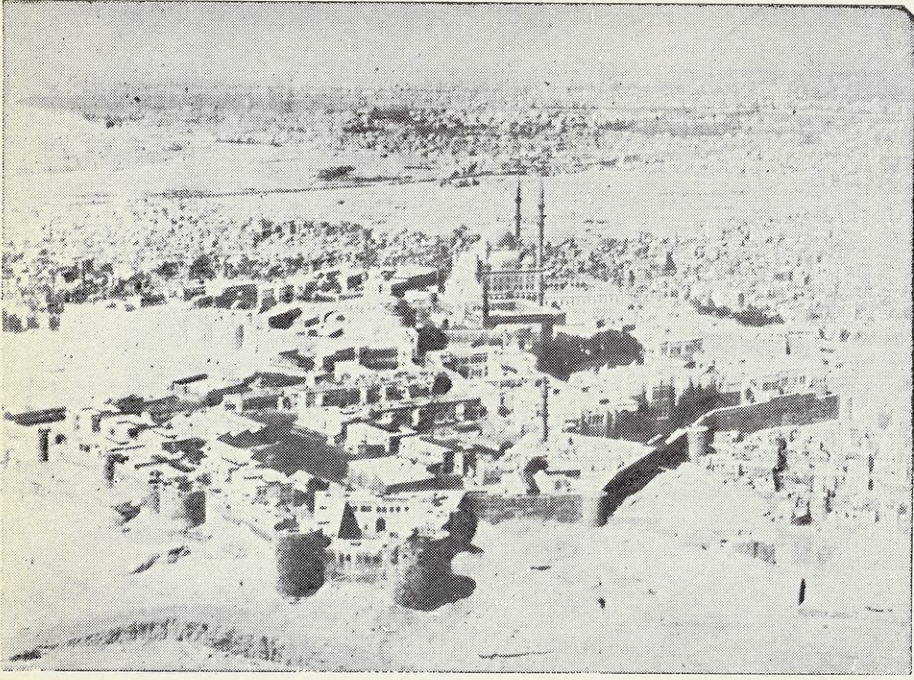


(شكل ٧ — الباب المدرج)

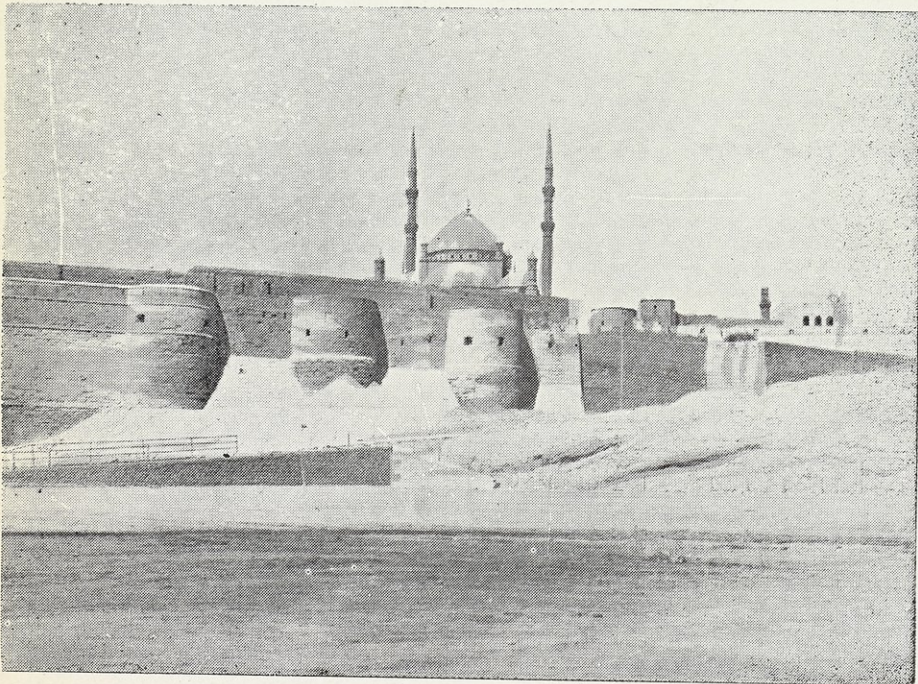


(شكل ٨ — باب المدعة — أمام مدخل جامع الناصر الشمالي)

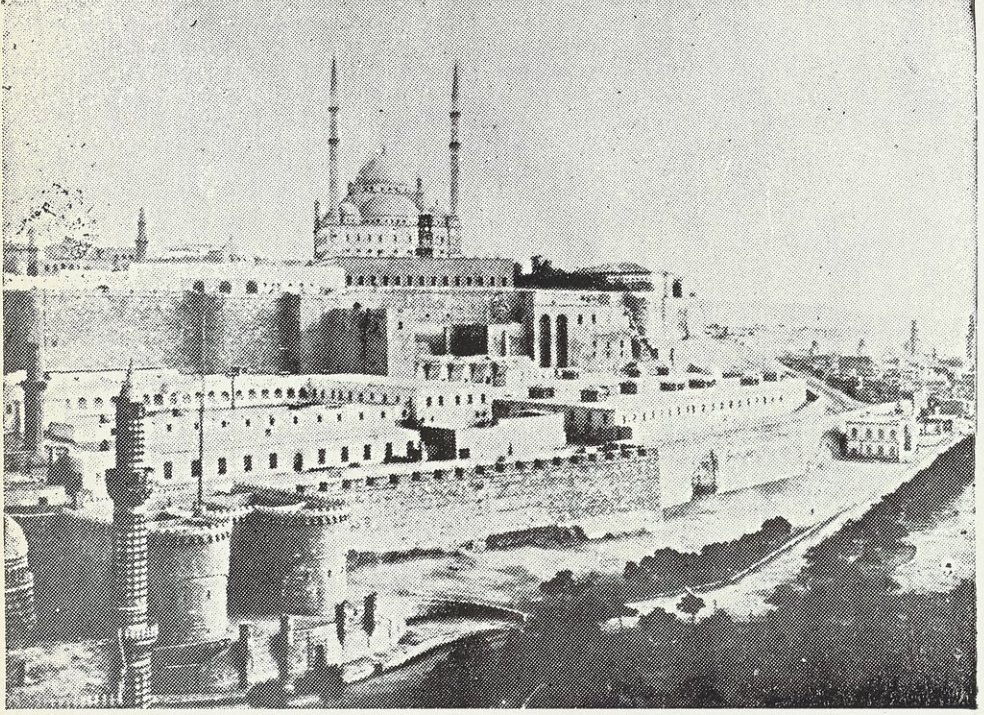
(13 v - 13 D. 2)



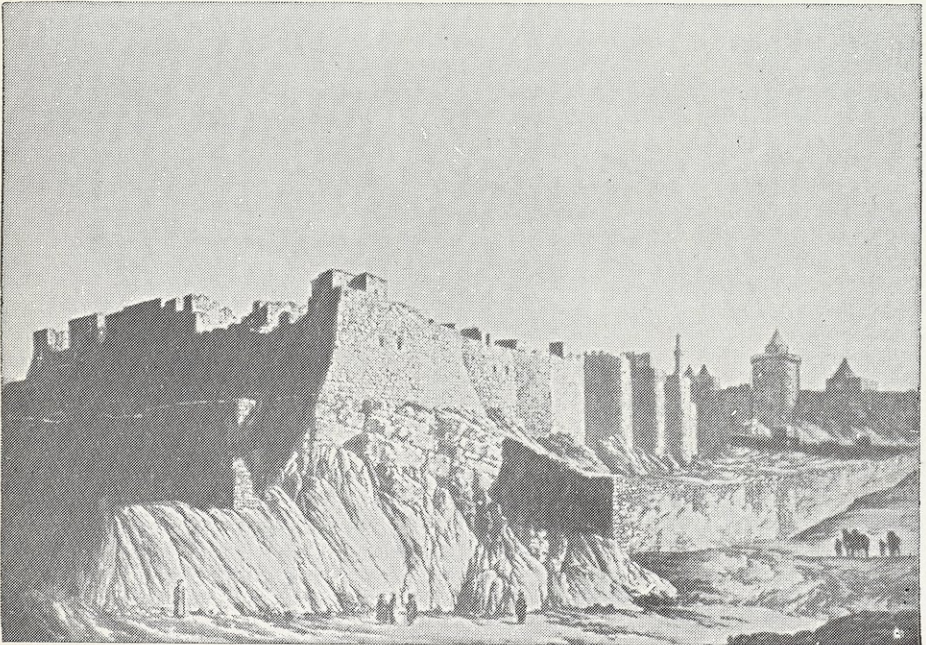
(شكل ٩ — منظر عام لقلمة من الجو)



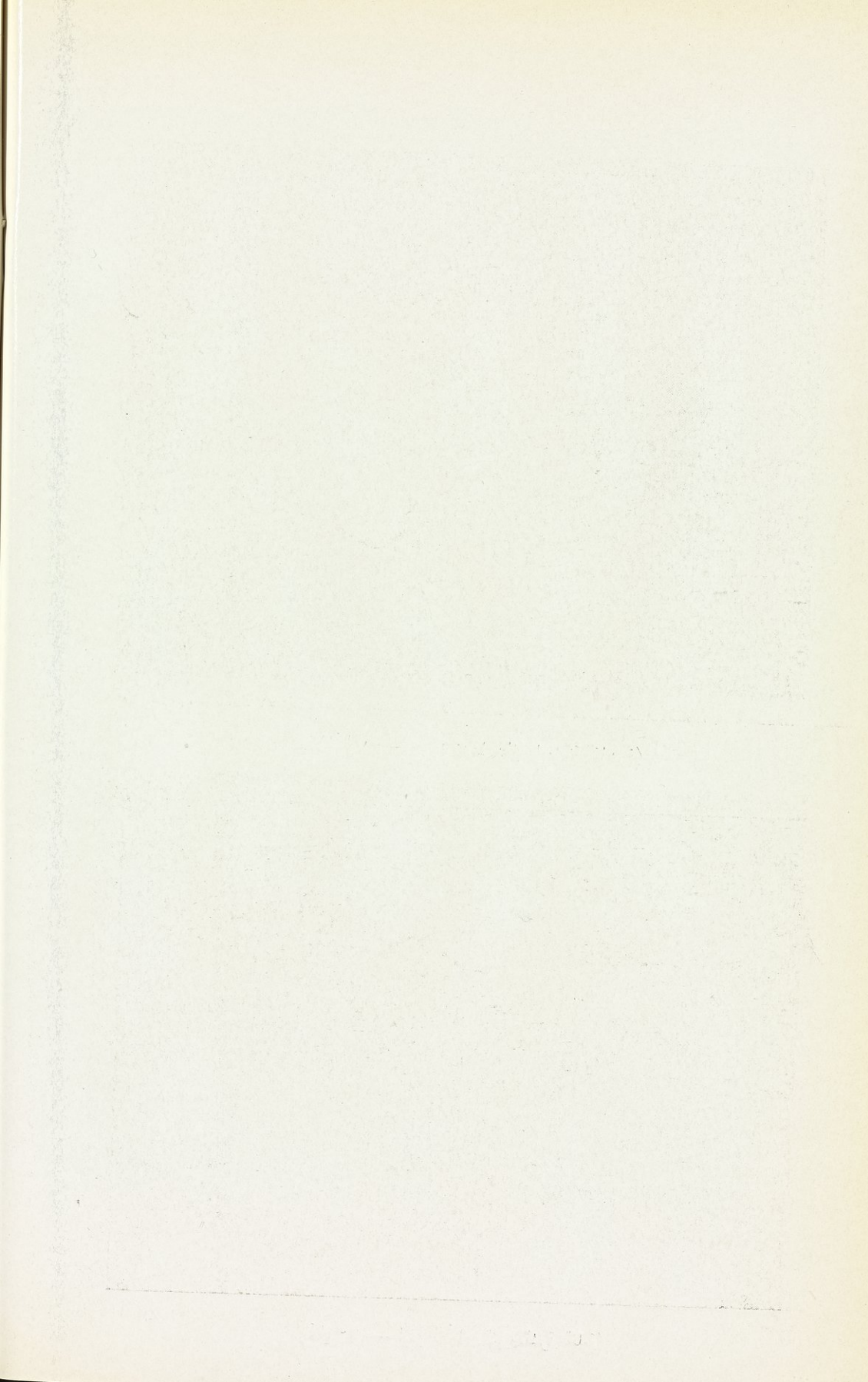
(شكل ١٠ — جزء من السور الشرقي لقلمة)

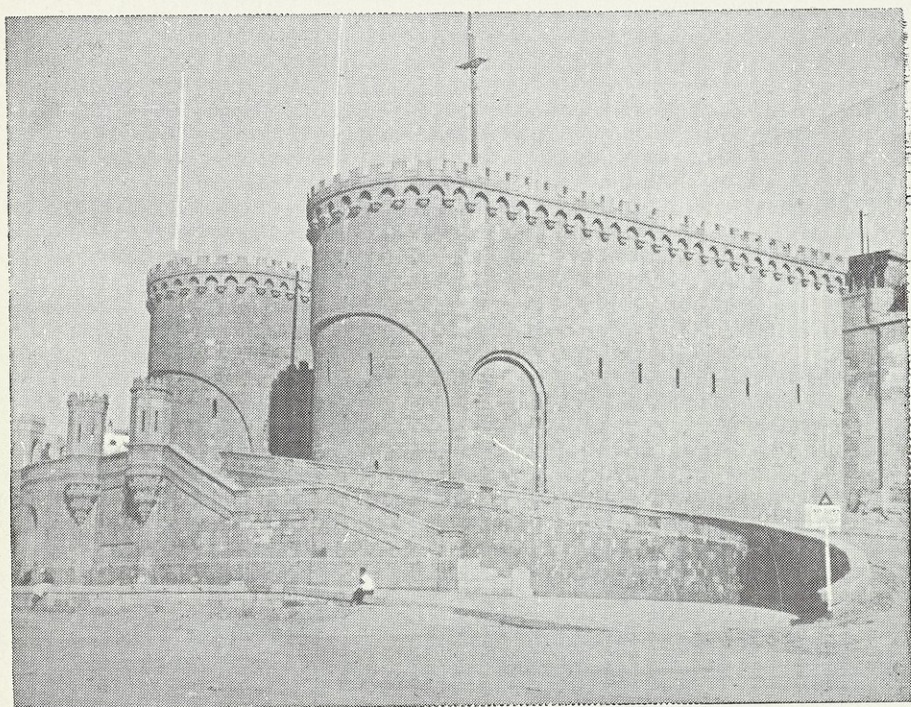


(شكل ١١ — مسجد محمد علي يطل على مدينة القاهرة)

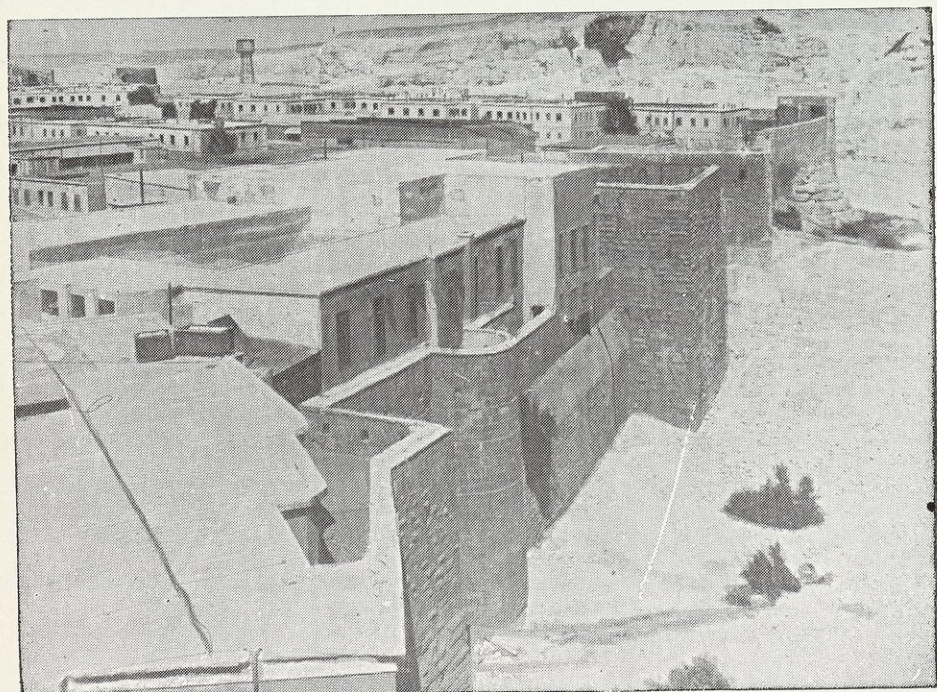


(شكل ١٢ — الجزء الأمامي للسور الشرقي للقلعة)

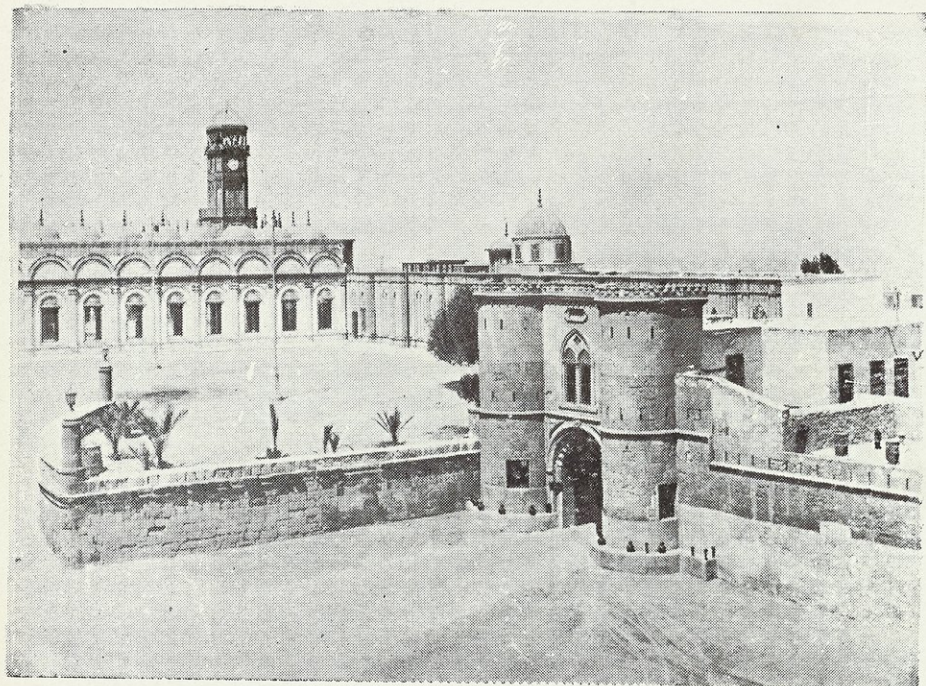




(شكل ١٣ — باب العزب المطل على ميدان محمد علي)



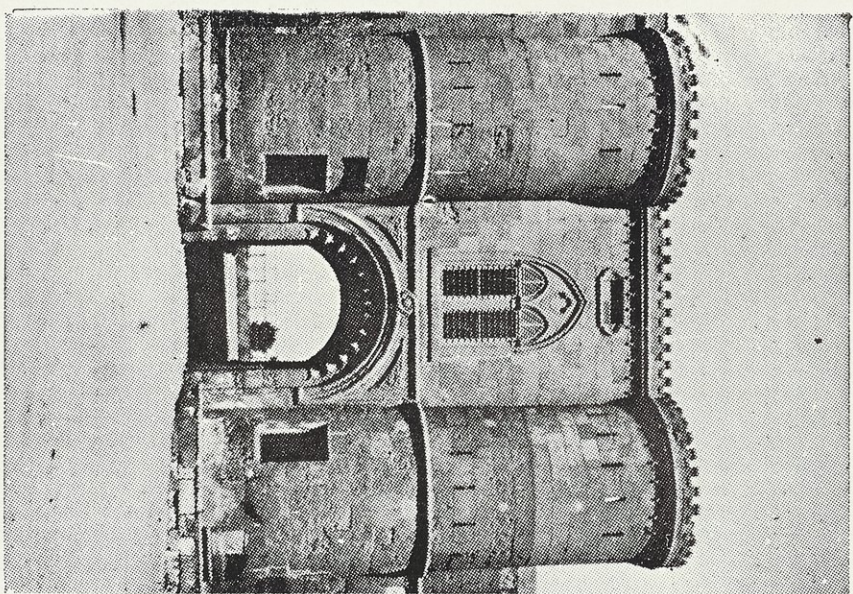
(شكل ١٤ — الجزائر. اشبه لي لسور المعلقة)



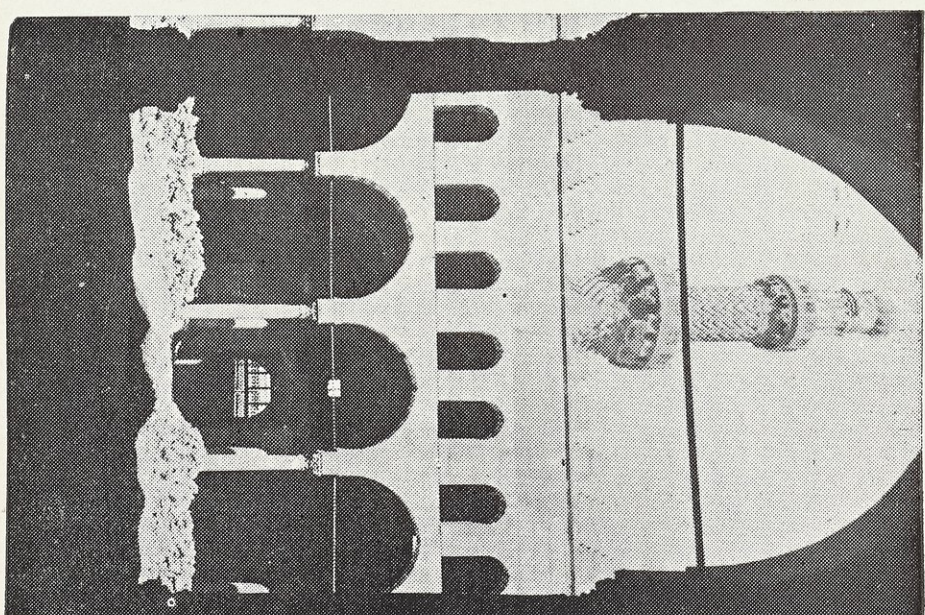
(شكل ١٥ — الباب المؤدى الى ميدان العلم)



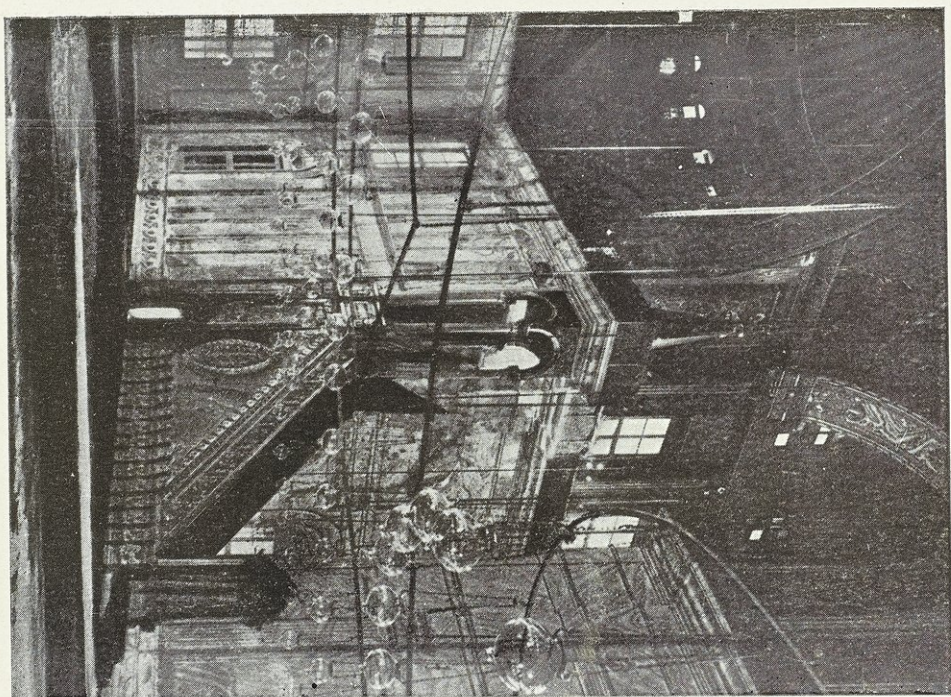
(شكل ١٦ — باب القلعة الداخلى المطل على فناء المتحف الحربى)



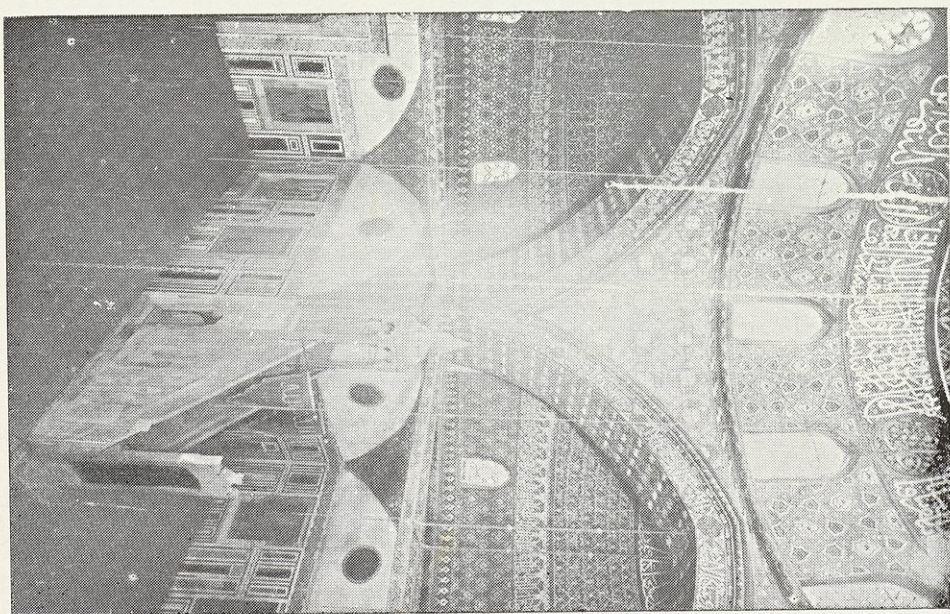
(شکل ۱۷ — باب میدان العلم)



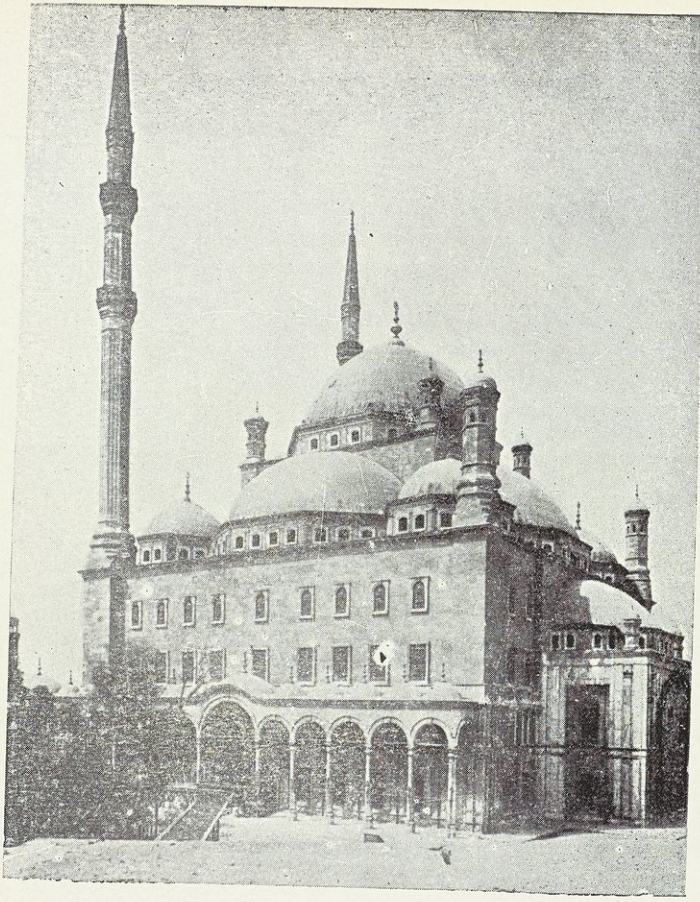
(شکل ۱۸ — فناء مسجد الفخر)



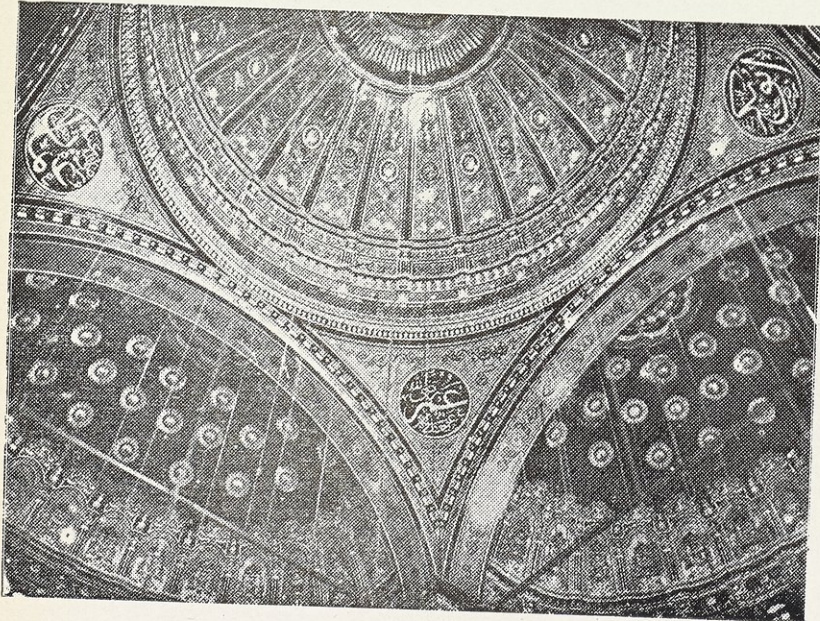
(شماره ۲۰ — بخش مسجد جامع)



(سجل ۱۹ — مسجد پادشاهی حارثیه من الداخل)

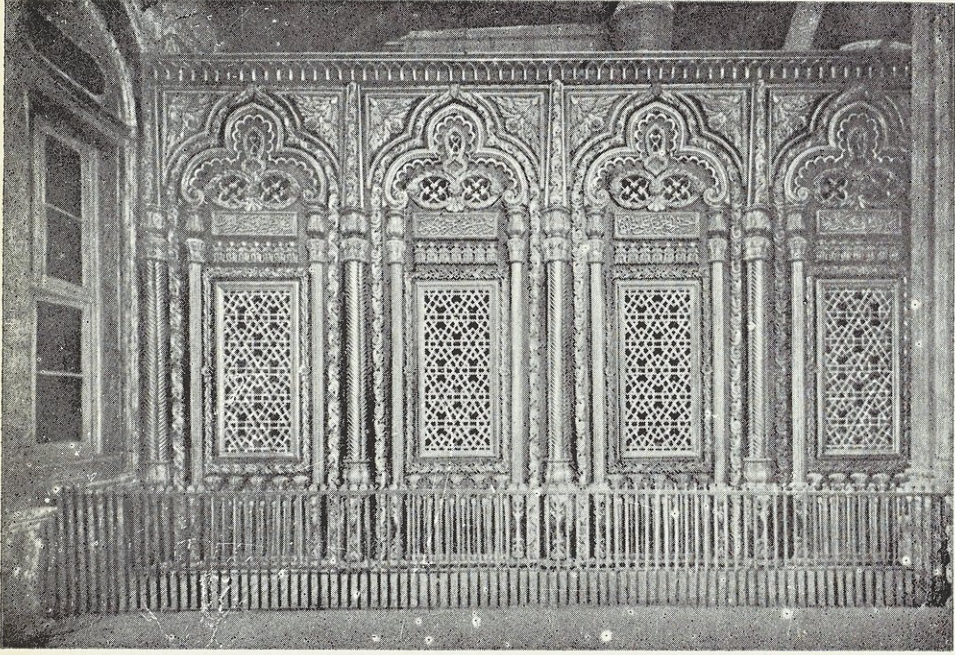


(شكل ٢١ — منظر عام لمسجد محمد علي)

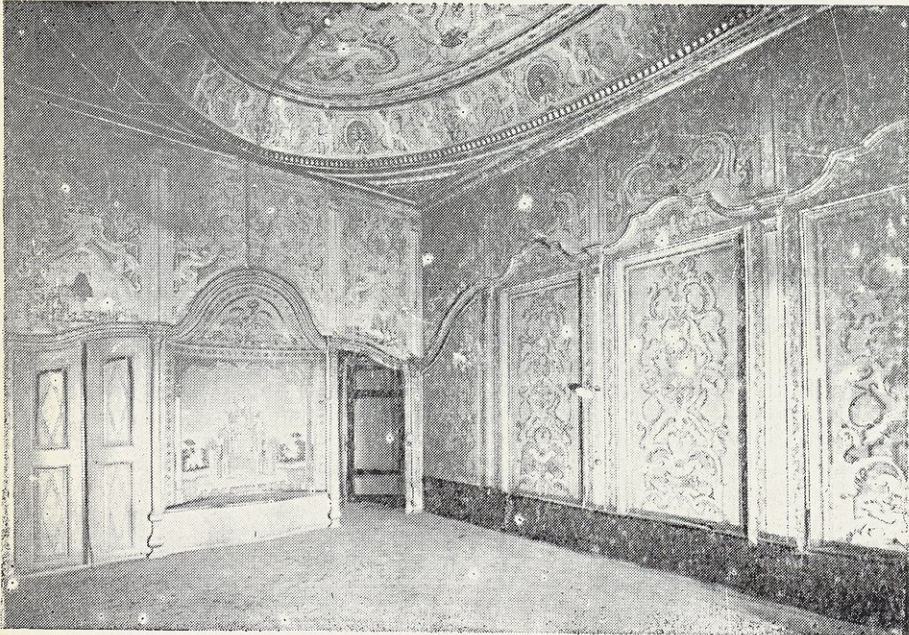


(شكل ٢٢ — نقوش القباب التي تعلو مسجد محمد علي)

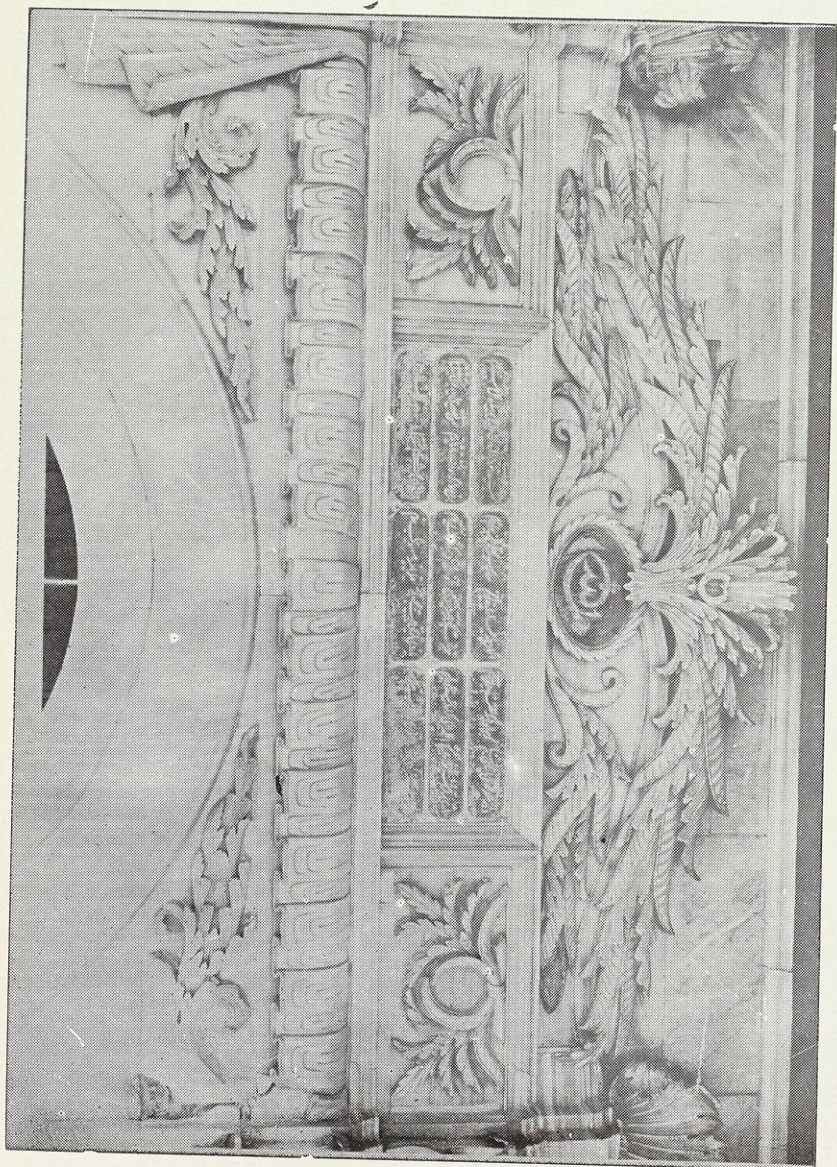
(1917-1918, 1.4.7)



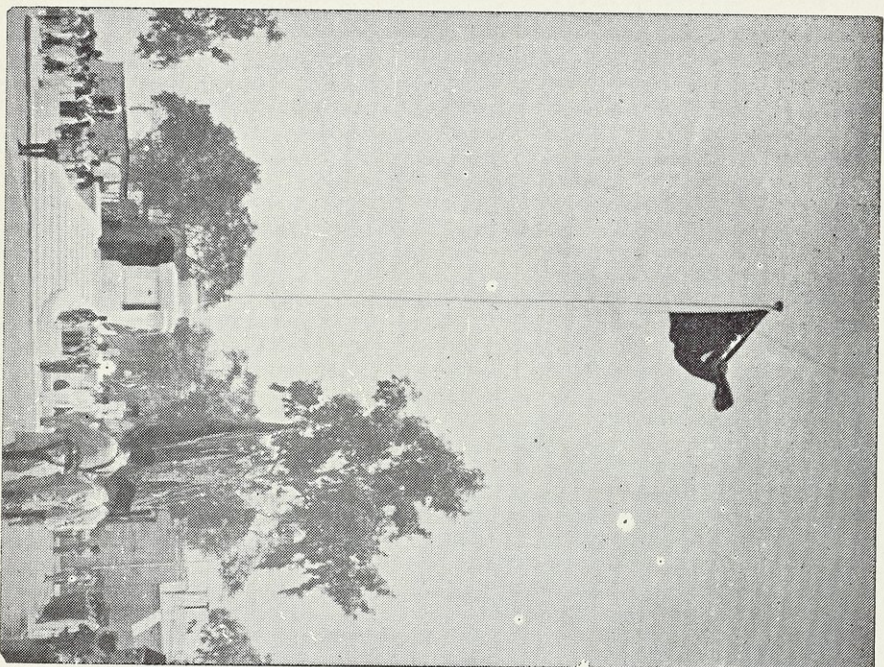
(شكل ٢٣ — مقصورة صريح الشفور له محمد علي باشا)



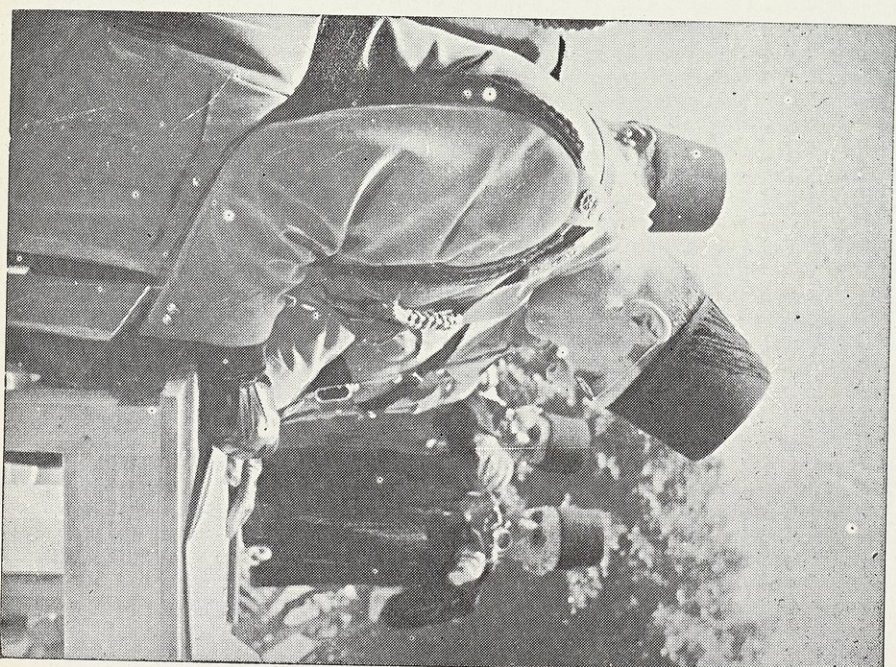
(كل ٢٤ — احدى قاعات قصر الحليم (المتحف الحربى))



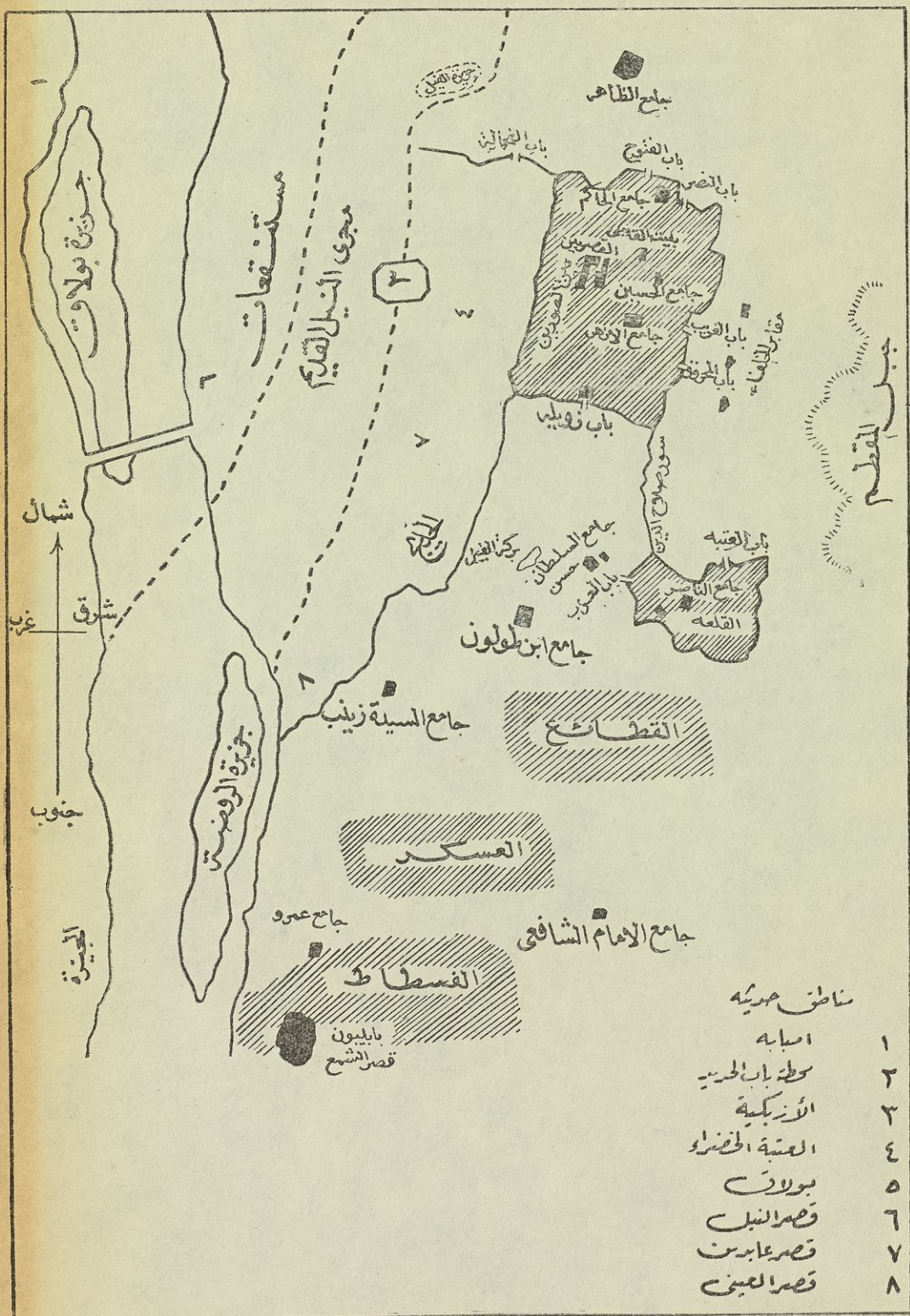
(شكل ٢٥ — إحدى الكتابات المنقوشة على باب قصر الحرم)



(شكل ٢٧ — رفع العلم المصري على سارية احتفاء بالجمهورية، الثورات العربية، إيطاليا عن القمة)

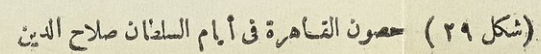


(شكل ٢٨ — حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول يوقع اسمه الكريم -د- روح العلم)



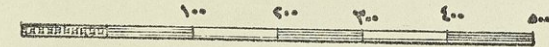
١٥٠٠ ١٠٠٠ ٥٠٠ صفر

مقياس الرسم بالامتار



قلعة صلاح الدين

مقياس الرسم بالإقدام



ميدان محمد علي

باب الغرب
القسم الأسفل من القلعة

ميدان العلم

الحداب
قصر الخريف

المتحف

برج الصحن
مسجد سيدي سارية

برج الحداد

برج الرحلة

نكبات الحرس الخيالة الملكي

برج الأمام

باب الجبل

برج المقطم

برج ككيان

برج الطفة

برج المطر

برج المقوس

برج المباط

قصر الجوامع

دار الضرب

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 074296961